جامعة الجزائر
معهد التاريخ

الإصلاحات السيفيرية في بلاد المغرب القديم

(193 ~ 235 م)

رسالة ماجستير في التاريخ القديم

إعداد الطالبة تسعديت رمضان

جوان 1990

بسم الله الرحمن الرحيم

اهـــــــداء

الـى والدى ، سندى ودافعي للبحـث العلمي في بلد لا يشجـع اهله الفتاه على البحـث .

الى أمـي التي علمـتني الصبر ، في بلد تكـثر فيه الاشواك امام الباحـث .

والى الذى وهبني كل شي ء . . .

اهدى هذه العصاره ، التي عسر ميلادها

ت . رمـضان

– قائمه المختصرات –

A.U.A = Annales de l'Université d'Alger .

B.A.C.T.H = Bulletin d'Archéologie du comité des travaux historiques et scientifiques .

B.E.J de l'O.F.A.L.A.C = Bulletin economique et juridique de l'O.F.A.L.A.C.

B.S.G.O = Bulletin de la societé de Géographie de la province d'Oran.

C.H.M = Cahier d'Histoire mondial .

C.N.R.S = Centre national de la Recherche scientifique .

C.R.A.I = Comptes rendus de l'Academie des Inscriptions et belles lettres .

C.T = Les Cahiers de Tunisie .

Ed = Edition .

J.R.S = Journal of roman studies .

Libyca = Libyca Archéologie et epigraphie .

M.A.H = Mélanges d'Archéologie et d'Histoire .

M.E.F.R = Mélanges de l'ecole française de Rome .

M.N.A.F = Memmoire national des Antiquaires de France .

P.U.F = Presse universitaires de France .

R.E.A = Revue des Etudes anciennes .

Recueil de Constantine = Recueil des Notices et Memmoire d'Histoire et d'Archéologie de la province de Constantine .

R.H.D.F.E = Nouvelle Revue historique de droit français et etranger .

R.I.D.A = Revue internationale des droits de l'Antiquité .

Rev. afr = Revue africaine .

Rev. arch = Revue archéologique .

Rev. hist = Revue historique .

المقدمة :

بلغت الامبراطورية الرومانية أوج اتساعها وأزهى عصورها في عهد العائلة السيفيرية ، وهو ما كان وراء العديد من الدراسات التي خصصت لهذه العائلة ،التي ساهمت مساهمة فعالة في اثراء السجل الحضارى الروماني .

غير أن المحير في الأمر ،هو اهتمام المؤرخين القدماء منهم والمحدثين بأعمال السيفيريين في ولايات الدانوب وولايات الشرق الروماني ،الموطن الأصلي ليوليا دومنا (Julia Domna) زوجة الامبراطور التي لا شك أنها لعبت دورا فعالا في أحداث ازدواجية في النمط الحضارى الذى ينسب لهذه الأسرة وهو ما أدى الى وجود امتزاج حضارى يشتمل على مفاهيم الشرق والغرب .

والاشكال هنا بالنسبة لنا ، يكمن في سبب اهمال هؤلاء المؤرخين للمنطقة المغاربية الموطن الأصلي للامبراطور صاحب تلك الأعمال ،وهو ما دفعنا الى اختيار موضوع هذا البحث تحت عنوان : " الاصلاحات السيفيرية في بلاد المغرب القديم " (193 ـ 235 م) .

يضاف الى ذلك أنها المرة الأولى التي يعتلي فيها افريقي عرش الامبراطورية الرومانية ، الذى توارثه أبناؤه لما يقرب من ربع قرن من بعده . ورغم الاصلاحات التي قامت بها هذه العائلة في الشرق والغرب واهتمام الامبراطور سيفيروس الخاص بالمنطقة المغاربية موطنه الأصلي ، فقد تركزت جلّ الدراسات الحديثة المخصصة للسيفيريين حول مناطق أخرى من العالم الروماني ، وأهملت المنطقة المغاربية ، وهو ما يحتم علينا نحن أبناء المنطقة الاضطلاع بهذه المهمة المتمثلة في ضرورة البحث في تاريخنا والغوص في أغواره لاستجلاء حقائقه .

ومهما يكن ، فاننا لا نخفي سرّا ، اذا قلنا ان هذه المهمة تحمل في ثناياها الكثير من الصعاب ، أهمها قلة المصادر التي يعول عليها وكثرة التناقضات بهما ، وهو ما يتطلب منا بدون شك يقظة عند تناولها ، مما يصعب مهامنا ، ونحن في هذه المرحلة من الدراسة التي تعوزنا فيها التجربة ٠

بناء على ذلك قسمنا الدراسة التي بين أيدينا الى مدخل وثلاثة أقسام ٠ تناولنا في المدخل أواخر عهد الانطونيين والظروف الممهدة لاعتلاء العائلة السيفيرية عرش الامبراطورية الرومانية ، بينما خصصنا القسم الاول من الدراسة للاصلاحات العسكرية والادارية التي قام بها السيفيريون ، مجزئين اياه الى فصلين ، استعرضنا في الفصل الأول الأعمال العسكرية للسيفيريين متتبعين سياستهم التوسعية التي مدوا خلالها خط الليمس الى أبعد نقطة وصلت اليها الامبراطورية ، مع التعرض الى ردود الفعل المحلية ٠

كما درسنا في الفصل الثاني التنظيمات الادارية ، مستعرضين موقف السيفيريين من مجلس الشيوخ واحيائهم للمجلس الأمبراطوري ، الذي سيضطلع بالمهام الكبرى في الامبراطورية ، دون أن ننسى التعرض الى الحقوق الايطالية التي منحوها لبعض المدن المغاربية ، وكذا مرسوم كراكلا ٠

اما القسم الثاني فقد تناولنا فيه الجانب الاجتماعي والديني حيث قسمناه بدوره الى فصلين ، شكلت التنظيمات الاجتماعية محتوى الفصل الأول ، بينما استعرضنا في الفصل الثاني الجانب الديني الذى بينا فيه مختلف المعتقدات الوثنية في بلاد المغرب حتى ظهور المسيحية ، وموقف السيفيريين منها ٠ وكانت الحياة الاقتصادية والمالية موضوع القسم الثالث الذى قسمناه الى فصلين ، حاولنا استجلاء الجانب الاقتصادى في الفصل الأول ، الذى استعرضنا فيه أهم الأنشطة الاقتصادية مولين

عناية خاصة للنشاط الزراعي ، باعتباره المورد الأساسي ، دون اهمال النشاط التجارى والصناعي . وقد ركزنا في الفصل الثاني على الاصلاحات المالية مستعرضين فيه أهم المداخيل بما فيها الضرائب المباشرة وغير المباشرة خصوصا التي استحدثها السيفيريون ، دون أن ننسى استعراض مصاريف الدولة . وأنهينا البحث بخاتمة استعرضنا فيها ما بدا لنا مهما من نتائج بعد تحليل كل المعطيات التي عثرنا عليها سواء ما يتعلق منها بالنصوص الأدبية أو ما ورد في التقارير والدراسات الميدانية المنشورة في العديد من الدوريات المتخصصة .

اما عن المصادر التي ساعدتنا على انجاز هذه الدراسة فيمكن تلخيصها في الاشارة الى ديون كاسيوس (Dion Cassius) الذى يعتبر مؤلفه أشمل الدراسات حول العائلة السيفيرية وهو الذى عاصر أحداث تلك الأسرة وكان عضوا في مجلس الشيوخ في احدى فتراتها ، فيكون بذلك من وجهة نظرنا لامعاصرا للأحداث فحسب ، بل مشاركا في صنعها في بعض الحالات ، وهذا ربما شأن مؤلف هيروديانوس (Herodianus) الذى ركز خاصة على الأحداث العسكرية في مختلف عهود هذه العائلة ، شأنه شأن كتابات زوزيم (Zozime) .

اما كتابات المشرع أولبيانوس (Ulpianus) فهي ذات أهمية في الجوانب الاجتماعية ، وقد كان أحد العناصر البارزة في المجلس الأمبراطورى (Consilium principis) الذى استحدثه سيفيروس ، ولذلك لا شك انه كان عنصرا فاعلا ومؤثرا في كل قوانين ذلك العصر . كما استفدنا أيضا في هذا المجال من قانون يوستينيانوس (Code Justinianus) .

ولا تخفى أهمية كتابات ترتوليانوس (Tertullianus) على أحد في المجال الديني ، سواء المعتقدات الوثنية منها أو المسيحية ، وان كان متشبعا

بهذه الأخيرة مما يجعله بنفر من الأولى ، ويصف مواقف أصحابها بشتى الأوصاف .

كما لا يمكننا أن نهمل في هذا المجال ذكر أصحاب التراجم ، مثل سبارتيانوس (Spartianus) الذي تناول سيرة ثلاثة من أباطرة العائلة ، بدءا من لوكيوس سبتميوس سيفيروس الى الامبراطور جيتا ، وكذا شأن لامبريديوس (Lan-bridius) الذي ترجم لنا حياة هليوجابالوس والاسكندر سيفيروس .

اما كتاب حياة القياصرة لفيكتور أورليوس (Victor Aurelius) فلم نستفد منه كثيرا ، نظرا لعمومياته بالقياس الى كتّاب التراجم الآخرين ، وهو شأن فلافيوس اتروبيوس (Flavius Eutropius) في كتابه مختصر تاريخ الرومان .

وبخصوص المراجع التي أفادتنا كثيرا في هذا البحث فلا يمكننا أن نغفل ذكر الدراسات الاكاديمية التي خصصت لحياة وحكم الامبراطور سيفيروس التي منهـــا أطروحة كلينير حول حياة وحكم سيفيروس التي قدمها في جامعة لياج سنة 1874 :

De Ceuleneer (Adolphe), Essai sur la vie et le règne de Septime Sevère, (Liège 1874).

وكذا أعمال كل من :

Birley (Antony), Septimius Sevèrus, the African Emperor, (Londre 1971).

Platnauer (Maurice), The life and the reign of the Emperor Lucius Septimius Severus, (Oxford 1918).

ومن بين الدراسات الهامة التي اعتنت بالعائلة السيفيرية نذكر :

Forquet De Dorme (C.), Les Césars africains et syriens et l'anarchie militaire, (Angers 1905).

وان كان قد ركز في دراسته على الجوانب العسكرية .

اما أطروحه جاردى التي قدمها في كليه الاداب - جامعه تولوز سنه 1925 والمعنونه:

Jardé (Auguste), Etudes critiques sur la vie et le Règne de Sevère - Alexandre, (Toulouse 1925).

فكانت فائدتها عظيمه بالنسبه لنا خاصه فيما يتعلق بالجوانب الاداريه ، وفي نفس المجال دائما يمكننا ذكر (Lambrechts) الذى قام بدراسه قيمه حول تشكيله مجلس الشيوخ الروماني منذ عهد السيفيريين ، وهو ما مكننا من التعرف على التغييرات التي عرفها هذا المجلس في تلك الفتره .

كما نذكر ايضا الكاتب بسينيه (Besnier) الذى خص الامبراطوريه الرومانيه بدراسه منذ عهد السيفيريين الى مجمع نيقيا . وهي دراسه شامله مفصله تناولت مختلف جوانب ذلك العصر .

واخيرا اشير الى دراسه لاسير (Lassère) حول السكان والحركه السكانيه في افريقيا الرومانيه (146 ق م - 235م) ، وكذا دراسه ماركوارد ت (Marquardt) حول الانظمه الماليه في الامبراطوريه الرومانيه .

هذا اضافه الى تقارير الدراسات الميدانيه المنشوره في العديد من الدوريات المتخصصه .

وفي الاخير لا يفوتني الا ان اقدم جزيل شكرى لكل من قدم لي يد المساعده لانجاز هذا البحث ، اذكر منهم الاستاذ محمد الهادى حارش الذى قدم لي الكثير أثناء انجاز هذا العمل بتقديم النصح السديد الذى لولاه لما وصل هذا البحث الى ما هو عليه .

تونس في 15-10-1990

المدخل

ظروف اعتلاء السيفيريين عرش الامبراطورية الرومانية

أولا ــ أواخر حكم الانطونيين والظروف الممهدة لاعتلاء السيفيريين العرش

ثانيا ــ سبتميوس سيفيروس يتولى عرش روما

ثالثا ــ خلفاء سبتميوس سيفيروس

أولا ـــ أواخر حكم الانطونيين والظروف الممهدة لاعتلاء السيفيريين للعرش :ـــ

اذا كان بعض المؤرخين يرون في حكم السيفيريين آخر مرحلة في سلسلة التطور التي بدأها الانطونيون (96ـــ192م) ، فانه يمكننا في ذات الوقت اعتبار ذلك أول خطوة في التحول الذي عرفته روما على الطراز الشرقي ، والذى أدى الى تغيير شامل في نظمها ، تلك النظم التي حققت الكثير من التحولات في العالم الروماني فيما بعد [1] . وقد وصلت العائلة السيفيرية الى العرش بعد انقراض آخر الانطونيين ، وفي خضم صراع عسكري مرير بدأه مؤسس الأسرة " لوكيوس سبتميوس سيفيروس " (+) .

(1) رستوفتزف ، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ، جزءان ، ترجمة زكي علي ومحمد سليم سالم ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة 1957) ج 1 ، ص474 .

(+) ولد لوكيوس سبتميوس سيفيروس (Lucius Septimius Severus) في مدينة لبدة (Leptis Magna) باقليم طرابلس في 11 افريل 146م ، وفق رأى غالبية المؤرخين ، وفي 6 أفريل وفق تاريخ أغسطس ، وتوفي في مدينة يورك (Eburacum york) ، في الرابع فيفري من عام 211م . وكان سيفيروس أول افريقي يعتلي عرش الامبراطورية الرومانية على ما يذكر اتروبيوس :

Eutropius (Flavius), Abregé de l'histoire romaine, VIII, 10, trad. N. A. Dubois, Ed. Panckoucke, (Paris 1843).

وينحدر سبتميوس سيفيروس من عائلة عريقة تنتمي الى طبقة الفرسان ، تحصلت على حق المواطنة الرومانية بفضل الخدمة العسكرية التي قدمتها للامبراطورية الرومانية .

وقد درس لوكيوس الفلسفة في أثينا ، والحقوق في روما وهناك ساعده الامبراطور ماركوس أوريليوس (161ـــ180م) (Marcus Aurelius Antoninus) في الحصول على عضوية مجلس الشيوخ ، وتقلد عدة مناصب عليا ، اذ انتقل الى بيتيكيا (جنوب اسبانيا) باعتباره وكيلا للامبراطور سنة 172 ، قبل أن يعود الى افريقيا لتسوية بعض المسائل العائلية ، اثر وفاة والده على ما يذكر تاريخ أغسطس ، كلف بعدها بتنظيم شؤون سردينيا قبل أن يعين حاكما على افريقيا البروقنصلية سنة 173م ثم ممثلا للعامة

--/--

بعد وفاة كومودوس (192م) (Lucius Aelius Aurelius Commodus)
آخر الانطونيين نادى الحرس البريتوري/ومجلس الشيوخ ببرتيناكس (Pertinaz) (+)
امبراطورا ، غير ان الاصلاحات التي قام بها والتي مست بمصالح هؤلاء كانت وراء
اغتياله في نفس السنة التي اعتلى فيها الحكم (193م) (2) ، مما فتح باب الصراع على
مصراعيه بين فلافيوس سوليكيانوس وديديوس يوليانوس على ما يذكر كل من هيروديانوس،

==/== في مجلس الشيوخ عام 174م ، وهي السنة التي تزوج فيها من باكيا ماركيانا
(Paccia Marcianna) على ان يعين بعدها سنة 179م وكيلا للامبراطور
في اسبانيا وقائدا للفرقة السكيثية الرابعة (Scythicas IV) المعسكرة في
سوريا سنة 180م ، وخلال اقامته هناك تزوج سيفيروس للمرة الثانية من مارتا بنت
باسيانوس كاهن وأمير مدينة حمص ، وهي التي عرفت فيما بعد بالامبراطورة يوليا
دومنا (Julia Domna) ، التي كان لها تأثيرا واضحا في حياة
هذه الأسرة ، وعين بعدها مندوبا على منطقة ليون في سنة 188م ، وقنصلا على
صقلية في سنة 189م ، وبعد عام كلفه القائد ليتوس (Laetus) بقيادة جيوش
بانونيا العليا التي نصبته في 13 افريل 193م امبراطورا على اثر وفاة تناكس .

لمزيد من التفاصيل انظر كلا من : Besnier (Maurice), L'Empire romain: dés l'avénement des Sevères au concilede Nicée, Ed. P.U.F., (Paris I937), pp. 11-15.

Demaeght (L) , " Inscriptions inedites de la Maurétanie Cesarienne", B.S.G.O. t 16, (1896), pp.404-405.

(+) تمكن برتيناكس من الحصول على لقب اغسطس امبراطور وذلك نظرا للخدمات العسكرية التي أسداها للامة ، أيام الامبراطور ماركوس اوريليوس ، اذ تولى عدة مناصب عليا مكنته من التعرف على الظروف التي كانت تجتازها الامبراطورية الرومانية التي عمل على اصلاح أوضاعها . حول هذا الموضوع انظر :

Besnier (M.), Op. cit., p. 5.

(2) Herodianus, Histoire de la republique romaine, II, p. 587, trad. J.A.C. Buchan, Ed. C. Delagrave, (Paris s.d.).

وزوزيم (3) . ورغم انتصار يوليانوس في الصراع نتيجة تقديمه مبالغ مالية كبيرة للجند (4) ، فان ميله للترف ، واهماله لشؤون الامبراطورية ، أثار جيوش الولايات التي نصبت قادتها أباطرة (5) . وهكذا أعلنت بانونيا " لوكيوس سبتميوس سيفيروس" امبراطورا ، ونصبت جيوش غالة كلوديوس البينوس (Clodius Albinus) وسوريا بيسينيوس نيجر (Pescnnius Niger) (6) . وكان لكل من الثلاثة طموحه وآماله وأسلوبه الخاص ، لكن سيفيروس كان أكثر الثلاثة تفهما للواقع (7)

---

(3) Herodianus, II, p. 588; Zozime, Histoire de la republique romaine, Liv. I, p. 655, trad. J. A. C. Buchan, ed. C. Delagrava, (Paris s.d.)

(4) Dion Cassius, Histoire romaine (IO vol.), LXXIII, 11, trad. V. Boissée, E. Gros, ed. Fimnin Didot, (Paris I845-I870).

(5) Herodianus, II, p. 589.

(6) العبادي (مصطفى) ، الامبراطورية الرومانية ، النظام الامبراطوري ومصر الرومانية ، دار النهضة العربية (بيروت 1981) ، ص148 . وهو ما نجده أيضا عند :
Lafon (Mary), Rome depuis sa fondation jusqu'à la chute de l'Empire, (Paris I893), pp. 236-237.
De Chateaubriand (René), Etudes ou discours historiques sur la chute de l'Empire romain, (4 vol.), Nelle édition, (Paris I893); t. 1; p. 98.

(7) رستوفتزف ، المرجع السابق ، ص 483 .

وادراكا لخطورته ، وهو ما مكنه من السيطرة على الوضع (8) .

ثانيا — سبتميوس سيفيروس يتولى عرش روما :

بعد مناداة جيوش بانونيا بسيفيروس امبراطورا ،قرر هذا الأخير الزحف على روما التي دخلها في جوان 193م بتأييد من مجلس الشيوخ والحرس البريتورى ، الذى سبق له ان تخلص من يوليانوس في فاتح جوان من نفس السنة (9) . وكجزاء لمجلس الشيوخ الذى سانده ، أصدر سيفيروس مرسوما يمنع بموجبه الاعتداء أو قتل أى عضو من أعضاء هذا المجلس ، كما أمر بمتابعة أنصار يوليانوس . وعمل أيضا على اصلاح الأوضاع في روما ، ثم في الشرق ،لكن هذا لم يحل دون استمرار قادة الولايات في منافسته ، وهو ما دفع به الى خوض سلسلة من الحروب ضد خصومه (10) .

فلمواجهة نيجر حاكم سوريا ،قام الامبراطور سيفيروس ، أولا بارسال فرق الى افريقيا واليونان وتراقيا ، لتدعيم القوات الموجودة بها . بينما قام نيجر بالاستيلاء على مدينتي بيزنطة (Byzance)وبرنثة (Perinthe) بهدف تدعيم موقفه ، مع ذلك ظل مترددا ومتخوفا من استمرار تفوق سيفيروس ، فعرض عليه أمر تقسيم الامبراطورية ، وهو ما رفضه هذا الأخير ، فدخل الطرفان في حرب مدمرة أعد لها كل طرف ، حيث عمل سيفيروس على استمالة البينوس (+) قائد فيالق جرمانيا ،

(8) Dion Cassius, LXXIII, I5.

(9) Albertini (Eugene), L'Empire romain, 3eme Edition, P.U.F., (Paris I938), p. 245.

(10) Dion Cassius, LXXIV, 1-2; Hérodianus, II, pp. 594-595.

(+) عمل على استمالته ، بمنحه لقب " قيصر " واشراكه في الحكم ،بعد أن أقنعه بحاجة الامبراطورية الرومانية الى رجل قوى مثله ، وأشعره أن تقدمه في السن ،لم يعد يسمح له القيام بعمليات توسعية ،وادارة أملاك الامبراطورية ،اضف الى ذلك صغر ولديه ==/==

وذلك حتى يؤمن ظهره (11) . قرر بعدها الهجوم على نيجر ، الذى طلب بدوره من ولاة الشرق تعزيز الموانئ ، وحماية الحدود ، وأرسل حامية الى بيزنطة وطلب من ملوك أرمينيا وأترميان وفرثيا المساعدة .

فاذا كان الفرثيون والاترمانيون قد استجابوا لطلبه ، فان ملك أرمينيا التزم الحياد (12) .

لما بدأت الحرب انتقل نيجر الى مدينة بيزنطة ومنها الى مدينة بيرنثة ، لكن ظروف الحرب جعلته يعود ثانية الى بيزنطة للدفاع عنها ، امام جيوش سيفيروس التي فشلت في اقتحام المدينة بسبب حصانتها وامكانيات الدفاع بها (13) ، وهو ما رأى فيه البعض تراجعا لقوات سيفيروس ، لكن انتصاره في كيزيكوس (Cyzicus) وتبعثر قوات نيجر التي كانت تحت قيادة ايميليانوس (Aemilianus) في ارمينيا وآسيا الصغرى (14) ، وانتصاره الثاني بين مدينتي نيقية (Nicée) وخيوس (Chios) جعله سيد الموقف في اقليم بيثينيا (Bithynie) (15) ،

==/== كراكلا (Caracalla) وجيتا (Geta) الذى لا يسمح لهما باستخلافه . فاستجاب القائد البينوس لطلبه ، واعرابا عن حسن نيته صك سيفيروس عملة باسم البينوس واقام له عدة تماثيل على ما يذكر هيروديانوس ، II ، ص 595 .

(11) Spartianus (Aelius), Vie de Septime Sevère, VII-VIII, dans l'histoire Auguste, trad. M. Nisard, ed. Firmin Didot, (Paris 1855).

(12) Herodianus, III, p. 596.

(13) Dion Cassius, LXXIV, 6.

(14) Herodianus, III, pp. 596-597.

(15) Forquet De Dorme (C.), Les Césars africains et syriens et l'anarchie militaire, Ed. Si-Roudeau, (Angers 1905), p. 34.

مما دفع نيجر الى التراجع نحو انطاكية حيث حسم الموقف لصالح سيفيروس قرب هضبة ايسوس (Issus) (16) .

هكذا تخلص سيفيروس من أحد ألدّ منافسيه بعد هذه المعارك الثلاث التي عمل بعدها على تصفية جيوب المقاومة ، واخضاع بقية المدن التي تحالفت مع نيجر ، وهو ما مكنه من السيطرة على زمام الأمور (17) ، قبل العودة الى روما ، حيث أشرك ابنه كراكلا في الحكم وهو لم يبلغ بعد ثماني سنوات .

اذا كان سيفيروس قد عمل على استمالة البينوس قبل الشروع في الهجوم على نيجر ، فان البينوس يكون قد تفطن للعبة ، وقرر الهجوم على روما بمجرد انتقال سيفيروس الى المشرق (18) ، وهو ما فتح أبواب الصراع على مصراعيها بين سيفيروس والبينوس ، الذى أعلن " عدوا للعامة " يجب ازاحته عسكريا ، وهو ما تم في معركة ليون التي كان فيها انتصار سيفيروس ساحقا ، على ما يذكر ديون كاسيوس ، بعد معركة شارك فيها أزيد من خمسين ألف جندى (19) ، وبهذا النصر يكون سيفيروس قد وضع حدا لمنافسيه ، ادعى بعدها ان ماركوس أوريليوس تبناه ، وانه الوارث الشرعي لحكم الانطونيين (20) .

(16) Victor (Aurelius), Les Césars depuis Octavien Auguste jusqu'au concile de Nicée, vie de Septime Sevère, 20, trad. N. A. Dubois, Ed. Panckoucke, (Paris I846).

(17) Homo (Léon), Nouvelle histoire romaine, Ed. Fayard, (Paris I941), p. 345.

(18) Dion Cassius, LXXV, 4; Spartianus, Vie de Sevère, IO.

(19) Dion Cassius, Loc. cit.

(20) رستوفتزف ، المرجع السابق ، ص 479 .

لم يكد سيفيروس ينهي ترتيب الامور في روما ، حتى اضطر للعودة الى الشرق بعد أن هدد ملك الفرثيين (Vologese IV) مدينة نيزيبيه (Nisibe) ، قبل أن يصده سيفيروس عنها ويكتسح بلاد ما بين النهرين والمملكة الفرثية ، بعد استيلائه على مدن : بابل وسلوقية والعاصمة كتزيفون (Ctésiphon) [21] .

وبعد فشل محاولتين لسيفيروس في الاستيلاء على قلعة هاترا (Hatra) بوادي الرافدين ، رحل الى فلسطين التي قضى فيها على بعض محاولات التمرد ، وأنهى حروبه بأن عرج على سوريا ومصر ، قبل عودته الى روما [22] ، ثم الى افريقيا ، في مهمة مماثلة للتي قام بها في الشرق وهذا سنة 203م [23] . وهي الزيارة التي لم يشر اليها بعض المؤرخين القدماء ، منهم هيروديانوس المعاصر للأحداث وكذا ديون كاسيوس وخاصة ترتوليانوس (Tertullianus) التواق الى سرد الأحداث الشهيرة في عهده [24] . خلافا لهؤلاء ، يشير صاحب تاريخ اغسطس [25] الى هذه الزيارة ، وكذا أوريليوس فيكتور [26] ، وهي الزيارة التي يؤكدها النقش التالي في نظرنا :

" I(ovi) o(ptimo) M(ascimo)/ Dolicheno/ Prosalute et victoria Domi/ norum nostrorum Aug(ustorum trium) et / /c(ai) Fulvi plautiani pr(aefecti)

---

(21) Dion-Cassius, LXXV, 9.

(22) Dion-Cassius, LXXV, 10-13.

(23) انظر ما سيأتي ص 43 .

(24) Kotula (Tadeutz), Septime Sevère, a-t-il visité l'Afrique en tant qu'empereur, (Wroclaw 1985), pp 154-157.

(25) Spartianus, Vie de Sevère, 18, 3.

(26) Victor (Aurelius), Septime Sevère, 20.

pr(aetoria), c(larissimi) v(iri) et necessari Aug(ustorum trium)/
et redi / /tu/ Imperatoum trium) in urbem/s/ uam / T(itus) Flavius
Marinus (centurio) leg(ionis) / /(tertiae) A/ug(ustae) v(otum)
l(ibens) p(osuit)"(27).

" للاله جوبتر الاعظم ، لمعبد دوليكه لنجاة وانتصار اباطرتنا الثلاثة " اغسطس "
تحت رعاية سيدهم " كايوس فلافيوس بلوتيانوس " حاكم البريتوار .

قام قائد الكتيبة الاغسطية الثالثة " تيتوس فلافيوس مارينوس " بتشييد ضريح
يمجد فيه عودة الاباطرة الثلاثة الى مدينتهم . "

" اذ يشير النقش الى تشييد معبد دوليكه من طرف قائد الفرقة الاغسطية
الثالثة على شرف عودة الامبراطور وابنيه الى مدينة لبدة " .

٤٢٠٢٥٨

اضطر الامبراطور على اثر عودته من افريقيا الى الرحيل الى الجزر البريطانية
التي ثار فيها الكاليدونيون سنة 208م (28) ، وهي آخر رحلة يقوم بها الامبراطور
سيفيروس ، الذي اشتد عليه المرض اثناءها ، أدى الى وفاته في مدينة يورك (Eburacum
york) في الرابع فيفري من سنة 211م وتوقفت بذلك الفتوحات السيفيرية
في اسكتلندا (29).

بذلك انتهت حياة سيفيروس الذي تولى عرش روما ، في وقت استفحلت فيه
الفوضى ، وهو ما تطلب منه قضاء طيلة فترة حكمه ، التي دامت ثمانية عشرة سنة ، في

(27) Guey (J.), "Lepcitana Septimiana VI, Le retour de Septime-Sevère à Lepcis (d'après une dédicace de Dolichenum)", Rev. Af., t. 94, (1950), pp. 56-58; ID., "Retractio, un retour de Septime-Severe après la pocification des confins sahariens", Rev. Af., t. 96 (1952), pp. 61-63.

(28) Dion Cassius, LXXVI, 11-13.

(29) Besnier (M.), Op. cit., pp. 52-54.

الحروب التي مهد بها الطريق لابنائه لاستخلافه ، وجعل اسم العائلة يعلو أجواء الامبراطورية الرومانية لما يقارب من نصف قرن ·

ثالثا — خلفاء سبتمـيوس سيفيروس :

على اثر وفاة سبتمـيوس سيفيروس خلفه على العرش ابناه كراكلا (+) وجيتا (++)

(+) كراكلا (188—217م) : هو سبتميوس باسيانوس الملقب بكراكلا نسبة الى الجلباب الطويل الذى كان يرتديه · ولد بمدينة ليون في 14 ابريل 188م ، عينه والده قيصـرا وهو في السن الثامنة ولقبه بـ : " ماركوس اوريليوس انطونينوس كراكلا قبل أن يعلـــن " اغسطسا " في سنة 198م ويرافق والديه في رحلتهما الى مـصر وسوريا ، ثم الـــى انطاكية سنة 202م ، حيث شارك والده في منصب القنصلية ،كما رافقه في حروبه المختلفة ، قبل أن يخلفه في الحكم سنة 211م · حول الموضوع انظر :
Demaeght (L.), Op. cit., p. 409.

(++) جيتا : (189—212م) هو لوكيوس بيبليوس سبتميوس جيتا ، ولد في روما في 28 ماى 189م ،نودى به قيصرا سنة 198م ،وفي السن التاسعة عشرة (208م) كلف بادارة مقاطعة بريطانيا ، وفي السنة الموالية لقب باغسطس التقي (Auguste Pieux) وبداية من سنة209م شارك والده وشقيقه كراكلا في الحكم ، قبل أن يغتاله هذا الأخير (212م) بعد سنة من الحكم المشترك بينهما ·

حول الموضوع انظر : Demaeght (L.), ID., p. 412.

اللذان شب خلاف بينهما ، انتهى بحسم الموقف لصالح كراكلا الذى أجزل العطاء على الجند ، وعرف كيف يؤثر على مجلس الشيوخ . وبعد ترتيب الامور في روما ، اضطر بدوره أن يتوجه الى الشرق سنة 214م (30) حيث تنقل بين داقيا و تراقيا ونيقوميديا في آسيا الصغرى بعد هزيمته للالمان ، كما ضم مملكة ارمينيا الى ممتلكات الامبراطورية ، هذا قبل أن يزور مصر سنة 215م (31) التي أنشأ بها فيلقا سماه " فيلق الاسكندر " يتشكل من ستة عشر ألف جندى ، سلحه بالأسلحة المقدونية ، كان يأمل أن يخضع به الفرثيين ، كما اخضع الاسكندر الفرس (32) .

بعد أن غادر مصر ، عمل على اقتحام الفرات ، كما خرب ميديا واستولى على اربيلا واديسا قبل أن يستأنف الحرب ضد الفرثيين ويتوجه الى كاريا (Carrhae) حيث قتل من طرف البريتوري ماكرينوس (Macrinus) الذى اعتلى عرش الامبراطورية عام 217م ، لكن فشله في مواصلة سياسة الفتح التي بدأها كراكلا في الشرق افقده ثقة الجيش وعجل بنهايته ، مسهلا بذلك مهمة هليوجابالوس (Heliogabalus) (+) حفيد كراكلا في استرجاع العرش ، بعد أن

---

(30) Spartianus, Caracalla, 2; Herodianus, IV, p. 611.

(31) G.L.G., Caracalla, dans la grande Encyclopedie, (31 vol.), (Paris 1961), t. 9, pp. 263-264.

(32) ديورانت (ول) ، قصة الحضارة (11 مجلدا) ، ترجمة محمد بدران ، منشورات جامعة الدول العربية (القاهرة 1950) ، ج 3 من المجلد الثالث ، ص 326 .

(+) هليوجابالوس (204—222م) : هو فاريوس افيتوس باسيانوس المعروف باسم هليوجابالوس (اله الشمس) ، ولد بمدينة حمص أواخر سنة 204م . نودى به امبراطورا من طرف الفرق السورية وهو في السن الثالثة عشرة (218م) ، وأمضى بضعة أشهر في نيقوميديا ولم يدخل روما الا في 29 سبتمبر 219م حيث احضر معه من حمص الحجر الاسود المقدس باعتباره رمزا لهليوجابالوس الاله وبنى له هيكلا مزخرفا ليضعه فيه . وفي 10 جويلية 221م تبنى قريبه الاسكندر سيفيروس وعينه قيصرا ، قبل أن يتراجع عن ذلك ، وهو ما أغضب الاسكندر ، ودخل هليوجابالوس في صراع دموى مع جند الحرس ، أدى الى ==/==

دخل الى روما سنة 219م رفقة والدته ، حفيدة يوليا دومنا ، زوجة الامبراطور سيفيروس وخالة كراكلا ، لكن انكبابه على المجال الديني ، لم يثرغضب الرومان فحسب ، بل حتى العائلة التي عملت على اقناعه بتبني الاسكندر ابن عمه ، الذى خلفه بعد اغتيال هليوجابالوس ووالدته على يد رجال الحرس البريتورى (33).

بعد أن حصل باسيانوس الملقب بـ "ماركوس" اوريليوس اسكندر" (+) على اعتراف مجلس الشيوخ والحرس البريتورى ، شرع في تنظيم الجيش ، وادخال بعض الاصلاحات المالية والادارية على الامبراطورية (34). غير ان قلاقل الشرق ، على اثر ظهور مملكة الفرس على أنقاض الفرثيين ، اضطره الى الرحيل الى الشرق (35). كما كانت

==/== مقتله سنة 222م وخلفه الاسكندر. حول الموضوع انظر :

Demaeght (L.), Op. cit., p. 414.

(33) ديورانت (ول) ، المرجع السابق ، ص329-330.

(+) الاسكندر سيفيروس (208-235م) : هو ماركوس اوريليوس اسكندر. ولد في قيصرية بفينيقية في اول اكتوبر 208م. نودى به امبراطورا وهو في السن الرابعة عشرة ونصف (222م). تشكل حوله مجلس من ستة عشر عضوا لمساعدته في تسيير شؤون الامبراطورية التي استرجعت في عهده الازدهار الذى عرفته في عهد سيفيروس ، حتى انه أضاف الى ألقابه لقب سيفيروس وأصبح بذلك يعرف بـ : " ماركوس اوريليوس سيفيروس اسكندر". وبعد وفاته بكاه الشعب الروماني الذى فقد فيه امبراطورا يعد من أعظم اباطرة الرومان وأله مجلس الشيوخ. انظر :

Demaeght (L.), ID. pp. 416-417.

(34) Rosoir (Charles), Précis de l'histoire romain, 2eme édition, (Paris 1830), pp. 51-52.

(35) Guglielmo (Ferrero), Grandeur et décadence de Rome (6 vol.), ed. plon Nourrit, (Paris 1904-1908), t. 6, p. 271.

اعتداءات فيالق جرمانيا على الحدود الشمالية للامبراطورية ، وراء انتقاله الى بــلاد غالة على رأس جيش من الموريين والسوريين ، لكن اضطراره الى التفاوض مع العدو ، كان سببا في ثورة الجند عليه ، واغتياله صحبة أمه وكل اصدقائه سنة 235م (36) .

بمقتل الاسكندر سيفيروس ، تكون روما قد فقدت آخر الاباطرة السيفيريين ، وواحدا من أعظم أباطرة هذه العائلة الذى تدخل روما بعده عهدا ، عرف بـ" عهد الفــوضى العسكرية " .

تلك اذن هي الظروف التي اعتلى فيها السيفيريون الحكم ، وحكموا خلالها روما مدة اثنين واربعين سنة ، قضوا معظمها في الحروب ، محاولين الحفاظ على هيبــة الامبراطورية ، وتوسيع رقعتها الجغرافية ، ومجالها الحيوى ، رغم الظروف الصعبة التي كانت تجتازها ، ووصلوا بها الى أوج اتساع لها ، فامتدت في عهدهم من أواســط آسيا الصغرى ووادى الرافدين شرقا الى الجزر البريطانية غربا (37) .

---

(36) Besnier (M.), Op. cit., pp104-108

(37) انظر الخريطة رقم 1 ص 14 .

شجرة العائلة السيفيرية

- يوليوس باسيانوس
  - يوليا مايسا "زوجة يوليوس افيتوس"
    - يوليا افيتا ماميا
      - اليكسيانوس باسيانوس
      - ماركوس اوريليوس
      - سيفيروس اسكندر
    - يوليا سوميا باسيانا
      - فاريوس افيتوس باسيانوس
      - ماركوس اوريليوس
      - انطونيوس هليوجابالوس
  - يوليا دومنا "زوجة لوكيوس سبتميوس سيفيروس"
    - سبتميوس جيتا
    - سبتميوس باسيانوس
      - ماركوس أوريليوس كراكلا

القسم الأول

الاصلاحات العسكرية والادارية

الفصل الأول

أولا – اطوار الاصلاحات :

1 – سياسة التجنيد

2 – تحسين أوضاع الجند

3 – خطوط الليمس

ثانيا – أقسام الليمس :

1 – الليمس الشرقي

2 – الليمس الغربي :

أ – ليمس نوميديا

ب – ليمس موريطانيا القيصرية

جـ – ليمس موريطانيا الطنجية

ثالثا – ردود الفعل المحلية تجاه السياسة السيفيرية

أولا ــ أطوار الاصلاحات :

كرس الامبراطور سيفيروس بعد اقصائه لمنافسيه في الحكم وهما : بسينيوس، نيجر سنة 194م وكلوديوس ألبينوس سنة 197م، جهوده لتحصين وتعزيز حدود الامبراطورية الرومانية، ولا سيما مراكزها الحساسة، وهو ما جعل البعض يقول بتبني الامبراطور سيفيروس للسياسة العسكرية التي انتهجها الاباطرة الانطونيين، وهو الاسلوب الذى ينتهجه فيما بعد خلفاؤه (1).

لكننا نلاحظ أن هناك اختلافا بارزا بين حكم السيفيريين وحكم الانطونيين ببروز دور الجيش في الامبراطورية في عهد الاوائل (2)، اذ أقام سيفيروس حكمه على تأييد الجيش، محولا بذلك الزعامة الى ملكية عسكرية وراثية، وهذا بعد تصفية أعضاء مجلس الشيوخ الذين ساندوا ألبينوس، فأعدم البعض وصادر ممتلكاتهم، وعوض البعض الآخر بأشخاص اختارهم بنفسه، وبذلك فرض سيطرته على هذا المجلس، الذى أصبح طوع ارادة الامبراطور (3). ومن هنا كان عليه أن يولى اهتماما خاصا للمجال العسكرى، وجاءت اصلاحاته لتكرس ذلك بمنح امتيازات هامة للجيش، لم تعرفها

---

(1) Rachet (Marguerite), Rome et les berbères, un problème militaire d'Auguste à Diocletien, ed. C.N.R.S., (Bruxelles 1970), p. 214.

(2) Besnier (M.), Op. cit., p. 109.

(3) De Ceuleneer (Adolphe), Essai sur la vie et le règne de Septime-Sevère, thèse es-lettres (Liège 1874), p. 146.

الامبراطورية من قبل (4) .

1 ـ سياسة التجنيد :

يبدو ان أول عمل قام به الامبراطور سيفيروس هو تصفية الكتائب الرومانية القديمة (Cohortes) بداية من أول سنة تولى فيها الحكم ، وعمل على تعويضها بالبرابرة (+) الذين اكتظت بهم رتبة صف الضباط ، وغيّر من سياسة التجنيد التي كانت تعتمد على ايطاليا والولايات القديمة فقط ، مثل اسبانيا ومقدونيا ، لتصبح غالبية الفرق الجديدة من ولايات الدانوب ، التي ساعدته في الوصول الى العرش ، وأصبحت بذلك محل ثقة الامبراطور ، فرفع من عدد الجند في هذه الفرق من خمسمائة (500) جندي الى الف (1000) جندي ، وبذلك ضاعف عدد الجنود في الفرقة الواحدة (5) .
ولم تكن تلك هي أهم أعمال سيفيروس في الميدان العسكري ، بل عمل على انشاء ثلاث فرق هي : الفرق الفرثية التي وضعها تحت قيادة ضباط من الفرسان ، الذين نلاحظ من الآن تزايد قوتهم وتزايد اعتماد سيفيروس عليهم ، وكان قد وضع الفرقة الأولى والثالثة في بلاد ما بين النهرين والثانية في روما وجعلها تحت قيادة قائد البريتوار (6) . وبذلك ارتفع عدد فيالق الشرق الى احد عشر فيلقا مقابل ستة فيالق في عهد اغسطس ، وعدد الفيالق في الدانوب الى اثنى عشر فيلقا وأربعة فيالق في

(4) Petit (Paul), Histoire générale de l'Empire romain (3 vol.), La crise de l'Empire des derniers Antonins à Diocletien (161-284 ap J.C), ed. du Seuil (Paris 1978), t. 2, pp 56-57.

(5) Duruy (Marcel), Les Cohortes prétoriennes, Ed. de Boccard, (Paris 1938), pp. 384-385.

(6) De Ceuleneer (A.), Op. cit., p. 264.

(+) هي الشعوب التي استعصت على الحضارة الرومانية ، وظلت خارج تأثير هذه الحضاره سواء في الشرق او في الغرب .

الراين . وأذا حاولنا مقارنة ذلك بعهد اغسطس نا أننا نجد ان الامبراطور أغسطس كان قد وضع سبعة فيالق في الدانوب و ثمانية فيالق في الراين (7) . وهنا نلاحظ أن تغييرا في موازين القوى قد حدث في عهد السيفيريين ، الذين ركزوا على الحدود الشرقية ، وهذا يجعلنا نحس أن المنطقة كانت محل قلاقل ، وهو ما يبين أيضا ارادة الامبراطور في عدم التنازل على أي جزء من الامبراطورية .

ان اعادة تنظيم وتوزيع الجيش والفيالق ، ونقل الفرقة الفرثية الثانية الى روما ، وكذا مضاعفة عدد الفرسان الذين اعتمد عليهم سيفيروس كما أشرنا ، وضعت بين أيدي الامبراطور امكانيات كبيرة للمبادرة وشلّ حركة مجلس الشيوخ ، وتدعيما للفرق الثلاث السالفة ، جند الامبراطور سيفيروس لفيفا من سكان المناطق الاقل تأثرا بالحضارة الرومانية ، وهو اللفيف المعروف بـ " Numeri " (+) الذي جلبه من تدمر (Palmyre) بفنيقيا و بلاد ما بين النهرين . ورغم ان سيفيروس لم يكن أول من استعمل هؤلاء ، لكن الفضل يعود له في تعميم هذه الظاهرة ، ونلاحظ أيضا ان الافراط في زيادة عدد الجند في الفرق والفيالق والفرق المساعدة ، قد دفع سيفيروس الى الاعتماد اكثر على طبقة الفلاحين في التجنيد ، خاصة فلاحو

---

(7) Besnier (M.), Op. cit., p. 38.

(+) كان مقر هذا اللفيف في بلاد المغرب القنطرة (Calceus Herculis) ووضعهم ايضا الامبراطور في مواقع جميلاى ، الظهرة ، ومسعد ، وهذا حتى أواخر عهد السيفيريين . انظر :

Carcopino (J.), "Les Numeri Syriens de la Numidie romaine", Syria, t. I4, (I933), p. 22.

الولايات الاقل تطورا ، وبذلك من وجهة نظرنا أخذ التمايز بين الاهالي والأجانب في الزوال ، مما مهد السبيل امام كراكلا لاصدار المرسوم ، الذى منح بموجبه حق المواطنة الرومانية لغير الرومان (8) .

2 ـ تحسين أوضاع الجند :

اذا كانت اصلاحات سيفيروس في البداية قد تركزت على زيادة عدد الفرق والفيالق وعدد الجند ، فانه لم يهمل ايضا الاهتمام بتحسين ظروف هؤلاء وأجاد العطاء لهم " Donativum " ، وذلك برفع أجورهم ومنحهم الخاتم الذهبي " l'anneau d'or " ، وهو امتياز كان يمنح من قبل لطبقة الفرسان ونواب مجلس الشيوخ فقط (9) ، لكن سيفيروس عممه على الجند ليؤكد بذلك للجنود ان الشجاعة والاخلاص كفيلان بترقيتهم الى رتبة ضباط المئة (Centurie) والارتقاء بذلك الى الطبقات التي تتمتع بالامتيازات (10) .

ورغم ان جل المؤرخين المحدثين يرون ان رواتب الجند قد ارتفعت (+) في

(8) Petit (P.), Op; cit., pp. 57-58

(9) Besnier (M.), Op. cit., p. 38.

(10) رستوفتزف ، المرجع السابق ، ص 476ـ477 .

(+) لم تعرف رواتب الجند أى تغيير منذ عهد دوميسيانوس (81ـ96م) حتى عهد الامبراطور سيفيروس الذى رفع هذه الرواتب من 1250 دراخما سنويا الى 1750 دراخما لتصل في عهد كراكلا الى 2500 دراخما هذا بالنسبة للبريتورى ، اما راتب الفيلقى فقد ارتفع من 300 الى 500 ليصل الى 750 دراخما سنويا .

حول هذا الموضوع انظر كل من :

Petit (P.), ID. pp. 58-59.

Bergosse (Henry), Le tocsin de la décadence, Ed. Les belles lettres, (Paris 1975), p. 46.

عهد سيفيروس وابنه كراكلا ، فان ديون كاسيوس وعيرود يانوس يريان في ذلك تأثيرا سلبيا على الجند اذ أدى ذلك في نظرهم الى افساد المعنويات القتالية لدى الجندى الروماني كما انه لم يؤد الى تغيير محسوس في مستواهم المعيشى ،ومهما قيل عن ذلك ، فان سيفيروس أقدم على منح امتياز حق الزواج للجنود ، وهو أهم امتياز أقدم عليه الامبراطور ، والذى أدى الى ظهور الاكواخ (Canabae) بجوار الثكنات العسكرية (11) . وهو ما كان له من وجهة نظرنا نتائج سلبية على الامبراطورية ، رغم انها كانت في صالح الجيش ، وذلك باعتبار ان هذه الامتيازات قد قللت من الروح القتالية لدى الجندى الروماني الذى بدأ يميل الى حياة الاستقرار والهدوء (12) . وهو ما دعمه في رأينا آخر السيفيريين بتوزيعه الاراضي على الجنود الموجودين في الحدود (13) . وهذه الاعمال كلها قد قوضت مجلس الشيوخ والطبقة الارستقراطية التي فقدت الكثير من نفوذها بعد اعتماد السيفيريين على طبقة الفلاحين الذين بدأوا يتسلقون سلم المراتب العسكرية بالتدريج .

3 — خطوط الليمس :

لجأ سيفيروس بعد أن أجزل العطاء على الجند الى الطور الثالث من الاصلاحات التي خصصها لتنظيمات عسكرية جديدة تشمل جميع الولايات وتتمثل في انجازه لخطوط الليمس (14) (الحدود) التي سنحاول تتبع أهم

(11) Besnier (M.), Op. cit., p. 39;

(12) Hérodianus, III, p. 602.

(13) Lampridius (Aelius), Alexandre Severe, 58,3. dans l'Histoire Auguste, trad. M. Nisard, Ed. Firmin Didot, (Paris 1855).

(14) Gage (Jean), Les classes sociales dans l'Empire romain, ed. Payot, (Paris 1964), pp. 279-280.

أقسامها في المنطقة المغاربية . والتي كان يستهدف من ورائها التعجيل بالحاق المنطقة واثبات تبعيتها لروما ، عاملا بكل حزم على توسيع الخريطة السياسية للامبراطورية الرومانية كلما أمكنه ذلك (15) .

ثانيا - أقسام الليمس :

كانت سياسة الامبراطور سيفيروس قد اعتمدت على التوسع جنوبا ، ثم السعي الى تحصين ومراقبة المراكز الرومانية بهدف صد غارات القبائل الرحل التي كانت تجتاح بين الحين والآخر هذه المراكز التي عمل الامبراطور على تدعيمها بانشاء مجموعة من القلاع والخطوط التي تشكل في مجموعها خط الليمس (16) ، الذى هو بمثابة جهاز دفاعي جد معقد يتركب من خندق (Fossatum) تتخلله أسوار وأبراج وحصون ومراكز محصنة ، لتسهيل عملية المراقبة ، والتبادل التجارى ، وشبكة من الطرق تتخللها مراكز عسكرية (17) .

ويمكن تقسيم تلك الآلية العسكرية في عهد السيفيريين الى قسمين أساسيين ، قسم شرقي وقسم غربي .

---

(15) Benabou (Marcel), La resistance africaine à la romanisation, ed. F. Maspero, (Paris 1976), p. 160.

(16) Mesnage (Père Jean), Romanisation de l'Afrique, Tunisie, Algérie, Maroc; ed. G. Beauchesne, (Paris 1913), p. 75.

(17) جوليان (شارل اندرى) ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالي والبشير سلامة ، الدار التونسية للنشر ، (تونس 1969) ، ص 184 .

1 ـ الليمس الشرقي :

يشتمل في مجمله على خط اقليم طرابلس الذى عرفناه بفضل بيان رحلة انطونيوس (Itineraire - Antonin) التي يتضح لنا من خلالها امتداد هذا الليمس من تالمين (Turris Tamalleni) على الضفة الشرقية لشط الجريد الى لبدة ، وهو ما يؤكده النقش الموالي :

" L'Iter quod limitem tripolitanum per Turrem Tamalleni a tacapas lepti Magna ducit."(18)

(تشكل الطريق المؤدية من قابس الى لبدة عبر تالمين حدود اقليم طرابلس .) (19)

وتشير نفس الرحلة الى ثمانية عشر مركزا على طول هذا الخط ، غير أن الباحثين المحدثين والأثريين لم يعثروا الا على مركز واحد ، هو مركز سيدى محمد بن عيسى (Bezéros) (20) الذى دعمه وحصنه السيفيريون على ما يفهم من

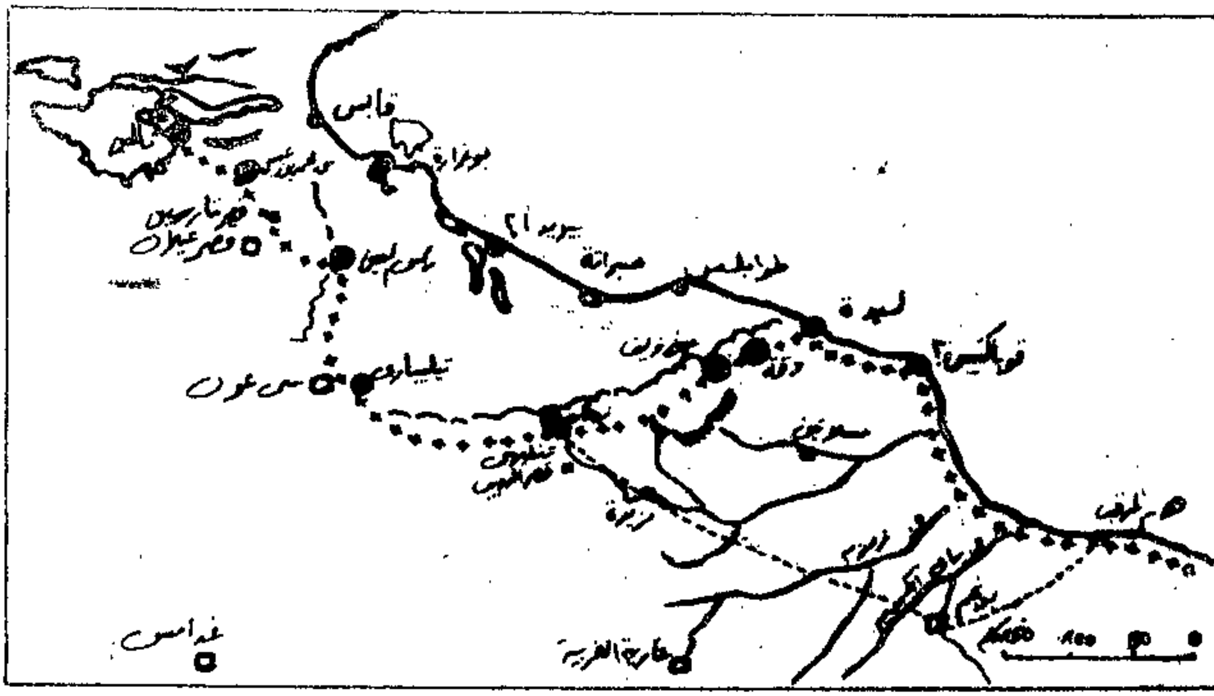
---

(18) Courtois (Christian), <u>Les Vandales et l'Afrique</u>, ed. Arts et Metiers graphiques (Paris 1955), p. 70.

(19) انظر الخريطة رقم 2 ص 25 .

(20) حول هذا المركز انظر :

Rebuffat (R.), "Nouvelles recherches dans le sud de la Tripolitaine", <u>C.R.A.I. et belles lettres</u>, (Avril-Juin 1972), pp. 338-339.



قلاع عتيقة ◻
مراكز عسكرية ●
الحدود الجنوبية للإمبراطورية + + +
حدود طريق الاستطلام - - - -

الخريطة رقم - 2 - القسم الشرقي من الليمس
والمراكز العسكرية
نقلا عن كورتوا :

Courtois (Chr.), les Vandales et l'Afrique
(Paris 1955), P.75

نقشين عـثر عليهما في المنطقة ، يشير الاول منهما الى آخر الاباطرة الانطونيين ، بينما يشير النقش الثاني الى أسماء ثلاثة من الأباطرة السيفيريين ، وهم : سبفيروس وكراكلا ثم جيتا (21) ، فيكون المركز قد أنشأ في عهد الأوائل ودعم وحصن في عهد الاخيرين .

واذا كنا لا ننكر ان خط الليمس كان قد اقيم في عهود سابقة للسيفيريين ، فان دور هؤلاء يتجلى في تزويده بمجموعة من القلاع أولا ، واقامة خط دفاعي أمامي له يتكون من مجموعة من القلاع ، تمتد على طول الخط ثانيا . ويرى بعض المؤرخين ان خط الليمس هذا لم يتوقف عند لبدة ، وانما امتد حتى هنشير المرقب (22) (Macomades Maiores) على الساحل ، من حيث يبدأ الخط الدفاعي الامامي الداخلي ، وهو عبارة عن مجموعة من القلاع تمتد من قلعة بونجم (Bun Jem) الى غارية الغربية (Gharia el - Gharbia) وغدامس (23) (Ghodames) ، وهي قلاع تم انشاؤها في عهد الامبراطور سيفيروس . ونلاحظ الامتداد الشديد لهذه القلاع في قلب الصحراء ، مما يشعرنا بحرص السيفيريين على ربح مساحات واسعة لصالح الامبراطورية الرومانية (24) . وقد واظب خلفاء الامبراطور على ترميم وتدعيم هذه القلاع .

---

(21) حول هذين النقشين وما يحتويان عليه انظر :
-Merlin (Alfred), "Le fortin de Bezereos sur le limes tripolitain", C.R.A.I. et belles lettres, (1921), pp. 236-248.

(22) انظر الخريطة رقم 2 ص 25 .

(23) لمعرفة مواقع هذه القلاع انظر الخريطة رقم 3 ص 27 .

(24) Euzennat (M.), "Quatre années de recherches sur la frontière romaine en Tunisie meridionale", C.R.A.I. et belles lettres, (Janv.- Mars 1972), p. 19.

ونجد بين الخط الامامي الذى تمثله القلاع المذكورة والخط الرئيسي ، قلعتي قصر غيلان (Tisavar) وسي عون (Si Aoun) اللتين تعتبران بمثابة الخط الدفاعي الثاني قبل الوصول الى الخط الرئيسي . وكانت كل هذه القلاع تحت حراسة ومراقبة الفرقة الفلافية الثانية ، على ما يستنتج من النقوش التي تشير الى انشاء القلعتين بأمر من السيفيريين ، و بعناية قائد الفرقة الفلافية الثانية (25)

اذا كنا قد أشرنا سابقا الى أن بيان رحلة انطونيوس تشير الى وجود ثمانية عشرة محطة على طول الخط الرئيسي لليمس ، وان الاثريين لم يتعرفوا الا على مركز واحد بصفة مؤكدة ، هو مركز " سيدى محمد بن عيسى " ، فان هؤلاء الأثريين تمكنوا من تحديد مواقع أحد عشر مركزا ، حاولنا بدورنا تحديدها على الخريطة اعتمادا على الباحث كورتوا (26) .

2 ــ الليمس الغربي :

تظهر بداية هذا القسم الى الغرب من شط الجريد وتمتد حتى المحيط الأطلسي . ويمكننا هنا أن نذكر بامتداده العام من وادى جدى حيث يميل باتجاه الشمال الغربي مرورا بالحواف الجنوبية لشط الحضنة ، ثم يتجه نحو عين قريميدى في ضواحي حوض الشلف . ومن هنا يمر على الأطراف الشمالية للسهول العليا حتى لالا مغنية (Numerus) حيث نفقد أثره (27) ، لكن يبدو انه واصل سيره

---

(25) Trousset (Pol), Recherches sur le limes Tripolitanus du chott el Djerid à la frontière tuniso-libyenne, ed. C.N.R.S., (Paris 1974), p. 120.

(26) انظر الخريطة رقم 2 ص 25 .

(27) Seston (W.), " Le secteur de rapidum sur le limes de Mauretanie Césarienne", M.A.H., t. 45, (1928), pp. 150-183.

الى ما وراء ذلك (28) ، حيث عثر على أثره على بعد عشرة كيلو مترات الى الجنوب من الرباط (29) . مما يدل على استمرار هذا الخط حتى المحيط الاطلسي . ونظرا للامتداد الواسع لهذا الجزء رأينا ضرورة تقسيمه الى ثلاثة فروع هي :

أ ـ ليمس نوميديا :

اذا كان البعض يرى ان السيفيريين لم يضيفوا الكثير الى خط الليمس في الولاية النوميدية ، فاننا نرى في تأسيسهم لقلعة مسعد (30) (Castellum Dimmidi) ما يدل على تفطن هؤلاء الى الاخطار التي تهددهم من هذه المنطقة ، مما دفعهم الى انشاء هذه القلعة بهدف صد تلك المخاطر ، ويعود الفضل في تأسيسها الى الامبراطور سيفيروس الذى أمر بانجازها سنة 198م . ويدل اختيار هذا الموقع على استراتيجية عسكرية دقيقة عند الامبراطور ، اذ تقع هذه القلعة على أطراف واد ديماد (Oued Demmed) ، ملتقى طرق الرحل ، المؤدية الى جبال أولاد نايل والقنطرة (31) ، على بعد مائتي كلم الى الجنوب الغربي من معسكر جميلاى (32) .

---

(28) انظر الخريطة رقم 4 ص30 .

(29) Rouland (Marechal), "Le limes de Tingitane au sud de Sala Colonia", C.R.A.I. et belles lettres, t. I4 (I924), pp 461-468.

(30) Picard (G. Ch), Castellum dimmidi, E d. De Boccard (Paris I947), p. 45.

(31) Albertini (E.), Massiera (P.), "Le poste romain de Messad", R. E. A., t. 40-41 (I938-I939), p. 241.

(32) Harmand (Louis), L'occident Romain,Gaule, Espagne, Bretagne, Afrique du Nord (31 av. JC-235 ap JC), Ed. Payot, (Paris I960), p. 276.



الخريطة رقم: -٤- افريقيا الرومانية في القرن الثالث

نقلاً عن: J. DESPOIS, l'Afrique blanche française (2 Vol.), T. 1, l'Afrique du Nord, Ed. P.U.F. (Paris 1960) ..

تعتبر قلعة مسعد مركزا محصنا ، وضعه الامبراطور تحت مراقبة فرقة سورية خبيرة بخفايا الصحراء ومتعودة على الحياة الصعبة على ما يذكر بعض المؤرخين (33) حتى تتمكن من مراقبة الطرق الصحراوية ووضع حد لظاهرة التنقل التي يقوم بهـا الرحل نحو الشمال (34) .

وقد اعتبر بعض المؤرخين انشاء القلعة المشار اليها بمثابة خطوة أولى لسياسة توسعية رومانية تمتد الى ما وراء وادى جدى . اذ تمكن الرومان من التعرف على طريقين هامين الاول يربط بين شط ملغيغ والحضنة ، والثاني يمتد من تهودة (Thabudeos) الى جنوب وادى جدى ، الذى يعتبر أقصى نقطة وصلها الرومان ،وهذا في عهد السيفيريين (35) ، وهو ما يمكننا اعتباره انجـازا ضخما يعد من أبرز مظاهر السياسة التوسعية التي ميزت حكم السيفيريين الأفارقة ، وخاصة في عهد مؤسس هذه الأسرة ، وهي سياسة تمثل بدون شك نقطة ارتكاز جعلت روما تتفطن الى مكانة الصحراء ، وأدركت انها ان لم تتمكن من التحكم والسيطرة عليها ، فان وجودها في شمال افريقيا سيبقى مهددا على الدوام (36) .

غير أن هذا التوسع كان قد وضع الرومان في مواجهة قبائل الجيتول التي قاومت سياستهم التوسعية مقاومة مستميتة (37) .

---

(33) Decret (F.), et Fantar (M.), <u>L'Afrique du Nord dans l'antiquité: des origines au Veme siècle</u>, Ed. Payot (Paris), 1981, p. 175.

(34) Rachet (M.), Op. cit., p. 216 .

(35) Picard (G. Ch), Op. cit., pp. 51 - 52 .

(36) Decret (F.), Fantar (M.), ID., p. 175.

(37) Picard (G. Ch), ID., p. 60.

ورأى بعض الباحثين ان الهدف من هذه السياسة التوسعية لم يكن عسكريا ، بقدر ما كان هدفا اقتصاديا (38).

وقد نجد في النقش التالي ما يؤكد وجهة النظر هذه :

" Ese auctoritate imp(eratorum trium)/ Caes(arum) L(ucii) septimi Severi et M(arci) Aurelü Antonini et P(ublü) septimi Getae Aug(ustorum trium). Agri et / pascua et fontes adsi / gnata... ma ? /... curantibus Epag/ atho et Manilio caeciliano corniculario/ praef(ecti), Jussu Anici Fa/usti leg/ ati co/ n/s(ulis) per M(arwm) Cennium/ Felicem evocatum/ leg(ionis)III Aug(ustae)"(39).

" بموجب سلطة اباطرتنا وقياصرتنا الثلاثة لوكيوس سبتميوس سيفيروس ، ماركوس اوريليوس انطونيوس ، وبابليوس سبتميوس جيتا ، كلهم أغسطس ، الحقول ، المراعي ، والينابيع الموزعة .... والتي يعتني بها ايباغاتوس ، ومانيليوس كيكيليانوس صف ضابط (أمين) الحاكم ، وبأمر من انيكيوس فوستوس قائد قنصلي ، انجزت من طرف ماركوس جينيوس فيلكس من قدامى الفرقة الاغسطية الثالثة ."

فتركيز هذا النقش على ذكر المزارع والمراعي والينابيع التي وزعت بأمر الامبراطور سيفيروس جعل أصحاب هذه الوجهة يرون في عملية التوسع هذه أهدافا اقتصادية .

(38) Benabou (M.); Op. cit., pp. I7I-I72.

(39) Leschi (Louis), "Une assignation de terres en Afrique sous Septime-Sevère", Recueil de Constantine, t. 76 (I948), pp. IO3-112.

لم يكن تشييد قلعة سعد هو عمل السيفيريين الوحيد في الولاية النوميدية ، اذ أنشأ سيفيروس طريقا تربط القنطرة بجبال الظهرة حيث انشئت قلعة أخرى هناك عرفت بقلعة (الظهرة) والتي كانت بمثابة قاعدة أمامية لتموين قلعة سعد من جهة واقامة الفرسان من جهة ثانية (40) .

ب ـ ليمس موريطانيا القيصرية :

تتمثل أهم أعمال السيفيريين وخاصة الامبراطور سيفيروس في موريطانيا القيصرية ، في التركيز على التوسع العسكرى واحتلال أراضي جديدة (41) ، والعمل على توسيع حدود الامبراطورية ، ذلك ان سكان تلك المناطق الجبلية الواقعة الى جنوب الليمس ، كانوا غير خاضعين لأية سلطة ، وعلى استعداد دائم ، للنزول الى المناطق التلية ، كلما سنحت الظروف بذلك ، وهو ما دفع سيفيروس للعمل على حماية السهول التلية باقامة مجموعة من القلاع على طول خط الليمس لمراقبة تحرك هذه القبائل أولا ثم قطع صلة القبائل القاطنة بالهضاب والصحراء بالتل ثانية ، وهذا عوضر ملاحقتها في مناطق وجودها (42) .

كما عمل على شق طريق يربط بين سطيف (Sitifis) وسور الغزلان (Auzia) ، وهو ما يستشف من نقش (43) عثر عليه في ضواحي برج

(40) Carcopino (Jérome), " Le limes de Numidie et sa garde Syrienne", Syria, t. 6, (1925), pp. 54-55.

(41) Benabou (M.), Op. cit., p. 173.

(42) Mesnage (P. J.), Op. cit., p. 75.

(43) Salama (Pierre), "Nouveaux témoignages de l'oeuvre de Septime-Sevère dans la Mauretanie Césarienne", (1ere partie) Libyca (Arch. Epig.), t. I (1953), p. 232.

خريس ، كما أقام السيفيريون قلاعا أهمها قلعة بوغار (Boghar) وقلعتي عين قريسيدى وعين توتة (Aïn touta) ، وهذا سنة 198م ومركز طرايـــس (Tatilti) لمراقبة المنافذ المؤدية الى المناطق الجنوبية ومراقبة تحركات القبائل القاطنة في ضواحي شط الحضنة .

ويفهم من النقوش التي عثر عليها في المنطقة ان سبفيروس أنشأ معسكرات شتوية الى الغرب من مركز بوغار سنة 201م (44) ، ومعسكر الاوبيدوم (45) (Oppidum) سنة 203م ، وتم ربط كل هذه القلاع والمراكز بطريق يعرف نوفا بريتنستورا (Nova praetentura) يزيد طولها عن 900 كلم ، بهدف تسهيل حركة الجيش وضمان الاتصال السريع بين عناصره وتسهيل عمليات التموين .

جـ - ليمس موريطانيا الطنجية :

وقع جدال بين المؤرخين حول ما اذا امتد خط الليمس الى الغرب من لالا مغنية أم لا ؟ وهل كانت أوضاع موريطانيا الطنجية مشابهة لمثيلاتها القيصرية ونوميديا والبروقنصلية ؟ (46)

ففي الوقت الذى يرى فيه ألبرتيني ان خط الليمس لم يتجاوز معسكر لالا مغنية ونهر التافنة ، وان طريق لالا مغنية - سيقا (Siga) يشكل نهاية الليمس الروماني لافريقيا ، فان كاركوبينو يرى امتداد خط الليمس الى ما بعد لالا مغنية

---

(44) Salama (P.), " Nouveaux témoignages...", Op cit., /236-244.

(45) ID., (2eme partie)t.3, (1955),pp.329-31.

(46) Decret (F.), et Fantar (M.), Op. cit., pp. I79-I82.

و يمتد من وجهة نظره من الساحل الغربي الى جنوب سالة و يلتحق بمصب وادى برقراق ووادى أقروش ثم يختفي في التلال حتى واد بث ، ليظهر ثانية ممتدا نحو الشمال الشرقي مرورا بفاس ومكناس مستندا شرقا على أودية منها وادى اناوان (O. Innaouen) وادى الاربعاء (O. Larba) ووادى مكون (Mcoun) و يلتحق بعدها بفتحة تازة (47) ، وهو ما يدعمه العثور على بقايا من الخندق الى الجنوب من الرباط (48) .

لم يقتصر اهتمام السيفيريين على انشاء القلاع والطرق الرابطة بينها ، وانما تجاوزها ليشمل باقي الطرق تسهيلا لحركات تنقل الجيش ، وكذا ترميم طرق أخرى ، وفي هذا الاطار يمكننا ذكر حركة اصلاح الطرق التي قام بها كراكلا . هذا الأخير الذى قام بترميم طريق قابس ـ لبدة ثم طريق لبدة الى هضاب ترهونة ، طريق طرابلس نحو فزان وطريق قابس باتجاه قفصة ، ومن هذا الاخيرة الى تالمين وأخيرا من قفصة الى توزر (Tusuros) ، اما في الولاية النوميدية ، فنراه يقوم باصلاح طريق لمباز المتجه نحو بسكرة (Vescera) والطريق الرابط بين حيدرة (Ammaedara) وفريانة (Thelepte) وطرق شنزى (Kaputtasaccura) ، وتيمزوين (Timziouine) ، وطرق حمول ترمونت (Aras) في موريطانيا .

ومن هنا نلاحظ انه خلافا لوالده ، لم يعمل على توسيع المجال الحيوى للرومان ، وانما اكتفى باصلاح ما كان موجودا ، مما يدل على ادراكه لأهمية الحفاظ على المكتسبات الرومانية في المنطقة (49) ، وهذا شأن ماكرينوس الذى اتبع

---

(47) Harmand (Louis), Op. cit., pp. 285-286.

(48) Courtois (Ch.), Op. cit., p. 79.

(49) Benabou (M.); Op. cit., pp. 185-186.

سياسة دفاعية (50) ، اما الاسكندر سيفيروس آخر السيفيريين ، فقد قام بتدعيم القلاع الامامية من خطوط الليمس ووضعها تحت حماية ومراقبة فرق مساعدة سورية كما أسس قلعة خربة عين السلطان ، وهو ما يشير اليه النقش التالي :

" Infatigabili indulgen/ti/ a / domini n(ostri) Severi/ Alexandri Pii felicis Aug(usti)/ auctis viribus et noe/ni/ bus suis Castella-/mi/ Cito/ factenses muros esc trusc/ erunt curante /t(ito)/ lici/ni/o Hie/rocle/te/ procuratore Aug(usti)/ praeside prov/in/-ciae. A(nno)pr(ovinciae)."(51)

" بارادة " مولانا " الاسكندر سيفيروس ، التقي ،فيلكس ، اغسطس ، قام سكان قلعة خربة عين السلطان ببناء الأسوار تحت ادارة تيتوس ليكينيوس هيروكلس وكيل أغسطس ، رئيس المقاطعة ، في عام المقاطعة ٠٠٠٠ "

الذى نستنتج منه انشاء الاسكندر سيفيروس لقلعة خربة عين السلطان (Cito/factenses) المحصنة تحت اشراف وكيل الامبراطور . و بعض القلاع الاخرى مثل قلعة قصر الطير (Castellum Vanarzanense) وقلعة جلال (Castellum Dianenses) ثم قلعة عين ملول (Castellum thib) ، وقلعة عين معفور (Castellum Lobrinonse) ، وقلعة بئر بو سعدية (Castellum tilirvense) ، وقلعة عين عرنات (Gurolense) ، وعين تومل (Castellum thamoblula) ،

---

(50) Rachet (M.), Op. cit., p. 223.

(51) Carcopino (J.), " Les castella de la plaine de Sétif ", Rev. Af., t. 59 (1918), pp. 6-22. (par suite Carcopino, les castella).

قلعة خربة زرقة (Castellum Cellense) وقلعة عين زادة (-Castel
lum Aurelienense Antoninianensos) (52) .

ويفهم من تاريخ اغسطس (53) ان الاسكندر سيفيروس قد اتبع سياسة استيطانية ،اذ وزع أراضي الاعالي التي استولى عليها على جنوده ، مع وضع تحت تصرفهم كل الوسائل التي تمكنهم من استغلالها ، والعبيد لخدمتها ·

وهكذا يكون السيفيريون قد حققوا جزءا كبيرا من الأهداف التي وضعت من أجلها خطوط الليمس (54) ، التي استهدفت في مرحلة أولى الحد من تحركات القبائل الرعوية ، ووقف تسربها نحو المناطق التلية الزراعية أولا ، ثم توسيع مجالهم الحيوى باقامة شبكة من الطرق لتسهيل عمليات تحرك الجيوش الرومانية ، لوقف كل تمرد أو ثورة محتملة ، والوصول بعدها الى اقامة مستعمرات وهي العملية التي أنجزها الاسكندر سيفيروس في آخر مرحلة كما رأينا ·

غير ان السياسة التي طبقها السيفيريون ، اصطدمت بردود فعل محلية ، ورغم تمكن السيفيريين من الحد من خطورتها في العديد من المناسبات لكنها ستكون سببا في تهديم الكثير من هذه القلاع والخطوط الدفاعية في مرحلة أولى ثم سببا في انهاء الوجود الروماني في المنطقة في مرحلة ثانية ·

---

(52) لمعرفة مواقع هذه القلاع انظر الخريطة رقم 5 ص 38 ·

(53) Lampridius (Aelius), Alesc. Sev, 58, 3.

(54) بلغت خطوط الليمس أقصى امتدادها في عهد السيفيريين ،وللمقارنة بين مختلف مراحل توسع هذا الخط ، انظر الخريطة رقم 6 ص 39 ·

ثالثا ـ ردود الفعل المحلية تجاه السياسة السفيرية :

سيكون للسياسة التوسعية التي سار عليها السفيريون ، بدون شك ، رد فعل محلي مغاربي (55) ، وهو ما لم يتعرض له المؤرخون لا القدماء منهم ولا المحدثين الا بشكل عرضي ، مما يجعل الالمام بهذا الموضوع أمرا صعبا امام شح وفقر المعلومات التاريخية (56) ، فحتى ديون كاسيوس وهيرود يانوس وهما المؤرخـان المعاصران لفترة السفيريين أهملا التلميح الى ردود الفعل المحلية ، حتى يعتقد المرء ان هذه السياسة مرت دون ان يحرك الاهالي ساكنا (57) ، وهو ما يجعلنا نتساءل عن مدى صحة ذلك ؟ هل مرت تلك السياسة في هدوء ، ولم يكن لها أي رد فعل ؟ واذا كان هناك رد فعل فما مدى خطورته ؟ وكيف كان موقف السفيريين منه ؟

الجواب على الشطر الاول من هذا التساؤل نجده عند صاحب تاريخ اغسطس (58) وفيكتور اوريليوس (59) ، اللذين يشيران الى بعض حركات المقاومة خاصة في اقليم طرابلس ، وهو ما أكده ترتوليانوس في النص التالي :

" Maurorum gentes et Getulorum barbaris a Romainis obsidentur ne regionum suarum fines excedant "(60).

---

(55) Benabou (M.), Op. cit., p. I75.

(56) De Ceuleneer (A.), Op. cit., p. I65.

(57) Rachet (M.), Op. cit., p. 213.

(58) Spartianus (Aelius), Vie de Sevère, I8, 3.

(59) Victor (Aurelius), Septime Severe, 20.

(60) Tertullianus, Adversus Judaeos, 7, trod M. De Genoude, (Paris I852).

" الذى يؤكد تحرك قبائل المور والجيتول رغم تمكن الرومان من ايقافهـــم عند حدهم . " لكن لا نص ترتوليانوس ولا اشارتي فيكتور اوريليوس و تاريخ اغسطـــس تمــكننا من تحديد تاريخ هذه الانتفاضة ولا مدى خطورتها !

واذا كنا نفهم من سبارسيانوس (61) في ترجمتـه لسيفيروس ان هذا الأخير قد أرسل فرقا الى افريقيا لحمايتها من غزو نيجر المحتمل ، فانه يفهم أيضا ان ارسال تلك القوات كان من أجل التصدى لغارات الاهالي القاطنين خلف خطوط الليمس ، كما أشار نفس المؤرخ الى عمليات تطهير قام بها سيفيروس في اقلـــيم طرابلس ، ولا نستبعد أن تكون هذه الثورات وراء اقامـــته للقلاع السالفة الذكـــر التي استهدف من ورائها حماية الاقليم من غارات الأهالي (62) .

ان سكوت المـــصادر عن تلك الأحداث لم يكن خاصا بالجهة الشرقية البروقنصلية واقليم طرابلس) فقط ، بل كان عاما يشمل ايضا ولاية نومـــيدية الـــتي سكـــتت المـــصادر عن أحداثها هي الأخرى ، لكن هل يمكـــننا أن نربط الاضطرابات التي عرفتها منطقة الأوراس في سنتي (197 ـ 198م) بالتوسع الروماني فـــي المـــنطقة (63) ؟ رغم اننا لا نملك جوابا قطعيا في الموضوع ، لكن نجد في حادثة نقل الفرقة الاغسطية الثالثة الى لمـــبازيس (Lambaesis) ما يدعم هذه الفكرة .

اما في الموريطانيتين (القيصرية والطنجية) فالنصوص الأدبية والنقـوش

---

(61) Spartianus (Aelius), Vie de Severe, 8.

(62) انظر ما سبق ص 26 .

(63) Benabou (M.), Op. cit., p. I78.

التي تحدد الصلات العسكرية بين الولايتين يمكن أن يستشف منها الوضع العسكرى في المنطقة ، اذ يفهم من تاريخ اغسطس أولا أن المور لم يقلقوا بال الرومان فحسب بل وصلوا بعملياتهم حتى اسبانيا (64).

والملاحظ ان هذه النصوص تتحدث عن النشاط العسكرى الروماني ضد الموريين منذ عهد الامبراطور سيفيروس ، لكن غارات الموريين على اسبانيا جعلت الكثير من المؤرخين يتساءلون ما اذا كانت تلك الاعمال موجهة ضد الامبراطورية الرومانية ؟ ام هي عبارة عن أعمال قرصنة ؟ (65) رغم ان هؤلاء المؤرخين لم يكلفوا أنفسهم جهد الاجابة على هذا التساؤل ، غير اننا لا نستبعد أن تكون هذه الاعمال كرد فعل على السياسة العدائية التي انتهجها سيفيروس تجاه السكان بمحاولة الحد من تحركاتهم .

لقد تحدث بعض المؤرخين (66) عن اتفاق بين قائد قبيلة البقواط (Baquates) الیلاسن (Illilasen) وحاكم موريطانيا الطنجية (Caius Sertorius Cattianus) وهذا سنة 200م ، ومعناه أن هذا الاتفاق جاء بعد فترة صراع بين الطرفين . وأشارت النصوص أيضا الى تحركات خطيرة في مناطق مستفرقة من بلاد المغرب القديم سنة 201م ، أخطرها الهجوم الذى قام به سكان منطقة القبائل الكبرى على المنطقة الساحلية روزازوس (أزفون حاليا) ، وهو الهجوم الذى تصدى له فرسان فرقة الا مليانة (Ala Miliana) الذين خلدوا

---

(64) Euzennat (Maurice), " Les troubles de Mauretanie", C.R.A.I., et belles lettres, (Avril-Juin I984), p. 384.

(65) Frezouls (Edmond), " La résistance armée en Mauretanie Césarienne de l'annexion à l'epoque Sevérienne: Un essai d'apprèciation", C.T., t. 29 (I981), pp. 41-42.

(66) Benabou (M.), Op. cit., p. I78.

انتصارهم على هؤلاء السكان ، باقامة نصب تذكارى . وفي السنة الموالية (202م) سجلنا اضطرابات أخرى على ما يفهم من كانيا [67] . ولا نستبعد أن تكون للأحداث التي عرفتها البروقنصلية سنة 203م علاقة بزيارة الامبراطور للمنطقة ، وهي الأحداث التي استغلتها القبائل المورية وهددت حاكم الولايتين (القيصرية والطنجية) [68].

ان سكوت المصادر عن حركات المقاومة بعد وفاة سيفيروس، وحتى أوائل عهد الاسكندر ، يطرح اشكالا حير المؤرخين الذين ذهب بعضهم الى القول بتوقف حركة المقاومة طيلة تلك المدة [69] .

وهو ما يدفعنا الى القول أن ردود الفعل المحلية كانت مرتبطة بالسياسة المنتهجة من طرف الاباطرة السيفيريين ، ففي الوقت الذى نجد فيه الاهالي يتصدون لسيفيروس الذى انتهج سياسة توسعية نجدهم يسالمون خلفاءه الاوائل الذين اكتفوا بالحفاظ على المكتسبات التي حققها والدهم ، لكن بمجرد عودة هذه السياسة التوسعية الاستيطانية التي طبقها الاسكندر سيفيروس بتوزيع الاراضي على الجنود ، عادت حركة المقاومة من جديد وهو ما يستشف من النقش الذى عثر عليه في أوزيا :

" Genio pr[ov(inciae)] / [M]auretaniae Caes[ariensis] / [F] ortunae Sin[gulari] / [C]oloniae Auziensuim/ /rebas

---

(67) Cagnat (René), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, 2eme Edition, Imp. Nationale, (Paris I912), p. 54.

(68) انظر ما سبق ص8 .

(69) Rachet (M.), Op. cit., p. 222.

prospe [regestisin] [desperatissim [amturb] am et /
factionem E [...] mis / T(itus) Licinius Hier[ocle]s proc(urator)/
Aug(usti) praeses pro/[vinciae] Mau / retania Caesa/[rien] sis/ v(otum)
L(ibens) [s (olvit)]..."(70)

" اعترافا لعباقرة مقاطعة موريطانيا القيصرية ، وعلى شرف سكان أوزيا خاصة ، تمت ادارة الاعمال لفائدة اناس المنطقة الذين كانوا قد أصيبوا باليأس ، من أجل ذلك قدم تيتوس ليكينيوس هيروكلس وكيل اغسطس ، والي مقاطعة موريطانيا القيصرية نذوره بكل رضاء وامتنان ... " .

اذ يتضح من استخدام كلمة (Factie) في النقش ان الثورة كانت داخل حدود الليمس وكانت عارمة ، مما تطلب طلب المساعدة من خارج ولاية موريطانيا القيصرية ، وعثر على نقش آخر يعود تاريخه الى نفس السنة (227م) يشير الى تحصين قلعة خربة عين السلطان الواقعة الى الجنوب من سطيف وقلعة عين ملول مما يدل على الاضطرابات التي عرفتها هذه المناطق (71) .

اضافة الى التحصينات التي وضعت حول القلاع القديمة ، اضطر الاسكندر الى انشاء مجموعة أخرى من القلاع — كما أشرنا الى ذلك سالفا —(72) وهذا ربما نتيجة الاخطار التي نجمت عن نزوح قبائل الجيتول نحو المناطق الشمالية ، وقد فسر كاركوبينو(73) سياسة التحصينات التي لجأ اليها الامبراطور ، بالظروف

---

(70) H. D'Es.curac. Doisy, "Un soulevement en Mauretanie Césarienne sous Sevère Alexandre", M. A. H., offert à Pigoniol, (Paris 1966), p. 1192.

(71) نفس المرجع ، ص1197—1198 .

(72) انظر ما سبق ص 36 .

(73) Carcopino, Les castella... p. 16.

الجديدة الناتجة عن حركة المقاومة في المنطقة ،والتي لم يتمكن الاسكندر من وضع حد لها ، بل استمرت حتى فترة حكم الوالي كلوديوس قسطانس .

لم تقتصر حركات المقاومة في عهد الاسكندر سيفيروس على موريطانيا القيصرية ، بل امتدت حتى موريطانيا الطنجية وهذا سنة 234م ، اذ تشير نصوص حياة الاسكندر الى قمع الثورات في هذه الولاية (74) وهو ما يؤكده نقش عثر عليه في وليلي (Volubilis) (75).

رغم اننا نجد في النقش اشارة الى اتفاق بين الاهالي الممثلين في قبائل البفار والبقواط والامبراطور الممثل في حاكم ولاية موريطانيا الطنجية ، غير أن ذلك لم ينه الصراع الذى تواصل طيلة عهد الاسكندر سيفيروس ، بل طيلة فترة الحكم الروماني (76).

وخلاصة القول تعتبر فترة حكم السيفيريين بمثابة فترة حاسمة بالنسبة لتاريخ افريقيا الرومانية حيث وصلت الحدود الرومانية الى أقصى امتداد لها . كما أنها عرفت نموا اقتصاديا معتبرا كان نتيجة للاهتمام الذى أولاه السيفيريون للمنطقة ، وهو ما دفع البعض الى التساؤل ما اذا كان انتماء السيفيريين للمنطقة المغاربية ، وراء هذا الاهتمام والعناية بالمقارنة مع الولايات الأخرى التابعة للامبراطورية ؟

---

(74) Lampridius (Aelius), Alex-Sev, 58, 1.

(75) حول هذا النقش وما يحتوى عليه انظر:
Descurac Doisy (H.), op. cit., p. 1200.

(76) Loc. cit.

لكن في رأينا هذا التطور كان تطورا ظاهريا فقط لم تستفد منه جميع عناصر السكان ، وبالتالي لم يكن تطورا كافيا ليغرى العناصر المحلية لتخضع للارادة الرومانية ، وهو ما دفع السيفيريين الى استحكام النقاط الحدودية ، وفرض الضرائب على المواطنين ، وبذلك يمكننا القول أن عصر السيفيريين لم يكن العصر الذهبي للمغرب كما يرى البعض ، ولم يعمه الاستقرار حيث ازدادت التناقضات بين العناصر المختلفة المكونة للامبراطورية ، ونتيجة لذلك اشتد الصراع بين مختلف الاطراف وهو ما تعكسه الثورات العديدة التي قامت في بلاد المغرب أثناء وبعد الحكم السيفيرى .

الفصل الثاني

الاصلاحات الادارية

أولا ـ سيفيروس يحد من صلاحيات مجلس الشيوخ

ثانيا ـ دور المشرعين في المجلس الامبراطوري

ثالثا ـ مجلس الوصاية

رابعا ـ وضعية ادارة الولايات :

1ـ فصل نوميديا عن البروقنصلية

2ـ وضعية ادارة الموريطانيتين

خامسا ـ المستعمرات والبلديات السيفيرية

سادسا ـ مرسوم كراكلا

أولا ـ سيفيروس يحد من صلاحيات مجلس الشيوخ :

اذا كان موقف مجلس الشيوخ ـ المؤيد لسيفيروس في الصراع الدائر آنذاك بين يونيانوس و سيفيروس ـ وراء اصدار هذا الاخير لمرسوم يعطي فيه الحصانة القانونية لاعضاء هذا المجلس ، فان موقف هذا المجلس أيضا المعارض لسيفيروس في صراعه مع البينوس ، كان وراء الغاء هذا المرسوم ، بعد أن قضى سيفيروس على خصومه (1) .

ولم يكتف سيفيروس بالغاء المرسوم المشار اليه آنفا ، وانما لجأ الى ملاحقة أعضاء هذا المجلس ، الذين حرمهم من كل الامتيازات السياسية والمالية والعسكرية ، وذلك بمضاعفة مكوس الامبراطورية ، ومنح قادة الفرسان القيادة العليا في الكتائب ، كما وسع من سلطة حكام المدن والبريتوار ، مما حد من سلطات المجلس القانونية (2) .

رغم ان سيفيروس لم يلغ مجلس الشيوخ ، غير ان احياءه للمجلس الامبراطوري (3) الذي ستكون له اليد الطولى في احداث الامبراطورية ، سيحد من صلاحيات هذا المجلس ، وذلك بتركيزه لكل القضايا والاختصاصات بين يديه ، فلم يعد لمجلس الشيوخ حرية التصرف أو ابداء الرأى ، لدرجة انه لم يبق له غير الترحيب بأوامر الامبراطور والمصادقة على قراراته دون نقاش (4) .

---

(1) Dion Cassius, LXXIV, 1, 2.

(2) De Ceulenaer (A.), Op. cit., p. 155.

(3) كان هذا المجلس من انشاء الامبراطور اغسطس ، وحصل على نفوذ كبير في عهد سيفيروس ، وهو في الواقع بمثابة مجلس قضائي يساعد الامبراطور في كل ما يتعلق بالمسائل القضائية .

(4) Homo (Léon), L'Empire romain, ed. Payot, (Paris 1925), p. 84

ثانيا ـ دور المشرعين في المجلس الامبراطوري :

سيطر المشرعون الكبار الذين كانوا بمثابة حكام البريتوار في عهد سيفيروس[5] وانتعش المجلس الجديد بفضل الاعمال والنشاطات الاصلاحية ، التي كان يقوم بها هؤلاء المشرعون الكبار في ذلك الوقت أمثال : بابينيانوس (Papinianus) أو لبيانوس (Ulpianus) ، وباولوس (Paulus) وموديستينوس (Modestinus) . وقد استدل البعض بتعيين هؤلاء من طرف الامبراطور على اهتمامه بالمسائل القانونية [6] ، وأكثر من هذا أعطى الامبراطور لهؤلاء الفقهاء الحرية ، لابراز أفكارهم والعمل على تحقيق المبادئ التي نادوا بها كالمساواة امام القانون بين الجميع ، ومن وجوب حماية الضعفاء والفقراء خصوصا وحماية الحياة البشرية عموما .

وهكذا برزت مجموعة من التشريعات في هذا العهد اتسمت بالعطف على ضعاف الناس من فقراء وفلاحين ، وقوانين تحميهم من تعسف الطبقة الحاكمة ، ومسيري الادارة الامبراطورية [7] ، ومن الامثلة على ذلك استجابة الامبراطور لشكاوى المزارعين التي تلقاها باصدار لوائح تنظم علاقاتهم بملاكي الاراضي ومسيري الضياع ، وقد حفظت لنا النقوش نماذج من هذه الشكاوى مثل النقش الذي وجد في افريقيا ، والمتعلق بشرعية أصحاب المياه في تملكها [8] .

---

(5) Martin (J.P.), La Rome ancienne (753 av. JC-395 ap. JC), ed P.U.F., (Paris 1973), pp. 243-244.

(6) Remondon (Roger), La crise de l'Empire romain de Marc Aurèle à Anastase, Ed. P.U.F., (Nelle. dio), (Paris 1964), p. 84.

(7) رستوفتزف ، المرجع السابق ، ص 479ـ480 .

(8) Albertini (E.), Tablettes Albertini, actes privés de l'epoque Vandale (fin du Ve s.), ed. Arts et Métiers graphiques, (Paris 1952), pp. 109-115.

ومما يبين لنا أهمية المجلس الامبراطوري اضافة الى كونه بمثابة مجلس استشاري للامبراطور يرجع اليه في المسائل القانونية تمتع أعضاؤه بامتياز قيادة الاركان مما جعلهم يتحكمون في البريتوريين و بالتالي بروز دور هذا المجلس في ادارة شؤون الامبراطورية .

اذا عرفنا ان أعضاء المجلس الامبراطوري ينتمون الى طبقة الفرسان ، أدركنا كيف قوض الامبراطور سيفيروس الطبقة الارستقراطية عامة ، ومجلس الشيوخ خاصة الذى تقلصت مهامه ، اذ فقد مهمة ادارة الولايات ، وقيادة الجيوش ، وحتى ادارة الشؤون الداخلية وتنظيم المالية التي أصبحت كلها في أيدى حكام ينتمون الى طبقة الفرسان (9) .

لم يكتف سيفيروس بما ذكرناه بل راح يكثر من العسكريين في الوظائف الادارية ، وذلك بافساح مجال التوظيف امام طبقة الفرسان ، التي زادت وتوسعت اختصاصاتها ، ومن أمثلة ذلك تعيين أحد الفرسان حاكما على بلاد ما بين النهرين ، وتعيين حكام من هذه الطبقة للكتائب الفرثية في ألبانو (بايطاليا) و بلاد ما بين النهرين . كما أعطى أهمية كبرى لمنصب قائد الحرس البريتوري ، وكذا احلال المراقبين في الولايات القنصلية محل القناصل السابقين ، وكان هدف الامبراطور من كل هذا هو افساح المجال تدريجيا امام الجنود العاديين ، ليصلوا الى أعلى المناصب في ادارة الامبراطورية (10) .

ربما يمكننا اعتبار ادخال اعضاء من غير الايطاليين في مجلس الشيوخ من بين أهم اصلاحات سيفيروس ، بحيث لم يعد يتم اختيار اعضاء هذا المجلس من بين الايطاليين فقط ، كما جرت العادة قبل ذلك ، بل فتح المجال أمام

---

(9) Remondon (R.), Op. cit., p. 83.

(10) رستوفتزف ، المرجع السابق ، ص 476-477 .

الولايات وخاصة الشرقية دون الغربية ، اضافة الى العديد من الافارقة . والسر في ذلك ، في رأينا ، يعود الى المكانة المعتبرة التي كانت تتمتع بها افريقيا في الامبراطورية ،زيادة على انتماء الامبراطور الى المنطقة مما يجعله يثق في أبناء جلدته ثقة كبيرة ، ومما تجدر ملاحظته أن جل العائلات التي وصلت الى المناصب السيناتورية تنتمي الى المراكز الحضرية المترومنة منذ زمن بعيد كالبروقنصلية ونوميديا شأنها في ذلك شأن عائلات القرن الثاني الميلادي ، هذا في عهد سيفيروس وابنه كراكلا ، خلافا لذلك نلاحظ تراجعا عن هذه السياسة في عهدي هليوجابالوس والاسكندر سيفيروس حيث ارتفع عدد الايطاليين في عهدهما على حساب ممثلي الولايات (11) وقد يكون ذلك وراء قول صاحب تاريخ اغسطس (12) ان الاسكندر سيفيروس قد سلم السلطة من جديد لمجلس الشيوخ ، وهذا خلافا لجاردي (Jardé) الـذي يرى ان الاسكندر لم يغير شيئا في العلاقات بين الامبراطور ومجلس الشيوخ ، وانه لم يحدث تغييرا من شأنه اعادة السلطة الى يد هذا المجلس .

رغم ما لاحظناه من تراجع في سياسة هليوجابالوس والاسكندر فان ذلك لم يحدث خللا في تشكيلة أعضاء مجلس الشيوخ في الفترة الممتدة من سنة 217 م الى 235م ، اذ أن كل ما حدث في الأمر ، ان عدد الايطاليين أصبح مساويا لعدد المشارقة 50 ٪ (13) ، كما يمكننا ملاحظة ارتفاع ممثلي افريقيا ـ موضوع دراستنا ـ من 6 ٪ في عهد تراجانوس (98-117م) الى 16 ٪ في عهد هادريانوس (117-138م) ليتضاعف هذا العدد في عهد السيفيريين و يصل الى 32 ٪ (14) ، ويرجع بعض المؤرخين أسباب ذلك الى عجز ايطاليا عن توفير موظفين أكفاء

(11) Lambrechts (P.), La composition du Sénat-Romain de Septime Sevère à Diocletien (I93-284), Ed. Anastatica, (Rome I968), pp. 83-85.

(12) Lampridius (Aelius), Vie d'Alex-Sev., 53.

(13) Lambrechts (P.), Op. cit., p. 86.

(14) Martin (J.P.), Op. cit., p. 247.

للامبراطورية ، غيرانا لا نستبعد أن يكون سيفيروس قد لجأ الى ذلك بهدف تكسير النفوذ الايطالي في الامبراطورية الرومانية ، واعطاء الشرق مكانته في هذه الامبراطورية. والا كيف نفسر تقلص عدد ممثلي الولايات الغربية في عهد سيفيروس، والذين تقلص عددهم من 56 ٪ في عهد تراجانوس الى ما بين 10 و15 ٪ في عهد السيفيريين(15).

ان استمرار هؤلاء المشرعين في مناصبهم ، بعد سيفيروس يدل على المكانة الهامة التي يحتلها هذا المجلس، في الامبراطورية الرومانية ، حيث نجد انه بالرغم من اهتمام كراكلا بالجانب العسكري ، وحماية حدود الامبراطورية المترامية الأطراف ،فلم يهمل شؤون هؤلاء المشرعين ، بل ترك الامر لوالدته " يوليا دومنا " التي ساعدته في تسيير الشؤون الادارية ،وهي التي أولت عنايتها لهذا المجلس، وكذا نشاط مشرعيه ، ومما يؤكد ذلك ، ان كل القوانين التي صدرت منذ تولى كراكلا الحكم (211م) الى غاية وفاته سنة 217 م، تؤكد على معالجة ظروف العبيد وأمور البسطاء من ارث وزواج (16).

وعموما يمكننا اعتبار عهد كراكلا استمرارا لسياسة والده ، اذ لم نسجل أية تغييرات في السياسة الملكية ، بل سارت الامور على منوال سياسة سيفيروس، مع فتح أبواب روما للتأثيرات القادمة من المشرق . وهذا خلافا ربما لعهد الاسكندر الذي تولى الحكم وهو صغير السن ، مما دفع والدته وجدته على انشاء مجلس للوصاية الى جانبه .

---

(15) Martin (J.P.), Op. cit., p. 247.

(16) Besnier (M.), Op. cit., p. 60.

ثالثا ـ مجلس الوصاية :

رغم سكوت ديون كاسيوس عن الأحداث والتحولات التي عرفتها الامبراطورية في عهد الاسكندر سيفيروس ، فان هيروديانوس يشير الى ذلك بقوله ان النظام الاداري في عهده عرف تغيرا واقترب كثيرا من الطبقة الارستقراطية ، بعد انشاء مجلس الوصاية (Conseil de regence) المتكون من ستة عشر عضوا ، لكن مجلس الوصاية هذا لم يلغ نشاط ودور المشرعين (17) ، وهو ما يمكننا ادراكه عند صاحب سيرة الاسكندر (18) ، الذي يشير في النص التالي الى استمرار المجلس الامبراطوري في دوره الاستشاري اذ يقول ان الاسكندر : " لم يسن أي تشريع ، دون استشارة وأخذ رأي الاختصاصيين العشرين ، العارفين بشؤون القانون ، وكذا الخمسين من كبار العارفين . "

لكن ما يمكن ان يستشف من النص السالف الذكر اضافة الى استمرار دور المشرعين (مجلس العشرين) الذين ينتمي أغلبيتهم الى طبقة الفرسان هو ظهور جماعة أخرى من الاعيان (مجلس الخمسين) الذين ينتمي أعضاؤها الى مجلس الشيوخ وبذلك أصبح أعضاء مجلس الشيوخ يشكلون الأغلبية في هذا المجلس ، واختفى بذلك الصراع السائد بينهم ، و" المجلس الامبراطوري " حيث كانت قرارات هذا المجلس تناقش وتنتخب من طرف الخمسين نائبا (19) .

---

(17) Besnier (M.), Op. cit., p. 90.

(18) Lampridius (Aelius), Vie d'Alexandre, I6, 1.

(19) Jordé (Auguste), Etudes critiques sur la vie et le règne de Sevère Alexandre, Ed. De Boccard, (Paris I925), pp. 24-25.

يذكرنا مجلس الوصاية هذا بالطرق المعمول بها قديما في المجلس الامبراطوري ايام الامبراطورين اغسطس وتيبريوس ، اللذين كانا يستدعيان عددا من أعضاء مجلس الشيوخ للمداولة معهم في المسائل العامة ، مع اختلاف طفيف يكمن في ان أعضاء المجلس السابق (أغسطس وتيبريوس) يعينون اما عن طريق القرعة أو بانتخاب وتصويت مجلس الشيوخ عليهم [20] ، خلافا لعهد الامبراطور الاسكندر سيفيروس ، الذي كان يختارهم بنفسه دون العودة الى المجلس ، وبذلك أصبحوا لا يمثلون مجلس الشيوخ ، بقدر ما يمثلون الامبراطور نفسه هـذا من جهة ، ومن جهة أخرى لم يبعد المشرعون الذين ينتمون الى طبقة الفرسان ، والذين كانوا بمثابة موظفين للامبراطور وانما أصبحوا يشكلون أقلية فقط [21] . وخلافا لتاريخ اغسطس ، يرى هيروديانوس [22] انه الى جانب المجلس الامبراطوري ، تأسس مجلس الوصاية المكلف بالسهر على تصرفات الامبراطور وذلك نظرا لصغر سنه ، لكن بمرور الزمن وضع الامبراطور يده على المسائل العامة ، واختفى مجلس الوصاية .

اضافة الى هذا ، يرى صاحب تاريخ اغسطس [23] ان الامبراطور الاسكندر سيفيروس بعد تطهيره لمجلس الشيوخ أخذ يستشيره باستمرار في القضايا الخاصة المتعلقة بتسيير شؤون الامبراطورية كاختيار حكام المدن وقادة البريتوار والقناصل وحكام الولايات . وأكثر من ذلك كان يستشيره حتى في تسيير المجلس الامبراطوري والرتب التي تمنح لحكام البريتوار ، وأكد مترجم سيرة الامبراطور ، انه لم يقم باصدار أى قانون دون الاخذ برأي المجلس ذى السبعين عضوا من بينهم عشرين مشرعا

(20) Suetonius (C.T.), Vies des douze Césars, (2 vol.), trad. Rat Maurice, Ed. Garnier frères, (Paris 1931), Vie de Tiberius, 55.

(21) Jordé (A.), Op. cit., p. 25.

(22) Hérodianus, VI, p. 626.

(23) Lampridius, Vie d'Alexandre, 15, 1; 19, 1-3; 43, 2.

وخمسين من أعضاء مجلس الشيوخ المشار اليه سلفا . وهذا خلافا لرأى ديون كاسيوس (24) الذى يقول ان الاسكندر سيفيروس ، هو الذى كان يعين الموظفين الامبراطوريين ، وكذا القضاة دون تدخل الشعب أو الاخذ برأى مجلس الشيوخ ، بل هو الذى يرقى بمحض ارادته هذا أو ذاك الى رتبة الفرسان ، واعطائه صفة عضو مجلس الشيوخ .

مهما كان رأى ديون كاسيوس ، فما يمكننا قوله ان المجلس الامبراطورى استمر يلعب دوره كما كان عليه أيام سيفيروس رغم تطعيمه بأعضاء من مجلس الشيوخ الذين كان يعينهم الامبراطور مما جعلهم يشعرون بالانسلاخ من مجلس الشيوخ الذى تقلصت سلطته في عهد السيفيريين .

رابعا ـ وضعية ادارة الولايات :

يمكننا القول ان أهم الاصلاحات التي قام بها الامبراطور الاسكندر سيفيروس ، والتي ستبقى احدى خصائص العهد الامبراطورى الثاني (284ـ395م) هي ادارة الولايات التي فصل فيها المهام المدنية عن المهام العسكرية ، وكذا تحويل العديد من الولايات التي كانت تسير من طرف حكام المقاطعات (Legati) الى ولايات تدار من طرف قادة الفرسان (Praesides) ، وهو ما أدى الى ايجاد حاكمين في كل ولاية : حاكم مدني وقائد عسكرى (25) .

---

(24) Dio Cassius, LII, 20, LII, 25.

(25) Besnier (M.), Op. cit., p. 100.

1 ــ فصل نوميديا عن البروقنصلية :

كان من نتائج زيارات الامبراطور سيفيروس المتعددة للمناطق المختلفة من الامبراطورية ان مكنته من معرفة وضعيات الولايات ، وتفاديا لما قد يحدث من مشاكل ، نتيجة الاتساع الهائل الذى عرفته الامبراطورية في عهده ، أقدم سيفيروس على عملية تجزئة لبعض الولايات ، ومن أمثلة ذلك تقسيم سوريا سنة 194م الى سوريا الكبرى وعاصمتها انطاكية وسوريا الفينيقية عاصمتها صور ، وهو ما فعله أيضا مع بريطانيا التي قسمها الى قسمين سنة 197م (بريطانيا العليا والسفلى) (26) .

اما في بلاد المغرب فقد فصل نوميديا عن البروقنصلية ، وأصبحت بذلك ولاية قائمة بذاتها ، وأصبح قائد الفرقة الاغسطية الثالثة حاكما لها وفق رأى بسينية (27) . ورغم الغموض الذى ساد تاريخ فصل نوميديا عن البروقنصلية لفترة طويلة ، فان العثور على مجموعة من النقوش تحمل اسماء حكام الفترة الممتدة ما بين 193م الى سنة 268م من ضمنها سبعة نقوش تحمل اللقب الكامل ، والتي يمكننا أن نفهم منها ، ان لقب " الحاكم وكيل الامبراطور نائب حاكم ولاية نوميديا " Legatus Aug. pr. pr. prov. Numid " ، ظهر لأول مرة سنة 208م ، ولقب " وكيل الامبراطور قائد الفرقة الاغسطية " الثالثة " Legatus Aug. pr. pr. leg III Aug " استمر ظهوره حتى عهد الاسكندر سيفيروس (28) ، وهو ما يمكننا القول ان تأسيس الولاية النوميدية تم بين سنوات 193ــ208م ، وهو يصادف كما نلاحظ حكم الامبراطور سيفيروس (29) ، اذ

---

(26) Platnauer (Maurice), The life and the reign of the Emperor Lucius Septimius Serverus, (Oxford 1918), p. 191.

(27) Besnier (M.), Op. cit., p. 41.

(28) Pflaum (H.G.), "A propos de la date de création de la province de Numidie", Libyca (Arch. Ep.), t. 5, (1957), p. 61.

(29) Birley (Eric), "The Governors of Numidia, a.d 193-268", J.R.S., t. 40, (1950), pp. 67-68.

ظل حاكم افريقيا حتى عهد ماركوس اوريليوس وكومودوس ، دون أن يحمل لقب " حاكم نوميديا " ، وهو ما يدل على ان نوميديا لم تنفصل بعد عن افريقيا البروقنصلية ، وهو مايشير اليه نقش يعود الى عهد ماركوس اوريليوس الذى يتبين من خلاله ان البلاد المغاربية كانت مقسمة الى ثلاث مقاطعات فقط هي : افريقيا البروقنصلية ، والموريطانيتين (القيصرية والطنجية) ، لكن نقشا آخر عثر عليه في ضواحي الأوراس يدل على ان الامبراطور سيفيروس هو صاحب هذا التعديل (30) ، وهو النقش الذى كان وراء استنتاج البعض ان الولاية النوميدية تأسست سنة 198م في عهد سيفيروس (31) ، وبذلك فصلت الادارة المالية لهذه الولاية عن محاسب افريقيا (Questor Africae) وأسندت الى وكيل امبراطورى (Procurateur Imperial) (32) .

أقدم بعدها الامبراطور سيفيروس على اصلاحات اخرى منها اضافة الى لقب الحاكم الامبراطورى (Légat imperial propreteur)لقب برايسوس (Praeses) بهدف التمييز بين الحكام الامبراطوريين للولايات (Légats imperiaux de provinces) وقادة الفرق (Légatslégionnaires) . ويتضح من ذلك ان الحاكم العسكرى ، أصبح يجمع اضافة الى سلطته العسكرية ، السلطة المدنية والادارية والقضائية . اما الاسكندر سيفيروس فغالبا ما كان يرسل الى الولايات عوض قائد البروبريتور (Légat propreteur) ، بروكيراتور (Procurateur gouverneur) ، أى استبدل الولاة الشرعيين من مجلس

---

(30) Boissière (Gustave), Esquisse d'une histoire de la conquête et de l'administration romaine dans le nord de l'Afrique et particulierement dans la province de Numidie, Ed. Hachette (Paris 1878), pp. 272-275.

(31) Boissière (G.), Loc. cit.

(32) Platnauer (M.), Op. cit., p. 192.

الشيوخ بولاة لا ينتمون الى هذا المجلس (33) .

اضافة الى ذلك ، استقبلت الولايات وكيلا للامبراطور من طبقة الفرسان . وقد استمر العمل بهذه الطريقة حتى عهد الامبراطور غوردیانوس الثالث (238 ـ 244م) ، وبذلك يمكننا أن نصف الولايات في عهد الاسكندر سيفيروس الى ثلاثة أصناف هي :

أ ـ ولايات سناتورية يتولى أمرها البروقنصل .

ب ـ ولايات امبراطورية يتولى أمرها حكام عسكريون .

ج ـ ولايات امبراطورية ـ امبريالية ـ يتولى أمرها قادة الفرسان (34) .

2 ـ وضعية ادارة الموريطانيتين :

في الموريطانيتين نجد الحاكم الامبراطوري يلقب بوكيل الامبراطور ، وهو الوكيل الذي كان يتطلب منه الوضع أحيانا ادارة الموريطانيتين معا ، ومن أمثلة ذلك الحاكم كنيديوس هايوس دیادیمنیانوس (Cn. Haius Diadumenianus) في عهد الامبراطور سيفيروس وابنه كراكلا ثم فيما بعد من طرف سالوستوس ماكرينيانوس (Q. Sallustus Macrinianus) .

والواقع ان جمع ادارة الولايتين في يد شخص واحد ، كان يتم خلال فترات الاضطرابات ، وذلك تركيزا للسلطة و تسهيلا لاتخاذ القرارات والتدخل لقمع

(33) Boissière (G.), Op. cit., pp. 294-295.

(34) Besnier (M.), Op. cit., p IOI.

الثورات (35) .

خامسا ـ المستعمرات والبلديات السيفيرية :

عرفت الولايات الافريقية في عهد السيفيريين ،وخاصة عهدى سيفيروس وابنه كراكلا ، انشاء مجموعة من المستعمرات والبلديات في البروقنصلية ، اذ أنشأ سيفيروس مجموعة من هذه المستوطنات حول حوض مجردة (36) الادنى والاوسط . ومن أهمها مستعمرة باجة (Vaga) التي انشأها الامبراطور بين سنتي 208 ـ 209م والمعروفة بـ : مستعمرة باجة السبتمية (Colonia Septimia Vaga (37)

اما البلديات التي انشأها سيفيروس وخلفاؤه من بعده فهي تنحصر بين وادى سليانة شرقا ووادى تاسا غربا ومجردة شمالا (38) ، ومنها بلدية دوقة التي نعثر عليها في النقوش بالشكل التالي :

" Municipium Septimium Aurelium liberum Thugga ou Thuggense"

" البلدية السبتمية الاوريلية الحرة دوقة " التي يتضح من النقش انها تحولت الى بلدية في عهد الامبراطور سيفيروس وابنيه كراكلا وجيتا ما بين سنتي 204ـ205م ،

---

(35) Marquardt (Joachim), " L'organisation de l'Empire romain", Manuel des antiquités romaines, (I6 vol.), trad. Gustave Humbert, Ed. Thorin, (Paris I889-I892), t. 9, pp. 48I-482.

(36) انظر الخريطة رقم 7 ص 60 .

(37) Gascou (Jacques), La politique municipale de l'Empire romain en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime Sevère, ed. Ecole française de Rome (I972), p. I68.

(38) انظر الخريطة رقم 7 ص 60.

و تحولت الى مستعمرة في عهد الامبراطور الاسكندر كما يتضح ذلك من النقش التالي :

" Licinia Septimia Alexandriana Thuggehisum "

" دوقة مستوطنة الاسكندر سيفيروس " (39) .

وتأسست بلدية عين تونقة (40) (Thignica) هي الاخرى في عهد الامبراطور سيفيروس على ما يبين النقش التالي :

" m/uni/ cipium Septimium Aurelium Antoninianum /Alexandrianum/ Herculeum frugiferum Thignica ".

" عين تونقة البلدية السبتمية الاوريلية الانطونية الاسكندرية المغذية للاله هرقل " .

وهو النقش الذى يدل أيضا على أن الاعمال تواصلت فيها في عهد الاسكندر سيفيروس .

اما بلدية هنشير المطرية (41) (Numlili) فقد تحولت الى بلدية ما بين سنتي 204 ـ 205م ، وكذا بلدية عين حجة (42) (Agbia) ، وبلدية تبرسوق (43) (Thibursicum Bure) التي تأسست في عهد الامبراطور سيفيروس وابنه كراكلا ما بين سنتي 198 ـ 211 م ، كما يتضح ذلك من النقش التالي :

" /municipium S/eptimium Aurelium Severianum Antoninianum frugiferum conoordium liberum Thibursicensium Bure ".

" تبرسوق البلدية السبتمية الاوريلية السيفيرية الانطونية الحرة " .

---

(39) Gascou (J.), Op. cit., pp. I78-I80.

(40) Loc. Cit .

(41) Ibid, p. I82.

(42) Ibid, p. I84.

(43) Ibid, pp. I85-I86.

وأنشئت بلدية هنشير بد (Auedida) بدورها ما بين سنتي
(198 ـ 211 م) على يد نفس الامبراطورين :
" municipium Septimi/um Aurelium Auddensium ".

" هنشير بد البلدية السبتمية الاوريلية " .

أما بلدية بئر الانش (Sululus) ، فتأسست فيما بين 202 ـ204م)
وقد وردت في النقوش بالشكل التالي :
" mu/nici/ p/iu/m Sept(imium) Aurelium Severian(um) Aug/ appoll (inare) ".

" البلدية السبتمية الاوريلية السيفيرية أغسطس المحمية من طرف الاله ابولو " .

يبدو ان العشيرة السيفيرية " Gens Severi(ana) " تحولت الى بلدية في عهد الاسكندر سيفيروس ، وربما هو شأن ثوزدروس (الجم) التي عرفت ، بالبلدية السيفيرية الحرة " municipium Septimia libera " وكذا مدينة سيدى الرايس (Aulodes) التي نعثر عليها في النقوش " سيدى الرايس البلدية السبتمية الحرة municipium Septimium liberum Aulodes " ، وكذلك لمبازيس التي يبدو انها تحولت الى مستعمرة في عهد الامبراطور سيفيروس .

هذا في البروقنصلية ، اما أعمال السيفيريين خارج البروقنصلية فهي ضئيلة ، تتمثل في تحويل بعض المدن الى بلديات ، كما تحول بعضها الآخر الى مستعمرات مثل كويكول (جميلة) التي يرى البعض انها تحولت الى مستعمرة

---

(44) Gascou (J), Op. cit., pp.187-191.

في عهد سيفيروس وكراكلا ، وكذلك شأن صلداى (بجاية) ، وأوزيا (ســور الغزلان) . اما روسوكورو (دلس) فقد تحولت الى بلدية في عهد الامبراطــور كلوديوس (41 ـ 54 م) ، وظلت كذلك في عهد السيفيريين (45) .

ويمكننا القول ودون تردد ان خير عمل قام به الامبراطور سيفيروس في الولايات الرومانية بالمغرب ، هو منحه الحقوق الايطالية (Ius Italicum) لبعض المدن المغاربية ، منها قرطاجة وأوتيكة ثم لبدة مسقط رأس الامــبراطور وهو ما يبينه النقش التالي (46) : " In Africa Carthago Utica Lepti Magna a dius Severo et Antonino iuris Italici factae sunt " .

" الذى يؤكد منح الامبراطور سيفيروس وابنه كراكلا الحقوق الايطالية لتلك المدن المغاربية " ، وهي الحقوق التي تجعلها تتخلص من بعض الضرائب .

سادسا ـ مرسوم كراكلا :

اذا كان الامبراطور سيفيروس قد أقدم على تلك الخطوة الجريئة بمنح الحقوق الايطالية لعدد محدود من المدن المغاربية مخالفا بذلك كل من سبقه من الاباطرة ، والعرف المعمول به حتى ذلك الوقت في الامبراطورية الرومانية ، فان ابنه كراكلا قد أقدم على خطوة أكثر جرأة تتمثل في اصداره لمرسوم سنة 212 م عرف بمرسوم كراكلا (Constitutio Antoniniana) منح

(45) Marquardt (J), Op. cit., pp. 474-489.

(46) De Ceuleneer (A), Op. cit., pp. 248-249.

بموجبه حق المواطنة الرومانية لجميع الأجانب الأحرار في الامبراطورية (47).

ورغم ان مرسوم كراكلا الذى منح بموجبه لكل المواطنين الاحرار في الامبراطورية " حق المواطنة " كانت له أبعادا كبيرة في عهده ، غير انه يبدو انه لم يكن له وقعا كبيرا في نفوس الناس . والغريب انه لم يلفت حتى انتباه المؤرخين المعاصرين ، والسبب الاساسي – ربما – يكمن في كونه جاء في صورة اجراءات مالية ، ربطت المواطنة بأعباء مالية ، مما جعل ذلك القرار الهام يمر امام أعين كتاب العصر دون أن يعيروه اهتماما يليق بمكانته التاريخية (48). فقد سكت عنه معظم مؤرخي العصر أمثال " فيكتور أوريليوس " ، " تاريخ اغسطس " ، " هيروديانوس " ، اتروبيوس " ، و " زوزيم " ، حيث لا نجد أية اشارة عند هؤلاء باستثناء اشارتي أولبيانوس (49) وديون كاسيوس (50) ، اللذين اعتبراه بمثابة وسيلة مالية تستهدف رفع مداخيل خزينة الدولة ، ولا سيما ان الاجانب كانوا معفيين من أغلب الضرائب التي كان يدفعها المواطنون (51) ،

---

(47) جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص220 .

(48) شنيتي (محمد البشير) ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في احداث القرن الرابع الميلادى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، (الجزائر 1984) ، ص 181 .

(49) Ulpianus, Digest , 1,5,17, dans les cinquante livres du Digeste de l'empereur Justinien, trad H. Berthelot, ed. Behmer et Lamort, (Metz-Paris 1805).

(50) Dion Cassius , LXXVII , 9,5.

(51) De Visscher (F) , " La Constitution Antonine et la Dynastie africaine des Severès" ,Revue internationale des droits de l'Antiquité, T8 ,(1961), pp. 237-238.

اما القديس اغسطينوس [52] فيرى في هذا المرسوم " هبه انسانيه مجانيه" .

الى جانب الاختلاف الذى نلاحظه عند المؤرخين حول أهداف وأهميه هذا المرسوم ، نجد اختلافا مماثلا بين هؤلاء المؤرخين حول صاحبه ، اذ يذكر فيكتور اوريليوس [53] ، ان هذا المرسوم لم يصدره كراكلا ، بل الامبراطور ماركوس اوريليوس ، بينما يرجعه (Saint Jean Chrysostoma) [54] للامبراطور هادريانوس ، ويعيده البعض الاخر [55] للامبراطور انطونيوس التقي (81 ـ 161م) ، بينما اكد ديون كاسيوس ان صاحب هذا المرسوم هو الامبراطور كراكلا [56] كما اختلف المؤرخون ايضا حول تاريخ صدور هذا المرسوم ، ففي الوقت الذى يميل فيه غالبيه المؤرخين الى سنه 212م ، يرى البعض الاخر ان ذلك يعود الى سنه 213م ، خلال حمله كراكلا على جرمانيا العليا [57] .

رغم ان جوليان يذكر انه بحكم هذا المرسوم اصبح جميع الاحرار

---

(52) Augustin (Saint), La Cité de Dieu (De civitate Dei), V,17, trad. P. Labriolle et J. Perret, ed. Classique Garnier, (Paris, 1946).

(53) Victor Aurelius , Caes, 16, 12.

(54) Chrysostome (Saint J.), Hom, 48, D'aprés Besnier (M), Op. cit, p. 66.

(55) Justinianus , Les novelles , 78, 5. (2vol), trad. Berenger fils, ed. Lacort (Metz, 1811).

(56) Besnier (M), Op. cit, p. 66.

(57) Seston (W), "Marius Maximus et la date de la constitutio Antoniniana " Mélanges offerts à Carcopino, (1966) pp. 877-885.

يتسابقون للحصول على هذا الحق (58) ، فاننا لا نستبعد أن يكون هذا المرسوم " قد استنكره البعض لكونه أضاف الى أعبائهم حملا جبائيا ، كانوا معفيين منه ، هذا فضلا على ان هذا المرسوم لم يضع حدا نهائيا للتمييز بين المواطنين الرومان والأجانب ، كما ان بعض مدن الامبراطورية ظلت أوضاعها القانونية متفاوتة ولزمن طويل ، بعد اصدار هذا المرسوم ، وبقي الأجانب يدفعون ضريبة الرأس (Capitation) التي لم يكن المواطنون الرومان مطالبين بها . " (59) وهو ما أثار نقاشا بين المؤرخين حول ما اذا كان هذا المرسوم ينص على بعض الاستثناءات ، خاصة بعد اكتشاف بردية جيسن (Papyrus de Giessen) ، وهو ما يرجحه بعض المؤرخين ، الذين يرون ان المرسوم استثنى من يسمون بالأتباع (60) ، وفي هذا الصدد يرى كاركوبينو (61) ان أبواب المواطنة الرومانية بقيت موصدة في وجه الفلاحين (Pagani) المبعثرين في قراهم ، وامام القبائل الريفية التي تنعدم عندها أشكال الملكية الرومانية ، والقوانين السياسية المنتشرة آنذاك في جميع أنحاء الامبراطورية . ومن هنا نجد مدينة (Vici de Mayence) على الراين لم تتحول الى بلدية الا بعد مضي اربعا وستين سنة على مرسوم كراكلا ، وهو ما نجده ايضا في

---

(58) جوليان (شارل اندرى) ،المرجع السابق ،ص220 .

(59) شنيتي (محمد البشير) ، المرجع السابق ،ص181 .

(60) جوليان (شارل اندرى) ،المرجع نفسه ، ص221 .

(61) Carcopino (Jerome), " Du droit de cité accordé par les Romains aux peuples conquis , de ses effets" , <u>Extrait des Annales universitaires de l'Algerie</u>, Alger 1915 , p.4.(par suite Carcopino, Du droit...).

بلاد المغرب ، حيث نجد كثيرا من القبائل لم تتحصل على حقوق المواطنة الرومانية ، حتى القرن الرابع الميلادي ، مثل ذلك قبيلة (ناتابوتا (Lagens Nattabuta) بل اكثر من ذلك ظل بعضها الاخر بعيدا عنها تماما مثل (اكرلاسن) (Ic salenses) و (ايسافلانس) (Isaflenses) ، و (الجبلاني) (Jubaleni) ، وأغلبية سكان موريطانيا القيصرية ، بالرغم من انها ضمت الى الامبراطورية ، فقد ظلت بعيدة كل البعد عن هذه الحقوق ولم يمسها هذا المرسوم (62) ، وهو ما يجعلنا نتساءل مع رستوفتزف (63) ، ان كان الفلاحون في عهد كراكلا يعتبرون من الأتباع ؟ هل كان جميع المستأجرين أتباعا أم لا ؟ يصعب علينا الحكم على أهمية مرسوم كراكلا طالما لا يوجد أمامنا غير التخمين ، كما يصعب علينا معرفة الأهداف التي كان يتوخاها عند اصداره لهذا المرسوم ، في أوائل سنين حكمه ، فان كان حقا قد حرم جميع العناصر الريفية من هذه الحقوق ، وكان خاصا بالمدن ، وان كان لم يطبق ايضا في المدن على الطبقات الوضيعة ، فلا يمكن اعتباره خطوة كبيرة نحو المساواة السياسية التي تجعل جميع الاحرار في جميع انحاء الامبراطورية سواسية ، فيمكننا بذلك ان نحكم عليه بأنه لم يكن اكثر من وسيلة لاكثار عدد المواطنين الرومانيين في المدن ولا سيما مدن الشرق ٠

واذا استثنينا اثر المرسوم على الضرائب ، وبالتالي مداخيل الخزينة وهو ما يؤكده ديون كاسيوس (64) ، فيمكننا القول ان كراكلا كان يستهدف من وراء هذا المرسوم هدفين اساسيين : فمنح كراكلا المواطنة الرومانية للطبقات التي تحمل أعباء البلدية والطبقة العليا من سكان القرى ومنحها لبعض أفراد

(62) Carcopino (J), Du droit de cité, pp.4-5.

(63) رستوفتزف ، المرجع السابق ، ص 496٠

(64) انظر ما سبق ص 64 .

الطبقات الدنيا ، يكون بذلك قد اكثر من عدد أولئك الذين ألزموا بحمل أعباء الخدمات في المدن ، وهم بهذه الحقوق ، لم يعد لهم عذر للهروب من هذا الثقل الفادح هذا من جهة ، ومن جهة أخرى، لم يكن هدف كراكلا رفع الطبقات الدنيا ، بقدر ما كان هدفه الحط من الطبقات العليا لا في روما وايطاليا فحسب ، بل وأيضا في الولايات ، اذ أصبحت المواطنة الرومانية شيئا عاديا وشرفا لا قيمة له ، فقدت قيمتها ، وأمكن منحها حتى لطبقة الاتباع فيما بعد . وبذلك مس كراكلا الطبقة الارستقراطية في الصميم بحرمانها من هذا الامتياز (65).

ومهما قيل عن مرسوم كراكلا فهو خطوة ،كان لابد منها بحيث انه اذا كان الانطونيون في حاجة الى الرجال للحرب فأدخلوا في صفوف الكتائب العبيد والبرابرة ، فان السيفيريين كانوا في حاجة الى الاموال ، ومن هنا جاء هذا المرسوم لملء خزينة الدولة بما يفرض من أعباء على المواطنين الجدد ،و تتزايد مداخيل الدولة بتزايد عدد المتجنسين الجدد ، وبذلك فقدت المواطنة قيمتها (66) حتى ان البعض ذهب الى القول ان هذه المواطنة كانت سببا من أسباب انحلال الامبراطورية الرومانية .

وخلاصة القول ، فان مرسوم كراكلا كان وليد الظروف التي كانت تمر بها الامبراطورية الرومانية ،وهو مجرد اعلان عن مرحلة اخرى في تاريخ الدولة ، ولم يفعل اكثر من ايجاد قاعدة قانونية للاستفادة من مجموع سكان الامبراطورية . والمتمعن في سياسة السيفيريين عموما يجد انها تسجل نهاية مرحلة تطور أرسيت قواعدها في عهد الامبراطور هادريانوس ،و تواصلت في عهد كل من ماركوس

---

(65) رستوفتزف ،المرجع السابق ، ص 497 .

(66) Carcopino (J) , Du droit de cité , pp. 5-7.

أوريليوس وكومودوس ، وبلغت أوجها مع السيفيريين الذين أحدثوا فيها تغييرات هامة ، بانشاء بلديات ومستعمرات جديدة ، مما ضاعف بالتالي الممتلكات الرومانية ولا سيما في ضواحي نهر مجردة ، وهو ما يجعلنا نتساءل عن نوايا هؤلاء الاباطرة من وراء انتهاجهم لتلك السياسة الادارية في افريقيا ، خاصة الامبراطور سيفيروس ، هل كان يخشى من الوحدات السياسية الكبرى ، التي قد تشكل خطرا على الامبراطورية؟ ام كان يريد الوقوف في وجه مجلس الشيوخ وتقليص النفوذ السياسي لايطاليا ؟ بعد اعتماده على قوة الولايات ؟ ام انه كان يريد خلق توازن حتى يتمكن من السيطرة؟ فقد يبدو ذلك واضحا في فصله لنوميديا عن البروقنصلية وتقسيمه لسوريا الى ولايتين و بريطانيا الى مقاطعتين ، وهو ما قد يجيب على التساؤلات السالفة الذكر .

القسم الثاني

الاصلاحات الاجتماعية والدينية

الفصـــل الأول

الاصلاحات الاجتمـاعيــة

أولا ـ الوضع الطبقي في عهد السيفيريين

ثانيا ـ القوانين الاجتماعية

ثالثا ـ الاسرة ومـحيطها

رابعا ـ النمو الديموغرافــي

أولا ــ الوضع الطبقي في عهد السيفيريين :

ان دراسة الوضعية الاجتماعية لسكان المغرب في العهد السيفيرى ، ليست يسيرة وهذا لا يعود فقط الى قلة المصادر والدراسات المتخصصة حول هذا الموضوع ، لكن باعتبار ان المغرب كان قد ادمج في جسم الامبراطورية الرومانية ، وهو ما تسبب في توافد عناصر سكانية من شعوب البحر المتوسط على بلاد المغرب هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد تسبب في ارتفاع الكثافة السكانية في المدن والأرياف والتي بلغت أقصاها خلال القرن الثالث ، وهو ما صاحبه ــ كما رأينا ــ توسع في سياسة البلديات ومنح الحقوق المدنية الرومانية ، لتلك العناصر الوافدة ، والاهالي المتأثرين بالحضارة الرومانية .

واذا حاولنا البحث في الهرم الاجتماعي في الولايات الرومانية نجد في قمة هذا الهرم : الموظفون الكبار وملاكو العقارات .

فقد تواجدت المجموعة الاولى في افريقيا لفترة قصيرة ، بينما كانت المجموعة الثانية ، مجموعة استيطانية ، تمركزت في أراضيها ، التي وضعت تحت ادارة مقتصدين ، وشيئا فشيئا بدأت تكون لها نفوذا حتى أصبحت لها اليد الطولى في الشؤون السياسية والاقتصادية ، والقانونية ، مع ملاحظة ان اهتمامها انصب على عاصمة الامبراطورية اكثر مما هو على السكان الخاضعين . لكن هنا يمكننا ايضا ملاحظة الدور الذى لعبه سكان الولايات وعائلات الجنود . وفي بعض الأحيان حتى العائلات المحلية الغنية المترومنة كعائلة السيفيريين في احداث الولاية (1) .

---

(1) Brisson (J.P.) , Gloire et misère de l'Afrique chrétienne, ed. Robert Laffont, (Paris 1948), pp. 26-27.

اضافة الى ذلك برزت في عهد السيفيريين ، وهذا منذ عهد الامبراطور سيفيروس ، طبقة عسكرية بعد تصفيته لفرق الكتائب التي عوضها بجنود اختارهم بنفسه (2) ، وفي هذا الصدد يذكر ديون كاسيوس ان هذه التغييرات كانت لها نتائج سلبية خطيرة على ايطاليا تتمثل في تشرد مجموعة من الشبان الايطاليين الذين فقدوا مناصبهم (3) ، قد يكون ذلك بسبب لجوء سيفيروس الى اختيار الجنود من سكان الولايات ، وكذا فتح أبواب المناصب الادارية امام عدد كبير من أبناء المقاطعات ، وهي السياسة التي كان يرمي من ورائها الى تدعيم سلطانه وسلطان اسرته ، بعد ان صمم على اقامة سلطته على الطبقات التي يجند منها وبالدرجة الاولى على سكان الولايات ، ومن هنا ظهرت تشريعاته التي تتسم بالتعاطف والتسامح تجاه هؤلاء السكان ، وخططه التي وضعها لحماية الفلاحين ، وسكان المدن من تعسف الطبقات الحاكمة ، ومسيرو الادارة الامبراطورية (4) ، كما نظر بعين الاعتبار للمدن التي ساندته ، حيث أظهر تفهما كبيرا لحاجاتها ، فنالت حظا وافرا من عنايته ، لا سيما مدن افريقيا ، موطنه الاصلي ، ومدن سوريا ، موطن زوجته " يوليا دومنا " ، وكذا مدن ولايات الدانوب التي ينتمي اليها معظم جنده ، وهي المناطق التي عم فيها الرخاء وسادها الازدهار — ولو ظاهريا — وارتقى مواطنوها درجات السلم الاداري (5). كما خص الامبراطور هذه المناطق بالهبات والمباني العمومية والمنشآت التذكارية ، وهو ما يفتح مجالات واسعة امام الحرفيين في هذه الولايات

---

(2) Gagé (J), Op. cit , p.253.

(3) Dion Cassius , LXXXIV , 2.

(4) انظر ما سبق ص 49 .

(5) Piganiol (André) , Histoire de Rome , ed. P.U.F. (Paris, 1939), pp.399-403.

وهو ما يكون قد أثار حفيظة ديون كاسيوس ·

وكان من الطبيعي ان يقابل سكان تلك المدن خاصة منها مدن افريقيا سياسة الامبراطور باقامة التماثيل وأقواس النصر تكريما له ،وتعبيرا منهم عن تعلقهم به · وبالمقابل عانت المدن التي عرفت بموقفها العدائي لسيفيروس من مضايقات الحكام مثل ما حدث لمدينتي بيزنطة وليون (6) ·

لم تتوقف مساعدات الامبراطور عند حدود سكان الريف والمدن بل تجاوزتها الى أعضاء بعض الجمعيات ، فقد أولى رعاية خاصة لجمعيات التجار وأصحاب السفن ، الذين اشتكوا من كثرة استخدام سفنهم أثناء الحروب ، ونجد مثالا حيا عن ذلك يتمثل في أصحاب السفن في بلدة أريلات " Arelate " الذين يحتمل انهم نقلوا الرجال والمؤونة من بلاد غالة (Gaule) الى الشرق في الحملة الغرثية الثانية ، فقدموا أثناء اقامة سيفيروس وكراكلا في المشرق التماسا الى الامبراطور (201م) جعله رغم الامتيازات التي منحها لهم ، يتراجع و يعفيهم أيضا من أعباء البلديات ·

والجدير بالذكر ان الامتياز المشار اليه كان قد منح أيضا الى فئات أخرى من بين سكان مدن الامبراطورية ، ومن أهمها فئة جباة الضرائب ، ومؤجرو ضياع الامبراطورية وضياع الدولة (7) .

وفي الوقت الذى كان فيه الامبراطور سيفيروس يحاول أن يخفف

---

(6) رستوفتزف ، المرجع السابق ، ص 482 ·

(7) ــــــــــــنفسه ، ص 483ـ484 ·

من الاعباء الملقاة على كاهل الحرفيين الذين كانت الدولة في حاجة الى خدماتهم ، فانه لم ينس مصالح الطبقات الفقيرة ، اذ يبدو انه أعطى امتياز الاعفاء من الخدمات البلدية الذى جعله يشمل مستأجرى الضياع الملكية ، وكذا رابطات العمال اليدويين ، كرابطة الصناع (Fabri) ورابطة تجار الخرق (Centonarii) الذين كانوا يقومون بأعمال رجال المطافئ في المدن (8) .

هذه الاعمال كلها تجاه الجند والطبقات الشعبية جعلت سيفيروس وابناءه أقرب الى قلوب الشعب الذين عانوا مدة طويلة ، من حروب داخلية وخارجية ،وهذا خلافا للطبقة الارستقراطية التي لم تكن راضية عن نظام الحكم العسكرى الجديد والتي لم تخف معارضتها كلما سنحت لها الفرصة .

لقد أدرك كراكلا ادراكا تاما ان أعمال والده وتصرفاته كانت ممقوتة ، في أوساط الطبقات الارستقراطية في الامبراطورية ، لكن رغم ذلك أظهر بمجرد اعتلائه الحكم انه لم يكن ينوى التراجع عن تلك السياسة وانه عازم على الاستمرار فيها دون منح أى امتياز للارستقراطية (9) ، وهو ما أدى بدون شك الى العداء الشديد بين هذه الطبقة وكراكلا ، والذى نجد صوره جلية في كتب المعاصرين امثال ديون كاسيوس وهيروديانوس وغيرهما من الكتاب الذين قدموه في صورة طاغية العصر في روما حينذاك (10) .

وواضح ان هذا العداء ناتج عن تصميم الامبراطور على ان يبني

---

(8) رستوفتزف ،المرجع السابق ،ص 485-486.

(9) نفسه ،ص 492.

(10) نفسه ، ص 493 .

ملكه لا على الطبقات العليا (بورجوازية المدن والطبقة الارستقراطية الايطالية) وانما على الطبقتين المتوسطة والدنيا اللتين ينتمي اليهما الجيش (11) ، حيث انه كان يحابي الجنود ويحاول ان يظهر كواحد منهم مبديا ازدراءه من الطبقة الارستقراطية والملاكين الكبار والمثقفين (12) ، وقد برهن على هذا الاتجاه بمضاعفته لضريبة التاج (13) (Aurum coronarium) ، وهي ضريبة استثنائية كانت مقررة على الدخل ويدفعها الاغنياء فقط ، وهي عبارة عن معاليم او تبرعات نوعية ثقيلة العبء . وكذا الهبات الخاصة التي هي بمثابة اعباء قسرية اخرى، يذكر ديون كاسيوس ان الاغنياء ارغموا على ادائها ، مقدرة حسب رؤوس الاموال (14) . هذا فضلا عن ارتفاع قيمة الضرائب الاخرى في عهده مثل ضريبتي العتق والارث اللتين تضاعفتا .

تلك اعباء جديدة لا شك انها زادت الفجوة اتساعا بين الامبراطور والطبقة الارستقراطية ، لكن مع ذلك تبقى أهم ضربة وجهها لكبرياء الطبقة الارستقراطية — في رأينا — تتمثل في قراره التاريخي المعروف بمرسوم كراكلا (Constitutio Antoniniana) الذى أصدره عام 212 م ، والذى منح بموجبه حق المواطنة الرومانية الى جميع احرار الامبراطورية (15) ، والذى يفهم من المصادر الادبية (16) ، والقانونية (17) . ان هذا المرسوم سوى

(11) Gagé (J) , Op. cit , pp. 254-255.

(12) رستوفتزف ، المرجع السابق ، ص 494 .

(13) انظر ما سيأتي ص 166 .

(14) Dion Cassius , LXXIV , 10, 4.

(15) انظر ما سبق ص 64 .

(16) Dion Cassius , LXXVIII, 9.

(17) Ulpianus , Digest, 1, 5, 17.

بين الفئات المختلفة من الناحية السياسية ، ومن ثم فهو بمثابة ضربة قاسية تجاه الطبقات العليا ذات الامتيازات في روما والولايات ،كما يعتبر حطا شنيعا واساءة الى كبرياء الطبقة المسيطرة في المدن ،وانقاص من ثقة أفرادها بأنفسهم " اذ أصبحت المواطنة الرومانية بهذا التعميم الواسع شيئا عاديا وشرفا لا قيمة له . " (18) .

وهو ما جعل بعض مؤرخي العصر يرون في هذا المرسوم سببا في اغتيال الدولة الرومانية اذ رأوا في ظهور قوة الاباطرة فقدان المواطنة الرومانية لقيمتها السياسية ، وفي صدور مرسوم كراكلا فقدانها لقيمتها الاجتماعية (19) .

واذا كان المواطنون الجدد قد استفادوا شيئا من وراء رفعهم الى مصاف الرومان ، فقد كانت هذه الفائدة ضئيلة ، بالمقارنة مع اعبائهم الجديدة ، اذ أصبحوا بموجب هذا المرسوم خاضعين لضريبة الارث (Vicesima hereditatum) دون أن يستفيدوا من الاعفاء من ضريبة الرأس التي كانوا يدفعونها ، كما خضعوا للقانون المدني الروماني (20) .

ما زال مرسوم كراكلا هذا سرا غامضا ،حتى بعد العثور على شذرات منه يفهم منها ان جماعة الاتباع " dediticii " يحرمون من هذا الحق ، وهو ما يصعب مهمتنا في اقرار أهمية هذا المرسوم من الناحية التاريخية ، أو معرفة الهدف الذى كان يبتغيه الامبراطور من وراء اصداره

---

(18) انظر ما سبق ص 68 .

(19) رستوفتزف ، المرجع السابق ، ص498 .

(20) بل (هارولد ادريس) ، مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربي ، ترجمة احمد علي (عبد اللطيف) ، دار النهضة العربية ، (القاهرة ، 1973) ، ص 141 .

في أول حكمه . فان كان حقا قد حرم جميع العناصر الريفية من حق المواطنة وكان هذا الحق خاصا بسكان المدن المستمتعين فقط بحق الرعايا ، ولم يطبق على الطبقات الوضيعة ، فلا يمكننا أن نعتبره خطوة كبيرة نحو المساواة الفعلية (21) .

اذا كان ذلكم هو الموقف الذي ورثه كراكلا عن والده سيفيروس ،فان الاسكندر لم يخالفه في ذلك ، فمان في تشريعاته بدوره نحو الطبقات الوضيعة ، ولا سيما في التشريعات الخاصة بالمؤسسات التعليمية التي بلغت الذروة في نشر التعليم الابتدائي في جميع انحاء الامبراطورية ، وهو ما جعل مدرسو المدارس الاولية يظهرون منذ عصر هذا الاخير كطبقة قوية وجدت في المدن والقرى (22) .

واذا حاولنا تحليل الوضع العام بخصوص سكان الارياف منذ عهد سيفيروس نجد أن الكثير من الضياع الافريقية قد حرمت من حامياتها السكرية في عام 202 م ، وكنتيجة لذلك بدأت عملية تركيز السكان من المزارعين في قلاع محصنة ، وهو عمل شجع عليه الاباطرة رغبة منهم في تمدين أهل الريف والنهوض بمستواهم . وهي السياسة التي استمر في تنفيذها كراكلا والاسكندر سيفيروس فزادا في عدد القلاع ، التي انشئت فيها مبان عامة وما اليها ، مما ساهم في رومنة وتمدين كثير من سكان الريف والرفع من مستواهم المعيشي (23) .

---

(21) انظر ما سبق ص 67 .
(22) رستوفتزف ،المرجع السابق ،ص504-505 .
(23) نفسه ، ص505-506 .

ومن جهة أخرى اذا كان السيفيرون قد اعتمدوا في روما اعتمادا كليا على طبقة الفرسان وعلى عامة الشعب ، وعملوا على تهميش الطبقة الارستقراطية ومجلس الشيوخ (24) ، فانهم بالمقابل استندوا في الولايات على صغار الفلاحين على حساب بورجوازية البلديات وهو ما أدى الى تراجع نفوذ الارستقراطية الرومانية والولائية في عهد السيفيريين وتعرضت مصالحها للخطر ،وعانت العائلات الرومانية الكبرى في العاصمة من الاضطهاد والمصادرات ، التي أمر بها الامبراطور سيفيروس ولا سيما بعد انتصاراته التي أحرزها على بسينيوس نيجر وكلوديوس ألبينوس ، وكذا المصادرات التي قام بها الامبراطور كراكلا بعد مقتل أخيه جيتا (25) ، وبذلك أخذت الطبقة الارستقراطية في الزوال تدريجيا ، وبدأت طبقة الفرسان تحل محلها شيئا فشيئا بتزايد حاجات الاباطرة الى خدماتهم ، وفتح أبواب مجلس الشيوخ أمامهم .

وبذلك عرف أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث ، تغييرا في السياسة الاجتماعية ،وانقلبت الموازين ببروز دور طبقة الفرسان التي ارتفع مستواها وكذا تحسين وضعية طبقة الرعاع ، وكل ذلك تم على حساب الطبقة الارستقراطية ، التي كانت صاحبة كل الامتيازات في السابق . وهذا بفضل سلسلة من القوانين الاجتماعية التي سنها السيفيريون لصالح الطبقات الدنيا كما سنرى .

---

(24) انظر ما سبق ص 22.

(25) Besnier (M), Op. cit, p. 117.

ثانـيا ــ القوانـين الاجتماعية :

كان من أعظم ما فعله الاباطرة السيفيريون ، هو تعيين بابينيانوس حاكما للبريتوار ، واشراك كبار المشرعين في المجلس الامبراطوري ، الذي كان وراء اصدار قوانين اجتماعية متعددة ، وهذا زمن الامبراطور سيفيروس وابنه كراكلا (26) . وهو ما يبين لنا اهتمام الامبراطورين بالمسائل القانونية . اذ حفظت لنا مختارات المشرع أولبيانوس (27) تدخلاتهم المستمرة في هذا المجال ، فالافكار التي تعلقوا بها ، هي نفسها الافكار التي ندد بها الاباطرة هادريانوس وانطونيوس التقي وماركوس اوريليوس من قبلهم .

و يبدو من خلال قراءة سريعة للقوانين الجديدة انها كانت انسانية ، بحيث اخذت بعين الاعتبار الدفاع على ضعاف الناس ، وسن قوانين تخدم مصالح هؤلاء ، والرفع من مستواهم الاجتماعي . وهي النقاط التي افلتت من القوانين القديمة وجعلت القوانين التي سنها السيفيريون تجد صدى واسعا لدى العامة (28) .

ووفقا لذلك يمكن ان نستنتج بأن عهد الامبراطور سيفيروس كان قد عرف في مجال القوانين اصلاحات ذات اهمية كبرى ، نذكر منها خاصة ما يخص وضعية الناس ، والاجراءات اللازمة المتخذة لمحاربة ظاهرة النقص في السكان (dépopulation) (29) . وهذا برفع الامتيازات التي تمنح للعائلات الكثيرة الاطفال ، والقضاء على الزنا باحياء قانون يوليا (Lex Julia) ، وتحديد نتائج المسؤولية

---

(26) Besnier (M) , Op. cit , p. 123.

(27) Ulpianus , Digest , XXIX, 2.

(28) Besnier (M) , Op. cit , p.30.

(29) Cod. Just., V, 66, 1, trad P.A. Tissot , ed .Behmer , (Metz,1806).

الفردية لأفراد العائلة ، باصدار مرسوم ينص على ان اعدام الاب بسبب الخيانة او الاعتداء على الجلالة (Lesè majesté) لا يمنع الاولاد من حق الوراثة (30) ولتحسين وضعية العبيد والمتحررين فتح ابواب المجالس (Curies) امام الابناء المتحررين من ام حرة (31) ، ومنع السيد من اتخاذ اجراءات خاصة بالملاحقات ضد عبده المحرر بسبب ارتكابه جريمة ما وهو لا يزال عبدا (32) ، واخيرا ولضمان حياة المراهقين ، وحتى لا يقصر في حق الايتام ، ولا تختلس أموالهم اتخذت اجراءات قانونية لتسيير شؤون هؤلاء (33).

وفيما يخص المسائل الخاصة بالاجراءات ، والقانون الجزائي قرر الامبراطور سيفيروس ان كل عمليات الوراثة ، لابد أن تقدم امام المحكمة القريبة من بيت المتوفى ، كما حرم الاجهاض (34).

اضافة الى القوانين السالفة الذكر الخاصة بالعبيد والمتحررين يبدو أن السيفيريين قد ساروا على نفس سياسة اباطرة القرن الثاني ، لكنهم كانوا أكثر وضوحا ، على ما يستشف من قوانين المختارات وقانون يوستينيانوس (Code Justinien) ، التي اسندت الى كبار المشرعين امثال بابينيانوس وباولوس واولبيانوس ، اذ يقول هذا الاخير : " اذا لم يكن للعبيد اية حقوق حسب القوانين المدنية ، لابد على الاقل ، من معاملتهم معاملة حسنة ازاء القانون الطبيعي . " (35)

(30) Ibid , XXXVII , 14, 4. XLVIII 4, 9.
(31) Ibid , L, 2, 9.
(32) Ibid , IV, 4, 2.
(33) Ibid , V, 72, 1.
(34) De Ceuleneer (A) , Op. cit , pp. 286-289.
(35) Petit (P) , Op. cit , p. 68.

وعلى هذا الأساس نرى ان العبيد كانوا قد وضعوا في مأمن منذ زمن الامبراطور ماركوس أوريليوس ، و تواصلت هذه السياسة من بعده ، كما تقرر القضاء على المعاملة السيئة التي كان يتلقاها العبيد من طرف اسيادهم ، كما اصر الامبراطور سيفيروس على ضرورة الاستماع لشكاوى العبيد مثلها في ذلك مثل الاستماع لشكاوى أسيادهم . وهو ما يجعلنا نتساءل هل كان حقا هدف سيفيروس هو حماية العبيد ؟ ام كان يهدف الى الحد من تمرداتهم ؟ وخاصة ان العصابات التي كانت تعيث في ايطاليا والولايات فسادا في عهد الامبراطور سيفيروس كانت تتكون في أغلبها من العبيد (36) .

اذا كانت المعطيات الحالية لا تسمح لنا بحسم الموضوع ، فانه يمكننا القول انه مهما كانت نوايا سيفيروس ، فالذي لا شك فيه هو أن أوضاع هذه الطبقات الوضيعة قد تحسنت كثيرا على ما كانت عليه في العهود السابقة .

لم تتوقف سياسة الاصلاح تلك في عهد آخر السيفيريين ، الاسكندر سيفيروس ، اذ يحدثنا هيروديانوس (37) عن اهتمام هذا الامبراطور شخصيا بالمسائل القانونية ، والمراقبة الدقيقة لكل الاحكام ، وهو ما رأى فيه المشرع أولبيانوس (38) تجاوزا للصلاحيات . ولم يكتف الاسكندر سيفيروس بمتابعة تنفيذ القوانين السالفة على ما يفهم من صاحب تاريخ اغسطس (39) ، بل سن هو الآخر مجموعة من القوانين ، نذكر منها على الخصوص الاجراءات المتخذة لتحديد

(36) Petit (P) , Op. cit , pp. 68-69.

(37) Hérodianus , VI., pp. 626-627.

(38) Ulpianus , Digest , 1, 3, 31.

(39) Lampridius (Aelius) , Vie d'Alex-Sev, 43 ,1.

القضايا الخاصة بالجلالة و تقليص حقوق خزينة الدولة على أملاك المتهمين ، و تأمين التسيير المادى للدعاوى ، والضمانات التي قدمت للانسان الحر الذى حول الى عبد ، والعبد الذى بيع بشرط أن يكون فيما بعد حرا ، كما حرر العبد من التعذيب وأعفاه من واجباته تجاه سيده عند عجز هذا الاخير عن حمايته (40) . اضافة الى هذا أصدر الاسكندر سيفيروس مرسوما سنة 222م يطلب فيه من حكام الولايات مراعاة التقاليد والعادات المحلية في التعامل مع المحكومين . وهو ربما من أهم المراسيم التي أصدرها .

نلاحظ مما سبق ان السيفيريين أدركوا ان الاسرة هي عماد المجتمع ، ولذلك دعموا البناء الاسرى وهذا بمحاربة الزنا و تشجيع العائلات الكثيرة الاطفال ، بالرفع من الامتيازات التي تمنح لتلك العائلات ، لكن مع ذلك ظلت نسب الزواج والانجاب منخفضة على ما يبدو من دراستنا للاسرة ومحيطها .

ثالثا ـ الاسرة ومحيطها :

لقد اتضح من خلال نقوش النصب الجنائزية التي اعتمدت في دراسة موضوع النمو الديموغرافي وتوزيع السكان في بلاد المغرب في الفترة الرومانية ، ان نسبة العزوبة في أوساط الفتيات المقيمات في المدن كانت مرتفعة بصفة عامة مع اختلاف هذه النسبة من منطقة الى أخرى ، حيث نجدها منخفضة في الضياع الكبرى (Saltas) وهضاب افريقيا الجديدة الواقعة بين مجردة وحوض سليانة ومنطقة جبال الظهر التونسية ، حيث تم احصاء 21 فتاة متزوجة من بين 136 فتاة في مدينة دوقة ، وست متزوجات من بين 35 فتاة في قائمة جمعت

(40) Besnier (M), Op. cit, p. 97.

من وثائق تبرسوق (Thibursicum Bure) ، و10 متزوجات من بين 36 في شمتو (Simithus) ، وحوالي 45 متزوجة من بين 227 فتاة في الكاف (Sicca Veneria) [41] . الى الغرب من هذه المدينة ، امتدت هذه النسبة الضعيفة ربما حتى نوميديا الشرقية والوسطى ، وفي منطقة سيقوس (Sigus) نجد 20 فتاة متزوجة من بين 81 فتاة ، بينما ارتفعت نسبة المتزوجات خارج النطاق الجغرافي السالف الذكر ، مثلا في منطقة مداوروش (Madaure) حيث وصلت الى 113 فتاة متزوجة من بين 149 ، و يتواصل ارتفاعها في المناطق الجبلية ، حيث بلغت 19 فتاة متزوجة من بين 30 عند الوافدين ، و4 من 5 عند الاهالي ، وارتفعت هذه النسبة في الجنوب النوميدي حتى بلغت في الاوراس والنمامشة 11 فتاة متزوجة من بين 13 ، وفي السهول العليا الموريطانية : 20 من 22 في المناطق الريفية جنوب سطيف ، مقابل 32 من 52 في مدينة سطيف نفسها و42 من 50 في أوزيا (سور الغزلان) ولكن تنخفض النسبة كلما انحدرنا نحو الساحل حيث بلغت في قيصرية أقل من 50 ٪ اي 18 من 40 ، و50 ٪ تقريبا في قرطاجة 53 من 101 ، وفي مكثر 35 من 67 ، في قصرين (Cillium) 11 من 23 ، وفي وليلي (Volubilis) 6 من 10 [42] .

يستنتج مما سبق ان النسب كانت مرتفعة في المناطق الجبلية والريفية ، التي يقطنها الاهالي وكذا في المناطق ذات الطابع العسكري بينما تنخفض في المناطق الحضرية كالبروقنصلية والقيصرية وهي المناطق المترومنة والتي تكثر فيها

---

(41) Lassère (Jean Marie), Ubique populus , Peuplement et mouvements de populations dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sevères (146 av.J.C-235ap. J.C), ed. C.N.R.S. , (Paris , 1977, p. 482.

(42) Lassere (J.M), Op. cit , pp. 482-483.

العناصر الوافدة التي تفتقد في نظرنا الى الامان الذى يعد أحد الشروط الاساسية للاستقرار العائلي .

اضافة الى هذا نجد ان نسبة الزواج عند العبيد والمتحررين كانت مرتفعة ، ولا سيما عند الفتيات مع اختلاف الفترات والنسب التي تتأرجح ما بين 30 و 50 % (43).

اما عن سن الزواج ، فهو أمر يصعب البت فيه نظرا لقلة مصادر الموضوع لكن يمكننا ان نفترض ان الزواج كان يتم مبكرا ،وهذا سواء في صفوف الرومان أو السكان المحليين ،وكان بالنسبة للفتاة يتراوح ما بين السن 11 و 13 سنة ، ذلك اعتمادا على استعجال المجتمعات التقليدية في تزويج الابناء والبنات(44).

واذا كان هذا شأن نسب الزواج وسنها ،فاننا نجد ايضا وهذا استنادا على ما ورد في نقوش النصب الجنائزية دائما ان نسبة الاطفال الاحياء كانت في المتوسط بين 2 و 3 للعائلة الواحدة في المدن الداخلية وأقاليمها مثل دوقة ، حيدرة ، تبسة ، سطيف ، سيقوس ، جميلة ، قالمة ، ووليلي ، بينما كانت منخفضة في بعض الحواضر (45).

عموما هذا الانخفاض في معدل الاطفال بالنسبة للعائلة الواحدة يكمن سببه في صعوبة ظروف المعيشة وانعدام الرعاية الصحية فضلا عن انتشار الأوبئة الفتاكة (46) ، وهو ما أدى الى انتشار وشيوع ظاهرة الامتناع عن الانجاب لدى

---

(43) Boulvert (G) , Esclaves et affranchis impériaux sous le haut empire romain, ed. Jovene, (Naples 1970), pp. 451-452.

(44) Lassere (J.M), Op. cit, p.489.

(45) Ibid ,pp. 494-495.

(46) Ibid, pp. 557-562.

كثير من الزوجات واللجوء الى الاجهاض بوسائل مختلفة ، وهو ما ترصده رجال الدين ، الذين نبهوا الى خطورة هذه الظاهرة ،ونددوا بها ، ومن أبرز هؤلاء نجد ترتوليانوس الذى حلل الظاهرة واعتبرها " من أعمال الوثنيين المنافية للانسانية ." (47)

اذا كانت هذه وضعيات المدن الحضرية المترومنة ، فانه خلافا لذلك كانت الاسر الريفية المكونة عادة من الأهالي تحبذ الانجاب ، اذ تشير النصوص الادبية الى ان القبائل الليبية كانت دائما كثيرة الاطفال .

كما يمكننا ان نتبين من خلال استقراء النقوش المتعلقة بالتركيب الصنفي للسكان في افريقيا ، ان نسبة الذكور كانت أعلى من نسبة الاناث ،وتعتبر النسبة من أعلى النسب ، اذا ما قورنت ببقية الولايات الرومانية وهو ما استنتجه البعض من قلة اسماء الاناث في النصب وشواهد القبور بالمقارنة مع أسماء الذكور ، بالاضافة الى ان نسبة عالية من الاناث كن معرضات للوفاة في سن مبكرة بعد الزواج نتيجة للحمل أو الاجهاض ، اضف الى ذلك التوافد الاجنبي وهو ما أدى الى ارتفاع نسبة الذكور بالقياس الى الاناث من وجهة نظر هؤلاء المؤرخين ،وبالتالي اختلال التوازن بين الجنسين (48) .

لكن المحير في وجهة نظر هؤلاء ، هو انه اذا كان المجتمع قد عرف خللا بين الجنسين بتفوق عدد الرجال كما يقولون ، نتساءل كيف يفسرون ظاهرة انخفاض نسب المتزوجات في الاوساط الحضرية التي يكثر فيها

---

(47) Tertullianus, Ad. nationes , I, 15, 3-4, trad. M. De Genoude, (Paris, 1852).

(48) Lassere (J.M) , Op. cit, pp. 506-512.

عدد الوافدين ؟ اضف الى ذلك ان مبرر كثره الوفيات لدى الاناث بسبب الزواج المبكر وكذا الحمل والاجهاض ، فهو بطبيعه الحال يكون بعد الزواج وبالتالي لا يفسر ما ذهبنا اليه سالفا . كما تناسى اصحاب هذه الوجهه ايضا ان الرجال معرضون بدورهم اكثر من النساء لكوارث الحروب والمغامرات ، وبالتالي ان نسبا كبيره منهم تموت نتيجه لذلك . وهو ما يفسر من وجهه نظرنا النسب الضئيله من المتزوجات وبالتالي في هذه الحاله نستطيع ان نقول ان هذا الخلل هو خلل عكسي لما ذهب اليه هؤلاء .

مما سبق نلاحظ انه اذا كانت نسب الزواج منخفضه في المناطق الحضريه المسترومنه ، فهي بدون شك مرتفعه في المناطق الجبليه والريفيه التي يقطنها الاهالي التي كانت فيها نسبه الولادات مرتفعه خلافا للحواضر . وهو ما ادى بدون شك الى نمو ديموغرافي مطرد بلغ اشده في القرن الثالث وهو ما نتتبعه في في الصفحات المواليه .

رابعا ـ النمو الديموغـرافي :

اذا حاولنا تحليل الوضع الديموغرافي في افريقيا خلال العهد الرومـاني نجد ان التزايد السكاني بدأ يعرف تزايدا مطردا ابتداء من القرن الثاني ، ليـبلغ اشده في القرن الثالث (49) ، لكن معلوماتنا الحالية لا تسمـح لنا بتقديم اية أرقام عن ذلك ، وقد يكون نص ترتوليانوس أحسن معبر عن هذا الوضع اذ يقول :

" Certe qui dem ipse orbis in promptu est cultior de die et instructior pristimo omnia iam pervia , omnia nota , omnia negatiasa , solutudines , famasas retro fundi amoenissimi oblitterau erunt , silvas arua domu erunt , fera pecora fugau erunt , harenae seruntur , sasca padentur , poludes eliquantur tantae urbes quantae non easae quodam . Iam mec insulae horrent nec nec scopuli terrent , ubique domus , ubique populus , ubique respublica , ubique uita. Summum testionium frequentiae humanae , one rosi sismus mundo iux nobis elementa sufficiunt et , necessitales artiores et querellae apud omnes , dum iam nos natura non sustinet ".(50)

(49) Piganiol (André) , L'Empire chrétien (325-395) , ed. P.U.F , (Paris , 1972) , p. 417.

(50) Tertullianus , De Amina , 30 , 3-4 , trad. M.De Genoude , (Paris , 1852).

" يكفي القاء نظرة على ما حولنا للتعرف على ان ثروة العالم أصبحت تتزايد يوما بعد يوم مع تكاثر السكان ، بحيث ان كل شيء فيه قد استغل ، وتعرض للمتاجرة ، فقد حلت المزارع الغنية محل الصحارى ، والحقول محل الغابات والقطعان محل الحيوانات المفترسة . لقد زرعت الرمال وجففت المستنقعات وتسلقت الأشجار الصخور ، وأقيمت عدة مدن ، لم تعد الجزر تمثل مكان رعب ، البيوت ، والسكان في كل مكان : انها الحياة التي تدل على تزايد الجنس البشرى . "

بدون شك فان شهادة ترتوليانوس تدل على ان تزايد السكان كان ذا طابع استعمارى استغلالي ، بدليل مطالبة الفلاحين الافارقة بالأراضي وظهور حركة الاستغلال الاقتصادى القائمة على توسيع الخريطة الزراعية ، كزراعة الزيتون في مناطق السهوب وتوسيع الزراعة في المناطق الصحراوية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يعتبر نص ترتوليانوس في نظرنا وثيقة هامة وغنية بالاشارات ، اذ يشهد على تزايد سكاني في عهد السيفيريين الافارقة . وهو ما أدى الى التوسع في مد النفوذ الروماني حتى المناطق الجنوبية والتوسع الزراعي مع تزايد حاجات المعمرين الجدد (51) .

ويفهم من المصادر المعاصرة ان القرن الثاني شهد نموا سكانيا كبيرا خاصة في المناطق الحضرية ، وهو ما ينطبق بالخصوص على المدن الافريقية ، التي عرفت نموا واضحا خلال القرنين الثاني والثالث ، كمدينة قرطاجة وسوسة ولبدة ، وبعض المدن الداخلية كمدينة تيمقاد ، وجميلة ، التي توسعت

---

(51) Lassere (J.M) , Op. cit , p. 573.

بفضل تشييد المسارح وغيرها من مراكز اللهو ، بالاضافة الى المرافق العامة للمدن ، كخزانات المياه ، والحمامات والكنائس ، والمعابد [52] . كما توسعت هذه الظاهرة الى مدن أخرى ، سواء في غرب البروقنصلية كمكتر و شمتو ، التي عرفت تطورا كبيرا ، أو في مداوروش التي تجاوزت حدودها الطبيعية في عهد السيفيريين [53] ، وكذا في نوميديا خاصة في تيديس (Tiddis) التي عرفت في الفترة السيفيرية حركة عمرانية كبيرة [54] ، وزادت أهميتها بتأسيس سوق بها من قبل مارتياليانوس (P. Iulius Iunianus Martialianus) في عهد الاسكندر سيفيروس . وهو شأن وليلي في موريطانيا الطنجية ومدينة قيصرية و تيبازة في موريطانيا القيصرية [55] .

اذا كانت الاشارات التي سبق ذكرها تدل على نمو سكان المدن ، خاصة ابتداء من منتصف القرن الثاني ، فانه يفهم مما كتبه بيكار ان ذلك النمو لم يتوقف فقط على المدن ، وان الارياف بدورها عرفت هي الاخرى نموا ديموغرافيا في نفس الفترة ، وفي رأيه ان ذلك النمو كان وراء احتلال مناطق ما وراء السيرت [56] .

اما عن تقدير عدد السكان فرغم محاولات المؤرخين المعاصرين لتقدير عدد سكان المغرب في الفترة الرومانية ، فاننا نرى ان تقديراتهم لا تستند على نصوص تاريخية دقيقة ، اذ حاول البعض تحديد عدد سكان المدن بسعة

---

(52) Lassere (J.M) , Op. cit , p. 573-583.

(53) Ibid , pp. 579-580.

(54) Berthier (A) , Tiddis antique , Castellum Tidditanorum, 2ème ed. (Alger , 1972) , p. 14 .

(55) Lassere (J.M) , Op. cit , p. 580 .

(56) Ibid , pp. 585-588 .

مرافقها العامة ، كالمسارح والحمامات والكنائس ، وسعة هذه المدن ، غير ان تلك التقديرات لا تتجاوز كونها تقديرات نسبية ، لا يمكنها أن تعطينا صورة حقيقية للوضع السكاني :

ومن بين التقديرات المشار اليها تلك التي أوردها كورتوا الذى يرى ان عدد سكان افريقيا في المرحلة الرومانية ، كان حوالي أربعة ملايين نسمة كحد أقصى في العصر الامبراطوري الاول (29 م ـ 284م) الذى بلغت فيه افريقيا أوج نموها الديموغرافي ،وانخفض هذا العدد الى ثلاثة ملايين نسمة خلال العصر الامبراطوري الثاني (284 م ـ 395 م) (57)، خلافا لبيكار (58) الذى يرى ان سكان افريقيا خلال القرن الثالث كانوا يقدرون بحوالي ستة ملايين ونصف المليون ، وهو ما يوافقه فيه ألبرتيني (59). وقد وزع هذا العدد على الولايات بالشكل التالي : البروقنصلية مليونان ونصف ، اقليم طرابلس نصف مليون ، شرق نوميديا مليون ونصف المليون ، الوسط النوميدى مليون ونصف المليون ، ونصف مليون في الموريطانيتين .

لكن هذه التقديرات لا تستند كما قلنا على أسس ثابتة ويبقى نص ترتوليانوس في رأينا أصدق تعبير حول موضوع السكان وهو النص الذى يبقى في انتظار من يترجمه الى أرقام .

---

(57) Courtois (Ch) , Op. cit , p.106.

(58) Picard (G.Ch) , La Civilisation de l'Afrique romaine , ed. Plon , (Paris , 1959) , p. 57 .par suite , Picard , La Civilisation ...

(59) Albertini (E) , Marçais (G) , L'Afrique du Nord française dans l'Histoire, ed. Archat, (Paris , 1955) , p. 66.

اما عن عناصر السكان الذين تعايشوا في شمال افريقيا فيصعب علينا رسم خريطة واضحة ، نتيجة ندرة المصادر الكتابية المتعلقة بسكان المغرب القديم ، وغموضها ، مما يحول والاستفادة منها ، وهو ما دفع بالكتاب المعاصرين للفترة الرومانية الى تقسيم سكان بلاد المغرب القديم (الليبيين) تقسيما سياسيا ،وذلك حسب التغيرات السياسية الناجمة عن الاحتلال الروماني .

ومما يمكن ملاحظته ان الفترة السيفيرية عرفت صراعا طبقيا حادا بين الطبقة الارستقراطية وطبقة الفرسان المدعمة من السلطة التي عملت على كسر شوكة الطبقة الاولى ، بهدف الحفاظ على التوازن ، كما عرفت الطبقة العامة انتعاشا بفضل التشريعات المتعاقبة خلال هذه الفترة ، والتي اتسمت بالعطف والتسامح تجاه الطبقات الوضيعة ، وكذا برنامج سيفيروس الاصلاحي الذى وضعه لحماية الفلاحين والتجار ، ومحاربته لظاهرة نقص السكان .

هؤلاء السكان الذين ظلت وضعيتهم متباينة من وجهة نظر القانون قبل صدور مرسوم كراكلا الذى يجعلنا نتساءل ما اذا كان قد أصبح فعلا كل احرار الامبراطورية يتمتعون بحق المواطنة و بالتالي يتساوون في الحقوق والواجبات ؟ ام ان هناك فئات بقيت على الهامش لم يمسها هذا الاجراء ؟ وما هدف كراكلا من اصداره لهذا المرسوم ؟

مهما كانت الاجابات المتناقضة لدى مصادرنا الحالية وموقفها من هذا المرسوم فان المتفق عليه بين تلك المصادر هو ان هذا المرسوم قد أفقد الطبقة الارستقراطية مكانتها بانتزاع منها أحد عناصر قوتها بافراغه حق المواطنة من محتواها .

اما بالنسبة للنمو الديموغرافي فاننا لا نملك اى احصاء دقيق ووجيه لعدد السكان الذين تعايشوا في المغرب في العهد الروماني ، وكل ما يمكن تقديمه في هذا الاطار ، ان الهجرة كانت احدى عوامل التزايد السكاني اضافة الى الاسرة .

الفصـــل الثانــــي

الاصلاحـــات الديـنـــيـــة

أولا ــ نظرة في المعتقدات الوثنيـة :

1ــ معتقدات ما قبل الفترة الرومانية

2 ــ المعتقدات الوثنية في الفترة الرومانية :

أ ــ عـبادة ساتورن

ب ــ عـبادة كايلستيس

ثانيا ــ انتشار المـسيحية وموقف السيفيريين منها :

1 ــ انتشار المـسيحية

2 ــ موقف السيفيريين من المـسيحية

أولا – نظرة في المعتقدات الوثنية :

1 – معتقدات ما قبل الفترة الرومانية :

ان دراسة المعتقدات الوثنية في المغرب القديم ، ليس أمرا هينا وذلك لقلة المصادر الكتابية والمادية وتناقضها في كثير من الأحيان ، بالاضافة الى صعوبة معرفة أصولها نظرا للتمازج الذى عرفته عبر العصور والأزمنة .

وفي هذا الصدد نشير الى ان المؤرخ الاغريقي هيرودوت والملقب "بابي التاريخ " ، كان قد أشار في كتاباته الى عبادة الليبيين للشمس والقمر (1) ، ومعرفتنا للصلة الوثيقة بين هذين المعبودين ، وبعل حمون وتانيت المعبوديين الرئيسيين في قرطاجة يجعلنا نتساءل عن أصول هذين المعبودين الاخيرين . هل نذهب مذهب محمد الهادى حارش الذى يرى لهما أصولا محلية؟ (2) ، معتمدا في ذلك على نصوص معبد الحفرة ، وربما أيضا التشابه في اللفظ بين " نيت " التي عبدها المصريون باسم " نيت تهينو " أى الليبية و " تانيت " المعبودة في قرطاجة ، اذ أننا اذا حذفنا من " تانيت " " تا " الدالة على التأنيث في البربرية عثرنا على نيت التي عبدها المصريون (3) ، وهو ما يجعلنا نرجح الرأى

---

(1) Herodote , Histoires IV 188, /trad . Ph. E. Legrand, ed. les belles lettres (Paris 1949); Picard (G.Ch), Les Religions de l'Afrique antique, ed. Plon, (Paris 1954), p. 21.

(2) حارش (محمد الهادى) ، " حول أصول عبادة بعل حمون في قرطاجة " ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 3 ، (1987) ، ص 9-12 .

(3) Moret (A), Le Nil et la civilisation egyptienne, ed. La Renaissance du livre, (Paris, 1926), p.86.

السالف .

استمرار عبادة هذين المعبودين " بعل حمون " و " تانيت " بشكل راسخ في الفترة الرومانية ، واحتفاظهما بكامل خصائصهما مع تغيير اسميهما الى ساتورن (Saturne) وابولون (Appolon) أو جوبيتر - آمون (Jupiter) بالنسبة لبعل - حمون وكايلستيس (Caelestis) أو أفريكا (Africa) بالنسبة لتانيت ، ربما يدل على الفكرة المشار اليها ، وهو ما يدفعنا الى تخصيص حيز من بحثنا في المعتقدات الوثنية لهذين المعبودين ، بعد اطلالة سريعة على أهم المعتقدات الوثنية الليبية القديمة .

يرى بعض الباحثين ان منطقة المغرب القديم تتوفر على أقدم وثائق حول أصول الانسان القديم (4) . ويبدو ان الانسان القفصي كان قد مارس بعض الشعائر الدينية منذ الالف الرابعة ، كما يتضح ذلك من خلال بقاياه الأثرية . وعند قدوم الملاحين الفينيقيين في أواخر الالف الثانية كانت تتوفر ببلاد المغرب مواقع مقدسة كثيرة ، كانت تعبد فيها آلهة محلية (5) .

واذا كان المغاربة القدماء قد عبدوا " الشمس " و " القمر " (6) ، على ما يذكر هيرودوت ، ففي العصور اللاحقة ظلت الشمس والقمر تتصدران النصب الجنائزية في مواقعهم الاثرية حتى الفترة الرومانية ، مما يدل على عمق تأثيرها في صفوف الأهالي ، وقد عبد المغاربة أيضا

---

(4) Piganiol (André), " La Religion et les mouvements sociaux dans le Maghreb antique ", C.H.M. T3, 1956-57, p.813. par suite Piganiol, La Religion.

(5) Ibid , p.814. ....

(6) انظر ما سبق ، ص 95

الكبش " أمون " (7) الذى انتشرت عبادته في كل انحاء بلاد المغرب القديم وامتدت حتى الجنوب (منطقة تمنطيط والهوقار) وعلاقة هذا المعبود بالشمس دفع البعض الى ربطه باله طيبة (8) .

---

(7) يحاول محمد الهادى حارش ان يجد العلاقة بين هذا المعبود والاله بعل حمون و يقول : ان كل ما في الامر هوعملية مزج حدثت بين المعبود الفينيقي "بعل " والاله " أمون " المعبود عند المغاربة ، قبل قدوم الملاحين الفينيقيين بكثير ، و يرى ان نفس الشي ، فعله المصريون عندما مزجوا " رع " المعبود في ممفيس ب" أمون " عندما انتقل مركز الحكم الى طيبة فأصبح " أمون - رع " وكذلك " زيوس - أمون " عند اغريقي قورينة في برقة و " جوبتر - أمون " عند الرومان .

حول هذا الموضوع انظر : حارش (محمد الهادى) ، " أصول عبادة أمون في المغرب القديم " ، مجلة الدراسات التاريخية ،العدد 4 (الفصل الثاني) (1987) ،ص 11-18 .

(8) يرى س . قزال نفس الرأى في الجزء الاول من كتابه : التاريخ القديم لشمال افريقيا (ص252-253) ، لكنه تراجع وغيّر رأيه في الجزء السادس (ص127) حيث اصبح لا يرى ضرورة تشبيه الكبش الصحراوى باله طيبة ،و ينفى ان يكون منحدرا منه ، خلافا لفلاموند ، الذى يرى في أمون المغرب سلفا لأمون "طيبة" .

لمزيد من المعلومات انظر :

Flamand (G. B. M.), Les pierres écrites, gravures et inscriptions rupestres du nord Africain, Ed. Masson, (Paris I921), p. 370.

الى جانب عبادة " الكباش " نجد على ما يذكر البعض عبادة الاسد الذى نعثر عليه في العديد من نصب الاضرحة الافريقية منها نصب مكثر (Mctar) حيث نجد العديد من الاسود تحيط بمعبد " أبولون " كما عثر عليها في العديد من المواقع الاخرى مثل تيبازة ، وسكيكدة ، وتونس، حيث اكتشف " اندرى ميرلان " تماثيل العديد من الالهة بروءوس لبوءة ، وآلهة واقفة على أسد . وفي " البانثيون " المحلي ايضا نجد الاله التنين " دراكون " الذى ظلت عبادته منتشرة في تيبازة حتى عهد الامبراطور قسطنطينوس . اضافة الى هذا فقد انتشرت بشكل ملحوظ عند النوميديين والموريطانيين عبادة الامراء التي يرى بيسقانيول ضرورة البحث عن أصولها في اقدم المعتقدات المحلية (9) .

وبذلك يمكننا القول ان الليبيين (المغاربة القدماء) كان لديهم عند قدوم الفنيقيين آلهتهم وطقوسهم الدينية التي لم تتغير الا شكليا في العصور اللاحقة : فالكبش مثلا والاسد والشمس والقمر والعجل قرزيل ، ظلت دائما تحتفظ بمكانة الصدارة ، فحتى اذا تغيرت الاسماء ، فان الجوهر ظل دائما ، دون تغيير وهو ما يفسر لنا - ربما - سرعة وسعة انتشار عبادتي بعل-حمون وتانيت المنسوبتين الى القرطاجيين أو ساتورن وكايلستيس المنسوبتين الى الرومان ، وهذا ما سنعود اليه لاحقا .

ربما مهدت الاتصالات الاولى للفنيقيين بالسواحل الافريقية في أواخر الالف الثانية قبل الميلاد لانتشار المعتقدات البونيقية شيئا فشيئا خلال الفترة القرطاجية وهي المعتقدات التي انحصرت في بداية الامر في المدن الساحلية ثم توسعت بعد ذلك لتعم كامل بلاد المغرب القديم . ومن المعبودات التي

---

(9) Piganiol (A.), La religion, p. 815 .

تنسب عادة الى القرطاجيين ، والتي كان لها صدى عميقا في البروقنصلية ونوميديا وحتى في موريطانيا نشير الى الالهين تانيت وبعل حمون .

2 - المعتقدات الوثنية في الفترة الرومانية :

الى جانب العبادات المحلية والبونيقية ، انتشرت عبادات أخرى قادمة من الشرق وبلاد اليونان وهذا قبل قدوم المعمرين الرومان من موظفين وجنود ، الذين لا شك انهم نقلوا معهم معتقداتهم التي يتصدرها ثالوث الكابتول (Capitole) ، المتكون من : جوبتر " Jupiter " ، يونو " Juno " ومنرفه " Minervae " ، هذا الثالوث الذي انتشر في أغلب المدن الرئيسية بدءا من دوقة الى سبيطلة (Sufetula) وتيمقاد ثم تبسة ، ولمبازيس ، وقيرتا ، بل امتدت في بعض الاحيان حتى المدن الصغيرة[10].

اضافة الى الثالوث المشار اليه نجد عبادة الاله مارس (Mars) وهرمس (Mercure) وسيراس[11] (Ceres) وباخوس (Bacchus) واسكولاب[12] (Esculape) . الى جانب هذا كله ، انتشرت عبادة " الامبراطور " رسميا في العديد من المدن الافريقية ، وشيدت لهم معابد ،

---

(10) - Leclercq (Dom Henri), L'Afrique chretienne (2 vol.), Ed. Lecoffre (Paris 1904), t. I, pp. 107-109.

- Monceaux (Paul), Histoire litteraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, (7 vol.) Ed Leroux (Paris 1901-1923), t. I, pp33-33.

(11) -Picard (G. Ch.), "Nouveaux documents sur le culte de Cereres dans l'Afrique du nord", Acte du 79e Congrés des Societés des Savants, (Alger 1954), pp. 237-252.

-Carcopino (J.), "Le culte de'Cereres et les Numides", Rev. historique, t. 58 (1928), pp. 1-18.

(12) جوليان (شارل اندري) ، المرجع السابق ، ص254 .

وأقيمت لهم الاضرحة من ذلك مثلا الاضرحة التي أقيمت للامبراطور سيفيروس(13) ، الذى كان في نظر العامة رجلا تقيا ومتعلقا بالآلهة الواقية لمدينة لبدة مسقط رأسه ، كالمعبودين هرقل (Hercule) وباخوس اللذين أقام لهما معبدا في روما بعد انتصاره على الفرثيين(14) . ومما يدل بدون شك على تقوى الامبراطور سبتميوس هو تشييده للعديد من المعابد ، ولم يهمل حتى المعبودات الأجنبية ، التي حظيت باهتمامه اذ أقام لتانيت الالهة "كايلستيس" عند الرومان ، معبدا في روما ، كما أظهر ودا للمعبود سرابيس (Serapis) ، وأعاد أيضا تشييد معبد بعل — هليوبوليس (بعلبك) ، وجوبتر هليوبوليتانوس(15) .

رغم هذا التنوع في المعبودات ، فان كثيرا من الالهة الايطالية أخذت طابعا رسميا . ومما يؤكد ذلك انتشار معابد تلك الالهة في المدن الافريقية ، ولكن مع ذلك ، يرى بعض المؤرخين ، ان ذلك كله لم يؤثر على المغاربة الذين صمدوا في وجه الديانة الرومانية ، وتمسكوا بمعتقداتهم القديمة(16) . ولم يحظ بقبول ورضا الاهالي ، غير الالهة الرومانية المستمدة روحها وجوهرها من معبودات محلية كالاله جوبتر اكبر آلهة الرومان أو ساتورن الذى استمد روحه من بعل — حمون (Baal - Hammon) ، كما استمدت الالهة كايلستيس الرومانية روحها من

---

(13) Monceaux (P.), Op. cit., t. I, pp. 33-34.

(14) Dion Cassius, LXXVI, I6, 3.

(15) Spartianus, Vie de Sevère, 3, 9; Dion Cassius, LXXVI, 11.

(16) جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 254 .

الالهة تانيت - بنيبعل (Tanit Pené baal) ، لكن مع هذا كله ورغم محاولة السيفيريين تحقيق التوفيق بين العبادات الرومانية والليبية محاكاة لما كان عليه الوضع في الفترة - الليبية - البونيقية لكن الأمر لم يتهيأ لهؤلاء بعد .

كان الامبراطور سيفيروس ، قد عمل على ترقية عبادة الهية "باخوس وهرقل" الى الصف الاول ، وهو ما تؤكده العديد من بقايا تماثيل تلك الالهة التي زين بها غرفته في البلاط الروماني .

وكذا شهرة باخوس في افريقيا والتي تؤكدها العديد من النقوش وألواح الفسيفساء التي تشير اليها أجمل اللوحات الموجودة في كويكول (جميلة) (17) . لكن مع هذا كله ، ظلت عبادة تانيت وبعل - حمون أكثر العبادات انتشارا في افريقيا الرومانية - لا سيما - في عهد السيفيريين ، اذ احتفظا بجوهرهما رغم تبدل اسميهما الى : كايلستيس وساتورن اللذين انتشرت عبادتهما تحت هذين الاسمين بداية من ضواحي لبدة الى بول (قيصرية - شرشال) ومن السواحل الى الهضاب الداخلية المطلة على الصحراء ، وبذلك فهما جديران بأن تخصص لهما حيزا أوفر من هذه الدراسة .

---

(17) Piganiol (A.), La religion, p. 827.

أ ـ ساتـورن (18) :

أ ـ أ ـ عـبادة ساتورن :

يفهم من النقوش أن ساتورن ، كان يعتبر بالنسبة للافارقة سيـــد الآلهة أى الاله الأكبر ، الذى لا يقهر (Dominus) ،(Deus Magnus) كما يفهم من نفس النقوش ان المزارعين في افريقيا الرومـانية كانوا يـبتهلون له في رخاء حقولهم ووفرة انـتاجهم .

أما حول شكل وصورة هذا المعبود ، فقد وردت في النصب رسوم تصور هذا الاله ، البعض منها كان عـبارة عن رموز اما في شكل قرص أو هلال أو نجم ، اما البعض الاخر فقد بدا عـبارة عن صور تـقدم لنا هذا الاله فـــي هيـئة شيـخ مـسن ذى لحية ، يحيط به الالهين : الشمـس والقمر ، وهـو

---

(18) يمكننا اعتبار دراسة " Leglay " حول ساتورن الافريقي أهم دراسة على الاطلاق في هذا الموضوع ،وعليه نحيل القارئ الى هذه الدراسة المـنشورة في جزئين يتعرض الجزء الاول لساتورن في دراسة تاريخية شامـلة ، بعد أن يعطي لمـحة عن الديانات الوثنية في المغرب ما قبل الروماني ، ثم يخـصص دراســة مـفصلة لساتورن ، بينما جمع في الجزء الثاني كل النصوص والنقوش الخاصــة بساتورن الافريقي :

_ Leglay (Marcel), Saturne Africain, (2 vol.), Ed. De Boccard, (Paris 1966).

ما يؤكد لنا العلاقة بين هذا الاله والشمس والقمر ، وهي العلاقة التي تجدها بين بعل -حمون " الشمس " وتانيت التي هي وجه بعل " القمر " (+) .

ان دمج ساتورن الى الاله أوبس (Ops) وكيبل (Cybèle) آلهة الخصوبة في العديد من الوثائق المكتشفة في تبسة وضواحيها ، أو تصويره الى جانب الاسد في بعض النصب التي عثر عليها في منطقتي نوفار (Novar) ومونس (Mons) بين سطيف وقسنطينة ، تؤكد لنا مكانة ساتورن لدى الافارقة ، وأهمية الدور الذى يلعبه كحام للحقول والحصاد ، فهو سيد الكون ، يسود في السماء وعلى النجم ، وفي الليل والنهار. ومما

(+) تمثل ألواح كثيرة هذه الالهة على شكل كوكب يتصل به هلال و ينجم عن هذا الرسم النجمي المزدوج في نظر " مادلين هورس " صفة مزدوجة لهذه الالهة ، فهي من جهة تتميز برسم قمرى الممثل في الهلال . و يدل على مماثلتها للعذراء " كايلستيس " في الحقبة الرومانية ، و تتميز من جهة أخرى بصفة الخصوبة التي جعلتها تعرف باسم " نوتريكس " (Nutrix) ، و تعرض على صورة آلهة يرمز اليها برمانة ، او حمام او سنابل او غيرها .

كما ترى نفس الكاتبة ان رمز " تانيت " المكون في شكل مثلث ودائرة يتألف بدوره من حجر مقدس يمثل الميزة الارضية لآلهة قرطاجة الى جانب الميزة النجمية المتمثلة في الشكل الدائرى . وهو ما يجسد في نظرها دائما الزوجين بعل و تانيت .

اما بعل -حمون فما هو في نظرها الا " ايل " سيد البانثيون الفنيقي ، فهو الذى شبه بالاله " ابولون " بسبب رسمه على صورة شمس فهو الذى عرف في الحقبة الرومانية بـ : " ساتورن " . حول هذا الموضوع راجع :
- مادلين هورس ميادان ، تاريخ قرطاج ، ترجمة ابراهيم بالشن ، منشورات عويدات ، (بيروت - باريس 1981) ، ص 64 ، 105 .

يؤكد دوره كحامي الحقول اقترابه في بعض الاحيان بافريقيا من الالهة سيراس (Ceres) أو سيررس (Cereres) آلهة الحبوب والزرع وأوبس والالهة المرضعة ، سيلفانوس (Silvanus) ، وبلوتو (Ploto) وجوبتر أوبتيموس ماكسيموس (Jupiter Optimus Maximus) ، ونبتونوس (Neptunus) ومنرفه (Minerve) وفينوس (Venus) ، كما عثر في بعض المدن الداخلية مثل ثيزدروس ، ومَتْشر ومسكولة (خنشلة) على نقوش بونيقية احتفظت لنا باسمه في شكله المحلي " بعل ـ أدير " (19) . " Baal-Addir " ، وكذلك الشأن في نوميديا شمال قالمة والى الجنوب من قيرتا (20) .

يمكننا القول وبدون تردد أن عهد السيفيريين ، كان بالنسبة لعبادة ساتورن عهد رقي وازدهار ، وهذا اعتمادا على كثرة المعابد والقربان التي كانت تقدم له في كل الولايات الافريقية . فالبروقنصلية عرفت نشاطا كبيرا ما بين سنوات 198 ـ 202 م ، تمثل هذا النشاط في بناء العديد من المعابد والأضرحة للاله ساتورن ، فاذا كانت حيدرة (Ammaedara) قد شهدت توسيع معبد ساتورن في عهد سيفيروس ، فان مدينتي بوقرنين ودوقة أنشئت بها معابد لهذا الاله ، ظلت بعضها تقدم بها القرابين

---

(19) Berger (P.H), " Les Inscriptions de Maktar" , C.R.A.I et belles lettres, t28, 1890, pp. 35-42.

Dussau (R), " Inscription néo-punique de Bir Tlelsa , relatant la construction et la consécration d'un autel", B.A.C.T.H , t34, [illegible], (1914,) pp.618-620.

(20) Toutain (J), Les Cultes paiens dans l'empire romain, ed, Ernest Leroux,(Paris 1920,)pp. 15-26.

حتى سنة 211 م ، وكذا كل المنطقة الجبلية الممتدة من القيروان والقصرين الى هنشير السريرة ٠ كما أعيد اصلاح معبد هذا الاله في خميسة (Thubursicum Numidarum) ، ومعبد آخر في داموس القصبة ، والمعابد المجاورة لقالمة ـ عين نشمة والقصيبة ـ ومعبد سوق الثلاثاء (Souk-el-Tleta) الذي يرجع الى سنوات 198 و 211 م ، ومعابد منطقة باجة ، ووادي قيطان (Oued-Kitan) ايلاس (Elles) في منطقة الكاف ، ومعابد عين تونقة (Thigbich) وهنشير تيبار (Hr. Thibar) ، في موستي (Hr. Musti) بين تونس والكاف وفي مكثر ومعابد قصيرة (Kessera) وأوسلتية (Ousseltia) ، وهو ما ساعد على انتشار عبادة ساتورن في أرياف البروقنصلية ولا سيما منطقة السهول الواقعة بين البحر وحوض مجردة ٠ نفس الوضع عرفته معابد " ساتورن " في ولاية نوميديا ، اذ تم توسيع بعضها وتزيين البعض الآخر ، وكل المعابد التي عثر عليها من الطراز الروماني الافريقي مع هندسة معمارية كلاسيكية سواء في المدن أو الارياف (21) .

تشير النصب التي عثر عليها في القرن الثالث الى معابد تيديس وميلة ومعبدي جميلة وخنشلة ، التي يبدو انها عرفت كلها ترميمات في عهد السيفيريين ، كما عثر على ثلاثة معابد لساتورن في لمبازيس من نفس الطراز ٠ وفي موريطانيا لم يعرف الا تشييد معبد واحد لهذا المعبود وهو الموجود في عين رافا (Aïn Rava) بين سطيف وهنشير ترقور الذي شيد أثناء الحكم المشترك لسيفيروس وابنه كراكلا (198 ـ 209 م) ، غير

---

(21) Leglay (M), Op. cit ,pp. 90-91.

أننا نلاحظ سعة انتشار عبادة " ساتورن " في شرق موريطانيا القيصرية ، وهذا اعتمادا على كثرة النقوش التي عثر عليها في المنطقة ، وهي النقوش المؤرخة في الفترة الممتدة ما بين 209 _ 234 م ، وهو ما يدل ايضا على أن عبادة " ساتورن " ظلت منتشرة و بقوة الى عهد آخر السيفيريين " الاسكندر سيفيروس " .

واذا قلنا ان هذه العبادة عرفت انتشارا في شرق موريطانيا القيصرية فليس معناه ان المناطق الأخرى لم تعرف عبادة " ساتورن " بل امتدت عبادته حتى مدينة وليلي في موريطانيا الطنجية على ما يستشف من النصب (22) .

أ _ ب _ المذابح :

قبل تقديم القربان يستوجب تهيئة المذبح ، وقد أشير في بعض النصب الجنائزية الى وصف المذابح أثناء تقديم القربان من أنها تزين بأشرطة مزخرفة ، وتحاط بأغصان من النخيل ومصباحين ، وكان يستحسن أن تقدم القرابين ليلا .
في الوقت الذى يزين فيه المذبح ، يقوم بعض الكهنة بتهيئة الاضحية ، فكانت الحيوانات تغسل بدون شك خارج المعبد ، ربما يقدم لها الأكل قبل أن يضحى بها ، بعد ذلك يوضع شريط مزخرف على جبين الحيوان و شريط آخر على ظهره ، ثم يدخل في موكب رسمي ، ممسكا من أحد قرنيه ومرفقا بحامل الدبوس أو المصقلة ، ثم تربط الاضحية عند حلقة مركزة في بلاط قريب من المذبح (23) .

---

(22) Leglay (M), Op. cit, pp. 91-94.

(23) Ibid , pp. 344-346.

أ ـ جـ ـ أنواع القرابـين :

اما القرابين ، التي كانت تقدم لساتورن فهي متنوعة ، قد تكون حيوانية كالثيران والكباش والطيور ،أو بواكير الفواكه كالرمان والعنب ، وتارة أقراصا من المرطبات متعددة الاشكال والروائح ، والخمور والزيوت ، ومواد التزيين أو أثاث المعبد كالمصابيح وغيرها ؛ اما القرابين البشرية فهي محل خلاف بين المؤرخين ، ففي الوقت الذى نجد فيه البعض يشير الى هذه القرابين البشرية أمثال أوروسيوس (Orasius) ولاكتانس (Lactanse) ، ومسينوكيوس فيلكس (Minucius felix) وهو ما أكده ترتوليانوس بقوله: "Infantes penes Africam Saturno immolabantur Palam: usque ad proconsulatum Tiberi, qui eosdem sacerdotes in eisdem arboribus templi sui obumbraticibus scelerum voturis crucibus exposuit, teste milita patriae nostrae, quae ed ipsum munus illi proconsuli functa est. Sed et nunc in occulto perseveratur sacrum hoc facinus ".(24)

" في افريقيا يقدم الاطفال علنية قربانا للاله ساتورن، حتى عهد تيبريوس الذى صار يقيد كهنة الاله ساتورن بدورهم على أشجار المعبد التي تغطي ظلالها تلك الضحايا البشعة ٠ استشهد جنود بلدى الذين قاموا بتنفيذ أوامر البروقنصل ، ومع ذلك فان هذه القرابين الكريهة ما تزال

---

(24) Tertullianus , Apolegetique, IX, trad. M.De Genoude, (Paris 1852)

قائمة سرا الى الآن ."

نجد القديس كبريانوس " Saint Cyprien " وأرنوبيوس
(Arnobius) ينفيان ذلك ، خلافا لبيكار الذى يريد التوفيق فيقول
ان الاضاحي البشرية كانت تقدم من بين المساجين المحكوم عليهم بالاعدام ،
و يقدمون قربانا بعد أن يلبسون ملابس خاصة ، وهو ما يؤكده النقش التالي :

" Et cum delati essent in portam et cogerentur habitum induere viri qui dem sacerdotum saturni feminae vero sacratarum Cereri ". (25)

" كان الرجال يلبسون ملابس كهنة ساتورن ، أما النساء فيلبسن ملابس كهنة سيراس ."

وكان يطلق عليها القرابين الكهنوتية " Sacerdotes ".

ومهما كان موقف هؤلاء المؤرخين ، فاننا نرى في استمرار تقديم القرابين البشرية لساتورن ، تأكيد لما سبق وقلناه من عبادة ساتورن في صورة بعل ــ حمون .

---

(25) Picard (G.ch), " Les Sacerdotes de Saturne et les sacrifices humains dans l'Afrique romaine ", Recueil de Constantine, t 66 , (1948,) pp. 117-121.

ب ـ عبادة كايلستيس :

انتشار عبادة هذه المعبودة في القرنين الثاني والثالث أكدته المخلفات الاثرية ، والنصوص والحوادث التاريخية ، اذ يفهم من الأحداث ان الاحتفال بعيد هذه الالهة استمر حتى عهد القديس اغسطينوس ، وكان احتفالها هو الاحتفال الرئيسي لمدينة قرطاجة على ما يفهم من مسونصو (26) .

اذا كانت كايلستيس تعتبر في آن واحد " ديانا " (Diana) ويونو (Juno) ، فهي الالهة الكبرى والسيدة القوية القادرة في نظر عبدتها ، وتسود في أفق السماء وفي أعماق الارض ، فهي الأم ، السيدة القوية ، المسيطرة على الكون ، وهي حامية المدينة كالالهة (ديانا) ، العذراء والمغذية وهي رمز الخصب . فاذا كانت تشخيصا للقمر ، فهي أيضا آلهة المطر في نظر ترتوليانوس (27) ، وكان يرمز لها بالهلال شأنها شأن تانيت . اما الاشكال التي عثر عليها لكايلستيس فهي تصورها تارة واقفة وتارة جالسة ، كما عثر على صورة لها وهي ترضع ابنها . ويفهم من النقوش ان عبادتها كانت منتشرة بشكل واسع في منطقة تبسة .

هذه الالهة المحلية الروح ـ الرومانية الاسم ـ استطاعت أن تغزو روما ، حيث أقيم لها معبدا في الكابتول في عهد الامبراطور سيفيروس (28) ،

---

(26) Monceaux (P), Op. cit , t 1, p.35.

(27) Tertullianus , Apolog, 23.

(28) Piganiol (A) , La Religion, p. 824.

وبذلك تجاوزت حدود افريقيا لتصبح سيدة حتى في روما ، وهي المكانة التي احتفظت بها ودعمتها في عهد الامبراطور هليلوجابالوس (29) .

فاذا كان هذا هو وضع المعبودين ساتورن وكايلستيس ، فهذا لا يلغي القول ان خريطة المعتقدات بالمغرب الروماني ، قبل ظهور المسيحية ، كانت معقدة الخطوط متداخلة الألوان ، حيث تعايشت في بعض الأحيان أو تداخلت في أحيان أخرى ديانات متباينة الأصول (30) ، فاذا كانت العبادة السائدة ظاهريا هي عبادة الامبراطور ، التي تركزت خاصة في المدن وضواحيها المتأثرة بالحضارة الرومانية ، وذلك باعتبار الامبراطور هو " الكاهن الأعظم المؤله " (31) . فقد تعايشت معها معتقدات وثنية محلية خارج مناطق النفوذ الروماني في السهوب والجبال وكذلك شأن المعتقدات البونيقية في بعض المدن والارياف .

---

(29) يروى هيروديانوس (، ص623-624) ولامبريديوس (حياة هليو جابالوس 3 ر 4) ، ان هليو جابالوس قد احضر معه حجرا أسود من حمص ، ووضعه في قاعة الجلسات لمجلس الشيوخ ، كما أنشأ معبدا ، وطلب نقل الالهة كايلستيس الى هذا المعبد ، لتكون رفقة الحجر الاسود ، وأقام احتفالا كبيرا بهذه المناسبة " مناسبة زواج الالهين " .

(30) Monceaux (P), Op . cit, t 1, pp. 28-29.

(31) شنيتي (محمد البشير) ، المرجع السابق ، ص 264 .

ثانيا _ انتشار المسيحية وموقف السيفيريين منها :

1 _ انتشار المسيحية :

كانت الطرق التي سلكتها المسيحية في الانتشار في بلاد المغرب محل نقاش طويل بين المختصين في الدراسات المسيحية ، غير انه يتضح في هذا النقاش نوعا من الاجماع على الدور الذى لعبه التجار الشرقيون ، في نقل الدين الجديد الى المدن الساحلية الكبرى كقرطاجة (32) ، التي كانت ملتقى هاما للتجار الشرقيين ، الذين كانوا قد هيأوا الوضع لبذر البذور الاولى لهذه الديانة ،رغم ان البعض الاخر يرى ان هناك دورا للارساليات التبشيرية القادمة من روما (33) .

اذا سلمنا ان قرطاجة والمدن الساحلية ، كانت المحطة الاولى للمسيحية في شمال افريقيا وهو ما يدعمه اعتبار البروقنصلية ،أولى الولايات التي وصلتها المسيحية وفق رأى أكثر المؤرخين ، فان هؤلاء المؤرخين أنفسهم يرون ان المسيحية سلكت نفس المسلك الذى سلكته في روما ، حيث قصد المبشرون القادمون سواء من روما أو بقاع أخرى من الامبراطورية المراكز الحضرية المترومنة أولا ، ومنها تسللت المسيحية الى المدن الداخلية والارياف ، وهو ما جعل " بريسون " يعتبر كنيسة روما آما لكنيسة قرطاجة (34) ، وهذا خلافا لرأى مونصو (35) الذى يرى ان المسيحية كانت معروفة في

---

(32) Brisson (J.P), Op. cit, p. 35.

(33) Ibid, p. 36.

(34) Ibid, pp. 36-37.

(35) Monceaux (P), Op. cit, t 1, p.5.

قرطاجة بفضل الدور الذى لعبه التجار القادمون من سوريا ومصر واليونان ٠

اما عن تاريخ نشأة كنيسة قرطاجة ، فهو أيضا غير معلوم ، غير أنه واضح انه لم يكن لها وجود قبل عصر ترتوليانوس ٠ ومما يدعم هذا الرأى ان مجمع قرطاحة هو أول مجمع افريقي ذكره المؤرخون ، حضره على ما يذكر القديس اغسطينوس (36) سبعون اسقفا ، ممثلوا افريقيا البروقنصلية ونوميديا على ما يذكر القديس كبريانوس في النص التالي :

" Agrippinus bonae memoriae vir cum caeleris coepiscopis sius qui illo tempore in provincia Africa et Numidia ecclesiam dei gubernabant ". (37)

" القديس اغريبينوس (Agrippinus) الرجل الذى يستحق الثناء ومعه بقية الاساقفة الذين حكموا الكنيسة الالهية في ذلك الوقت بولاية افريقيا ونوميديا ٠ "

كان هذا المجمع برئاسة القديس اغريبينوس سنة 198 م٠ وهو ما

---

(36) Augustin (Saint), De Unico baptismo contra petilianum, XII, 22, d'aprés Mesnage (P.J), le Christianisme en Afrique, origines, developpements, extension", Extrait de la Rev-afr, n°290-91,3è et 4è trimestre, (1914,) p. 90.

(37) Cyprianus (Saint), Epistula, 71,4, trad. Le Chanoine bayard, ed. Les belles-lettres,(Paris, 1925.)

يجمع عليه غالبية المؤرخين (38) .

وقد علل البعض سرعة انتشار المسيحية في بلاد المغرب بالاستعداد الطيب الذى وجدته في هذه المنطقة ، نتيجة انتشار الافكار الفلسفية لدى الطبقة الارستقراطية وتهيؤ الاهالي بواسطة الديانة البونيقية ، التي كان أصحابها يدينون بإله واحد (39) .

لكننا اذا علمنا ان الطبقة التي احتضنت المسيحية هي الطبقات الوضيعة المحرومة ، وان القرطاجيين -كما رأينا - لم يكونوا يدينون بإله واحد وهو ما يدفعنا الى البحث عن مبررات أخرى ، تكون قد سهلت عملية انتشار المسيحية في بلاد المغرب ، وربما اعتبرنا وبدون تردد ان فشل الديانة الرومانية الرسمية المتمثلة في عبادة الامبراطور ، وغموض وتعدد المعتقدات الوثنية التي لم تستطع تحقيق الوئام الاجتماعي بين مختلف الشعوب ، وراء سرعة انتشار المسيحية ، التي وجد فيها الناس بغيتهم الروحية وطموحهم الاجتماعي ، بما تحمله من معاني العدل والتسامح (40) . وبذلك تزايد عدد المسيحيين ، ووصل عددهم في عصر ترتوليانوس أواخر القرن الثاني وأوائل

---

(38) Mesnage (Père Jean), " Le Christianisme en Afrique , or igines, developpements, extention ", Extrait de la Rev-afr, n° 290-91,3è et 4è trimestre, 1914, p. 90 . par suite Mesnage (P.J) , Le Christianisme.

(39) شنيتي (محمد البشير) ، المرجع السابق ، ص268 .

(40) Aube (B), Les Chretiens dans l'empire romain de la fin des Antonins au milieu du IIIème siècle, ed. Didier , Paris 1881, p. 152.

القرن الثالث في الولايات الافريقية الثلاث ، أكثر من مائة ألف مسيحي (41) . خلافا لترتوليانوس الذى يعدهم بالملايين ، و يشكلون الاغلبية في نظره ،وان العالم الروماني كله لا يشكل قوة بدون المسيحيين :

" Nunc enim pauciores hostes habatis prae multitudine christianorum paene ammium civitatum ". (42)

اذا كان هذا رأيه حول العالم الروماني كله ، فان نفس الرأى ينطبق على بلاد المغرب القديم الذى تشكل فيه المسيحية الاغلبية :

" Partem paene majorem civitatis cujusque " .(43)

فاذا كان من الصعب تصديق ترتوليانوس ، فانه من الصعب أيضا ترك هذه الشهادات جانبا في ظل المعطيات الحالية ،وعليه يمكننا القول انالمسيحية وجدت في تناقضات الوثنية تربة خصبة للانبات ، فانتشرت في أوساط طبقات المجتمع المحرومة ، فكانت اكثر انتشارا في الاوساط الشعبية سواء في المدن أو الارياف ، وكانت في البروقنصلية اكثر انتشارا منها في نوميديا وموريطانيا (44) .

وخلاصة القول انه رغم عدم المامنا بطرق انتشار هذه الديانة الجديدة في بلاد المغرب ، غير انه من الواضح "ان هذه الديانة حظيت باقبال شديد من

---

(41) Monceaux (P), Op. cit, t 1, p. 10.

(42) Tertullianus , Apolog , 37.

(43) Tertullianus , Ad scapulam, 2, trad. M. De Genoude ,(Paris,1852.)

(44) Aube (B), Op. cit, pp. 149-154.

طرف الطبقات الاجتماعية الدنيا ، وخاصة الاهالي الذين التمسوا في تعاليم المسيحية بغيتهم الروحية ، وطموحهم الاجتماعي - كما قلنا سالفا - وهما أمران لم تتوفر عليهما الديانة الرومانية الرسمية ولا المعتقدات الفلسفية الهلنستية ، التي عجزت عن تحقيق الوئام الاجتماعي" (45) . وهذا ليس معناه نفي وجود افراد من المتنصرين في الطبقة الارستقراطية ، لكن كل ما في الأمر ان المسيحية لم تجد اقبالا وحماسا عند هذه الطبقة مثل الاقبال والحماس الذى وجدته لدى الطبقات المحرومة المتكونة عموما من الحرفيين والعمال الاحرار والمزارعين وعبيد المدن والارياف ، ومما يدعم رأينا ما يمكن استخلاصه عند ترتوليانوس من أن اضطهاد المسيحيين في افريقيا كان من طرف الوثنيين قبل أن يكون من قبل السلطة (46) .

وهكذا يمكننا ان نلاحظ ان الوثنية لم تبق جامدة ، امام تطور الاوضاع وانتشار المسيحية ، بل قاومتها و بصورتين :

أولا - محاولة تحطيمها باللجوء الى الاضطهاد .

ثانيا - بمحاولة اضعافها ، وذلك بتطبيق سياسة الامتصاص ، لأنه في نظر الوثنيين ان رفض عبادة آلهة المدن ، هو بمثابة الفرار من الخدمة العسكرية ، او الامتناع عن دفع الضريبة ، وهو عمل يسيء الى الدولة ، أو بعبارة أخرى فهو بمثابة اهانة للوطن (47) .

---

(45) شنيتي (محمد البشير) ، المرجع السابق ، ص 268 .

(46) Tertullianus, Ad scapulam , 2

(47) Homo (Léon), De la Rome païenne à la Rome chrétienne, ed. Robert Laffont, (Paris, 1950), pp. 125-126.

لم تتدخل السلطة في بداية الامر في النزاع ، كما كانت متسامحة نسبيا ازاء المعتقدات المختلفة ما دام معتنقوها لم يمسوا بعد بالمصلحة العليا للامبراطورية [48] ، لكن نمو وتزايد هذا الصراع الذى بلغ درجة من الخطورة استدعى تدخل السلطة .

2 – موقف السيفيريين من المسيحية :

عندما تولى سيفيروس عرش الامبراطورية ، كان المسيحيون يشكلون قوة لا بأس بها ، لا في ولايات الشرق فحسب ، بل وحتى في الولايات الغربية ، وكانت الولايات الافريقية من ضمن الولايات التي انتشرت فيها المسيحية ، غير أن الامبراطور في بداية الامر لم يتخذ أى اجراء تجاه المسيحية ، هل يعود ذلك الى كونه لم ير ما يدعو للوقوف في وجهها ؟ أم ان انشغالاته العسكرية حالت دون ذلك ، خاصة في السنوات الست الاولى من حكمه (الصراع مع نيجر وألبينوس 193 – 197م ثم الفرثيين 197–199 م) ؟ وبالتالي ألم يكن هذا الصراع هو الذى حال دون اصدار الامبراطور لقوانين ومراسيم ضد المسيحيين [49] .

يظهر للعيان ان تلك الانشغالات لم تكن وراء ذلك ، بدليل ان سيفيروس لم يظهر اى عمل عدائي تجاه المسيحيين خلال العشرية الاولى من

---

(48) Monceaux (P), Op.cit, t 1, p.28.

(49) Allard (Paul) , Histoire des persécutions pendant la Iere moitie du IIIème siècle , (Septime Sevère , Maximin-Dece) ,ed. Lecoffre , (Paris 1905) , pp. 3-19.

حكمه ، بل اكثر من ذلك يزعم ترتوليانوس ان سيفيروس تدخل في روما لحماية جماعة من المسيحيين ينتمون الى الفرسان ، الذين هددهم الوثنيون (50) . وقد يكون هذا التهديد بسبب رفض هؤلاء المشاركة في تقديم الاضاحي سنة 197م ، بمناسبة عودة الامبراطور منتصرا على خصمه ألبينوس ، و يذكر " بسينيه " ان المسيحيين ردوا هذا الجميل بمساندة الامبراطور في حروبه ضد أعدائه (51) .

سمحت فترة الهدوء تلك للمسيحية من أن تتزود بالاجهزة الأساسية من قضاة وكهنة وأساقفة وقساوسة ، كما كانت لها ميزانيتها وأماكن للاجتماعات ، بل وخصصت للمسيحيين حتى الاماكن لدفن موتاهم في المقابر (52) ، وأكثر من ذلك يذكر ترتوليانوس انهم تسربوا في الجيش والبلاط وحتى مجلس الشيوخ (53) .

وتحدث البعض لا على مسيحيين في بلاط سيفيروس فحسب ، بل اكثر من ذلك يقال انه وضع ابنه كراكلا بين ايدي مرضعة مسيحية (54) ، كما يذكر صاحب سيرة سيفيروس اسماء مسيحيين من ضمن اصدقاء كراكلا (55) .

قد تعود علاقات سيفيروس بالمسيحيين الى السنوات السابقة لاعتلائه العرش ، اذ سمح له تعيينه قنصلا سنة 189م ، من أن يقيم علاقات

---

(50) Tertullianus , Ad . scapulam , 4 .

(51) Besnier (M) , Op. cit , p. 45 ;

(52) Aube (B) , Op . cit , p. 156 .

(53) Tertullianus , Ad . nationes , 18 .

(54) Zeiller (J) , L'Empire romain et l'Eglise , ed. De Boccard , (Paris 1925), p. 38.

(55) Spartianus , Vie de Sevère , 17.

مع المسيحيين في روما . ويذكر في هذا الصدد ان الامبراطور شفي من مرض كان يعاني منه بفضل المسيحي بروكولوس تورباكيون (Proculus Torpacion) أحد موظفي القصر ، مما جعله يعترف بخدماته ، فاحتفظ به فيما بعد الى جانب ابنائه بعد أن أعطاه مسكنا في قصره ، وهو ما يشير اليه ترتوليانوس بقوله :

" Ipse etiam Severus parter Antonini christianorum memor fiat

nam et Proculum christianum qui Torpacion cognominabatur ,

Evhodi procuratorem qui eum per oleum aliquando curaverat ,

requisivit et in palatio suo habuit usque ad mortem ejus :

Quem et Antoninus optime noverat lacte christiano educatus ".(56)

وهو ما لم يدع الى حاجة مسيحي افريقيا الى التستر في اداء شعائرهم الدينية (57) .

لكن امام تزايد عدد المسيحيين ، واتساع نشاطهم وادراك الامبراطور لخطورة الوضع ، قرر وضع حد لهذا النشاط ، وذلك باصدار مرسوم يمنع بموجبه ، وبصفة نهائية التبشير بالمسيحية ، وأعطى أمرا بملاحقة معتنقيها وأتباعهم (58) ، وهو الموقف الذى جعل البعض يتساءل عن الاسباب

---

(56) Tertullianus , Ad . scapulam , 4 .

(57) جوليان (شارل اندرى) ،المرجع السابق ،ص 256 .

(58) Mesnage (P.J) , Le Christianisme ,p.92.

التي دفعت الامبراطور الى هذا التحول . فهل يكمن ذلك في تزايد عدد المسيحيين ؟ أم ان قانون ملكية الكنيسة والطابع الطائفي الذى تبنته الطوائف المسيحية ، كان وراء ذلك ؟ ورغم ان البعض يتخذ من العامل الأول مبررا لذلك ، بدعوى انه لا الامبراطور ولا خلفاءه اعتدوا على املاك الكنيسة وحرموا أهلها من مقابرهم (59) ، غير انه يبدو ان تلك الاسباب مجتمعة كانت وراء ذلك ، رغم ميل البعض الى الاعتبارات السياسية (60) .

لم يكن الامبراطور سيفيروس هو فاتح سياسة الاضطهاد تلك ، وانما تعود الى عهد الامبراطور كومودوس ، وكانت محاكمة سنة 180 م التي تم فيها الحكم بالاعدام على اثني عشر مسيحيا في البروقنصلية (+) ، بداية للاضطهاد وتلت ذلك أحداث اخرى مماثلة في نوميديا في نفس السنة ، حيث حكم بالاعدام في مداوروش على عبد . وبالتالي يمكننا القول أن الاضطهاد الذى ساد في عهد سيفيروس هو اضطهاد أعقب فترة تسامح دامت أكثر

---

(59) Allard (P) , Op. cit , pp. 66-68.

(60) De Ceuleneer (A) ,Op.cit ,p.221.

(+) اعتبروا الشهداء الاوائل لكنيسة افريقيا ، منهم ستة رجال وخمس نساء هم :

Speratus , Nartzatus , Cittinus , Veturius (Venerius), Felix , Aquilinus , Lactancius (Kelestinos) , Januaria , Generose, Vestia, (Vestigia) , Donata , Secunda .

حول الموضوع انظر :

Mercier (Ernest) , <u>Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française</u> , ed. Leroux , (Paris 1888) ,pp.111.

من ثلاثين سنة ، سمحت للاسقف " اغريبينوس " ان يعقد مجممين (61).
ورغم التسامح الذى ساد فترة سيفيروس فان هذا الاخير يعتبر في نظر المسيحيين من أكبر جلاديهم بعد دقليانوس (284 ـ 305م) ، على ما يذكر جوليان (62) ، وهو أيضا ما يفهم عند أزوبيوس (63) وسولبيك سيفيروس (64) الذين يقولون ان الاضطهاد عم في عهد الامبراطور سيفيروس ، وهذا موقف طبيعي من مؤرخي الكنيسة ، خلافا للاكتانس الذى يرى في عصر هذا الامبراطور عصر تسامح مع المسيحية .

امام سكوت كل من هيروديانوس وديون كاسيوس عن هذا الموضوع (65) ، لم يبق أمامنا غير الاخذ برأى سبارتيانوس (66) ، الذى يذكر ان الامبراطور أصدر مرسوما سنة 202 م على اثر زيارته لفلسطين يمنع بموجبه الدعوة لليهودية والتبشير بالمسيحية .

كما ذكر نفس المؤرخ (67) اضطهادا عاما ومتابعات قضائية خاصة في الاسكندرية وقرطاجة . وهو ما يسمح لنا بالقول ان موقف سيفيروس من

---

(61) Mesnage (P.J) , Le Christianisme, p.92.

(62) جوليان (شارل اندرى) ، المرجع السابق ، ص 824 .

(63) Eusebius , Histoire ecclesiastique , VI, 1., trad ,E. Grapin, ed.Picard ,(Paris 1905) .

(64) Sulpice Sevère , Chronic , II, 32 , d'aprés Mesnage (P.J), Le Christianisme , p. 92.

(65) Aube (B) , Op . cit , pp.71-80.

(66) Spartianus , Sevère , 17.

(67) Loc . cit.

المسيحيين مرّ بمرحلتين : مرحلة التسامح ثم الاضطهاد .

كان من ضمن ضحايا المرسوم السالف الذكر عددا كبيرا من الناس في مختلف الولايات ، منها الولاية الافريقية ، حيث تم ايقاف خمسة مساجين في قرطاجة ، وذلك في 7 مارس سنة 203 م في عهد الحاكم ايلاريانوس(Hilarianus) في بلدة قريبة من عاصمة البروقنصلية وهي تيبوربة (Thiburbo-minus) ، وكانت بينهم امرأة تنحدر من الطبقة الارستقراطية ، لم يتجاوز عمرها الثانية والعشرين واسمها القديسة بربوتيا (Saint-Perpetue) ، وقد سجن معها شخصان فقيران فيليسيتي (Felicité) وساتوروس (Saturus) لم يمر على دخولهما المسيحية زمن طويل ، وعبدان ، وسرعان ما انضم اليهم سادس. وقد حوكم هؤلاء المتهمين في قرطاجة ورمى بهم الى الحيوانات الضارية (68) ، واستمرت هذه السياسة في الولايات الافريقية حتى أواخر حكم الامبراطور سيفيروس سنة 211 م حيث كانت نوميديا وموريطانيا ، والبروقنصلية (69) ، مسرحا لاحداث دامية جرت اثر الاحتفال بذكرى وفاة الامبراطور سيفيروس بتوزيع العطايا على جنود الفرقة الاغسطية الثالثة التي كانت تعسكر بلمبازيس حيث رفض احد المسيحيين من الفرقة ان يحمل الاكليل في عيد من الاعياد ، وتخلى عن سيفه بعد أن اعتبره غير ضروري ، فاعتقل فورا وقدم لمحكمة عسكرية (70) . وقد وصف ترتوليانوس الحادثة بقوله :

---

(68) Monceaux (P), Op.cit, t 1,p.45.

(69) Aube (B) , Op . cit , p.230 .

(70) Leclercq (Dom-Henri) , Op .cit , t 1 , pp.154-156, Brisson (J.P) , Op. cit, p. 65.

" Proxime facta est liberalitas praestantissimorum imperatorum escpungebantur in castris milites laureati Adhibetur qnidam illic magis dei miles caeteris constantior fratsibus qui se duobus dominis servire posse praesumpserant , solus libero capite coronamento in manu otioso . Vulgato jam et itsa disciplina christianorum relucebat . Denique signali designare et eludere enninus infrendere cominus . Murmur Tribuno defertur et personna jam ex ordine accesserat . Statim tribunus : Cur inqiut tam diversus habitu ? Negavit ille cum caeteris sibilicere, causa expostulatus : Christianus sum inquit ".(71)

" ها هو ما وقع في الايام الماضية : الاباطرة الاقويا" يوزعون هباتهم في المعسكر بسخاء ، يحضر الجنود وعلى رأسهم اكليل الرند . أحدهم أكثر جرأة من الآخرين يتقدم وهو يتميز عنهم : رأسه عارية ، والاكليل بيده مبينا بذلك انه اكثر تقوى من الآخرين .

ووجهت نحوه الانظار والأصابع ، من بعيد يسخر منه ومن قريب يسخط عليه ويتعالى الهتاف الى العوام ، فيتقدم الجندي الى الصف . لماذا ؟ يسأله العوام ، أتختلف عن الآخرين ؟ فيجيب : لا أستطيع أن أفعل مثلهم . ولما استفسر عن السبب ، أجاب : اني مسيحي . "

---

(71) Tertullianus , De Corona militis , 1., trad. M. De Genoude , (Paris 1852) ,

وهي الحادثة التي تؤكد ما سبق وقلناه من تسلل المسيحيين الى صفوف الجيش في عهد السيفيريين ، نتيجة سياسة التسامح الديني تجاه المسيحية التي استهل بها الامبراطور سيفيروس حكمه . لكن يستشف أيضا من النص ان المسيحية ما زال يسخر من معتنقيها و يسخط عليهم حتى في صفوف العامة .

ودامت ملاحقات مسيحيو افريقيا اكثر من سنتين ، حيث استمرت في عهد الحاكم ترتولوس سكابولا (Tertullus Scapula) " 211 - 213 م " وامتدت الى نوميديا وموريطانيا وذهب ضحيتها مايلوس (Maĩulus) من سوسة وذلك في 11 ماى 212 م (72) .

و بوفاة سيفيروس طرأ على الوضع شيء من الانفراج ، أمكن للمسيحيين أن يمارسوا شعائرهم الدينية دون خشية ، بفضل سياسة التسامح والانفراج التي انتهجها خلفاء الامبراطور لدرجة أننا لا نجد أية اشارة للاضطهاد لدى المؤرخين المعاصرين في عهد خلفائه منذ عهد كراكلا الى عهد الاسكندر سيفيروس . فقد سمح كل من كراكلا وهليوجابالوس لرجال الكنيسة بحرية التحرك سواء في روما أو في قرطاجة ، فانعقد مجمع في قرطاجة سنة 215 م برئاسة " اغريبينوس " اسقف قرطاجة ، حضره أساقفة نوميديا والبروقنصلية ، قرروا بالاجماع ضرورة تغيير البدع ، كما عقد مجمع ثان بين سنتي 217 و 222 م في روما برئاسة الاسقف كاليست " Calliste " .

و يستنتج من هذا أن حق الاجتماع الذى منع في عهد الانطونيين ووضع تحت رقابة شديدة في عهد سيفيروس قد انتهى وأصبح من حق

---

(72) Monceaux (P) , Op. cit, t 1, p. 46.

كل الطوائف في عهد خلفاء الامبراطور (73) .

رغم تعلق كراكلا بالمعتقدات الوثنية الرومانية ، غير انه أظهر تسامحا كبيرا تجلى في اهتمامه بالديانات الاخرى ، التي كان يذهب به هذا التسامح حتى زيارة معابدها وترميم بعضها .

اما هليوجابالوس الذى عمل على جمع الديانات الرومانية في معبوده " الحمصي " الحجر الاسود ورفعه من شأن كايلستيس ، فان ذلك لم يمنعه من الاحتفاظ بمكانة لباقي المعبودات الرومانية في معبده ، أمثال : حجر الام (Mater) ، آلهة النار (Vesta) وتمثال منيرفه في (Palladium) (74) .

حاول الامبراطور الاسكندر سيفيروس بدوره انتهاج سياسة توفيقية بين الديانات ، فجمع في معبده تماثيل الاسكندر الاكبر ، وأبولونيوس ، أبراهم ، أورفي (Orphée) والمسيح ، بالاضافة الى تماثيل فيرجليوس ، شيشرون واخيلوس ، وحسب تاريخ اغسطس (75) ، فان الامبراطور الاسكندر سيفيروس هز النفوس عند اقامته معبدا ليسوع المسيح واعتبره من ضمن آلهة الامبراطورية ، واعترف بالكنيسة المسيحية وأخذ على عاتقه الدفاع على المسيحية والمسيحيين (76) .

---

(73) Aube (B) , Op. cit , p.296.

(74) Homo (Leon) , Les Empereurs romains et le christianisme, ed. Payot , (Paris 1931), p.98, Cagnat (R) , Le Commerce et la propagation des religions dans le monde romain, ed.E.Leroux, (Paris 1909), p.176.

(75) Lampridius, Vie d'Alexandre, 43

(76) Besnier (M) , Op. cit, p.104.

يبدو ان هذا القرار كان له وقعه على مستقبل الامبراطورية ، حيث لم يصبح للكنيسة حق الامتلاك فحسب ، وانما الدفاع عن نفسها امام القضاء شأنها في ذلك شأن كل الهيئات .

لكن مقتل الاسكندر سيفيروس سنة 235 م وضع حدا لسياسة التسامح هذه ، بعودة الاضطهاد في عهد الفوضى العسكرية التي أعقبت عهد السيفيريين (77) .

من دراستنا للمعتقدات الوثنية في بلاد المغرب استخلصنا ان استجلاء حقيقة هذه المعتقدات ليس هينا ، وذلك لأمرين هامين : أولهما قلة المصادر وتناقضها ، وثانيهما التمازج الذى عرفته عبر العصور والازمنة ، فكلما حاول الباحث التعمق في معرفة أصول هذه المعتقدات كلما زادت صعوبة البحث عنده ، الى درجة أن المؤرخين المختصين في هذا الجانب ، وقعوا في تناقضات كثيرة عند تناولهم لموضوع " المعتقدات الوثنية في بلاد المغرب القديم " ولا سيما قبل ظهور المسيحية .

ومما يستشف ايضا من هذه الدراسة ان مناطق انتشار الحضارة البونيقية كانت مجالا لانتشار الديانات الشرقية وهي المناطق التي غزتها فيما بعد المعتقدات الرومانية . ومثال على ذلك المعبود " ساتورن " إله الفلاحة الذى خلف بعل حمون تدريجيا وتمكن من التغلغل في صفوف الاهالي ، اكثر من غيره من الآلهة الرومانية ، لدرجة انه احتل مكانة

---

(77) Allard (P) , Le Christianisme et l'empire romain de Néron à Théodose , IV édition , (Paris 1898), p.91.

مرموقة عند الاهالي المتأثرين بالحضارة الرومانية ، وكذا " كايلستيس " التي خلفت " تانيت " واستطاعت ان تتجاوز الحدود الافريقية لتغزو روما ·

وهكذا احتوت خريطة المعتقدات الوثنية في بلاد المغرب الى جانب الديانة الوثنية الرومانية ، معتقدات شرقية بونيقية تواصل اعتناقها من طرف الطبقات الاجتماعية الدنيا في المدن والارياف ، وكذا المعتقدات الليبية المحلية التي ارتبطت بالسكان المقيمين خارج منطقة النفوذ الروماني ، وقد تواصل الاعتقاد بهذه المعبودات لفترة طويلة ، ولم تتمكن المسيحية من اقتلاع جذورها من نفوس أتباعها ،بل ظل كثير من الأهالي محتفظين بمعتقداتهم القديمة وظلوا مخلصين لها وهو ما أعاق بدون شك ، انتشار المسيحية في بلاد المغرب ، وخاصة في عهد السيفيريين ، اذ عانت الكنيسة الافريقية ــ خاصة خلال العشر سنوات الاخيرة من حكم الامبراطور سيفيروس أسوأ معاناة ، حيث انه بعد ادراك الامبراطور لخطر المسيحية ، شرع في اضطهاد معتنقيها باصدار مرسوم منع بموجبه التبشير بهذه الديانة ، كما أمر بملاحقة المهتدين ، وهو ما جعل البعض يقول ان سياسة الاضطهاد تمثل صفحة من الصفحات الاكثر ظلاما بالنسبة لتاريخ التنصر · ولكن سرعان ما يظهر التسامح من جديد في عهد خلفاء سيفيروس ، وهو التسامح الذى يفتح الابواب على مصراعيها للمسيحيين الذين توصل بهم الامر في هذه الفترة الى ايجاد مؤسسات خاصة بهم ومحاكم ومجامع ، لكن بوفاة آخر السيفيريين ينقلب عليهم الوضع من جديد في عهد الفوضى العسكرية ·

القسم الثالث

الإصلاحات الاقتصادية والمالية

الفصل الأول

الاصلاحات الاقتصادية

أولا – النشاط الزراعي :

1 – سياسة السيفيريين الزراعية

2 – التطور الزراعي

3 – الخريطة الزراعية

ثانيا – النشاط الحرفي :

1 – صناعة الانسجة

2 – صناعة الفخار والخزف

3 – الصناعة التحويلية

ثالثا – النشاط التجارى :

1 – وسائل التسويق :

أ – الموانيء

ب – الطرق البرية

2 – التجارة الخارجيه :

أ – الصادرات

ب – الواردات

أولا ــ النشاط الزراعي :

1 ــ سياسة السيفيريين الزراعية :

نالت الحياة الاقتصادية قسطا وافرا من الاهتمام في فترة السيفيريين . وتعتبر تلك الحقبة من أزهى فترات تاريخ الامبراطورية الرومانية ، فقد عمّ الرخاء أرجاء الامبراطورية ، على الرغم من الاضطرابات السائدة آنذاك ، زيادة على النمو الديموغرافي الكبير ، لا سيما لدى الطبقات الدنيا ، وكذا تمركز الاستهلاك في روما ، اذ اعتبرت أكبر المراكز الاستهلاكية في العالم القديم حينذاك (1).

ففي المجال الزراعي ، تعددت المزارع الكبرى (Saltus) التي كانت بيد كبار الرأسماليين أو الاباطرة ، والتي سرعان ما توسعت بسبب سياسة المصادرة التي يلجأ اليها هؤلاء الاخيرين بعد انتصارهم ، وهذا ابتداء من عهد الامبراطور نيرون (54 ــ 68 م) ، فكانت كل مزرعة من هذه المزارع تستأجر من طرف متصرفين (Conductores) بامكانهم استغلال جزء منها استغلالا مباشرا ، في حين يمنح الباقي للمعمرين في شكل حصص ، يتمتعون بحرية التصرف فيها ، اذ بمرور الأيام ، وبعد تقديم الضريبة العينية المقدرة بثلث المحصول الزراعي ، يقومون بتسليم حصصهم لابنائهم ، كما يسمح لهم بتوسيع قطاعاتهم على حساب أراضي المستنقعات والغابات ، التي تعد من ضمن المزارع الكبرى ، وهذا بفضل قانون هادريانوس (2).

وهو ما أدى الى توسيع المساحات الزراعية في افريقيا في القرن الثاني ،

---

(1) Martin (J.P) , Op. cit , p.253.

(2) ID , pp.253-254 .

والتوسع في زراعة الكروم والزيتون . وقد شجع على ذلك الاعفاء من دفع الضريبة لمدة عشر سنوات (3) ، وفي هذا الصدد يذكر هيروديانوس (4) ان الامبراطور بيرتناكس سمح بامتلاك الاراضي المستصلحة مع اعفاء أصحابها من الضريبة لمدة عشر سنوات ، وهي السياسة التي اعتمدها الامبراطور سيفيروس اعتمادا على ما يفهم من نقش عين واصل (Aïn-Ouassel) (5) الذى يؤكد انتقال الاراضي المستصلحة الى مستصلحيها والانتفاع من غلتها مع اعفائهم من الضرائب لمدة عشر سنوات مع حق انتقالها الى ذريتهم بالوراثة ، وكذا ذكر الضيع التي انتقلت الى أصحابها بعد الاستصلاح (6) ، وهوايضا ما يستشف من النصيحة التي قدمها ديون كاسيوس للامبراطور الاسكندر سيفيروس الذى نصحه بتقديم قروض للملاكين الصغار والمتوسطين بهدف تحسين الوضع الفلاحي (7) .

واذا كنا قد رأينا سابقا ، اعتماد السيفيريين كلية على الجيوش التي يجندون فرقها من الولايات ، فاننا أشرنا ايضا الى أن معظم أفراد تلك الفرق كانوا من الفلاحين وأبنائهم (8) ، وكان من الطبيعي أن يعمل السيفيريون على كسب ود هذه الطبقة الجديدة بتأسيس قرى لهؤلاء الفلاحين العسكريين ، خاصة في المناطق المعرضة لخطر هجمات السكان المحليين (9) ، وبذلك يتمكن

---

(3) Martin (J.P) , Op. cit , p.254.

(4) Herodianus , II , p. 587 .

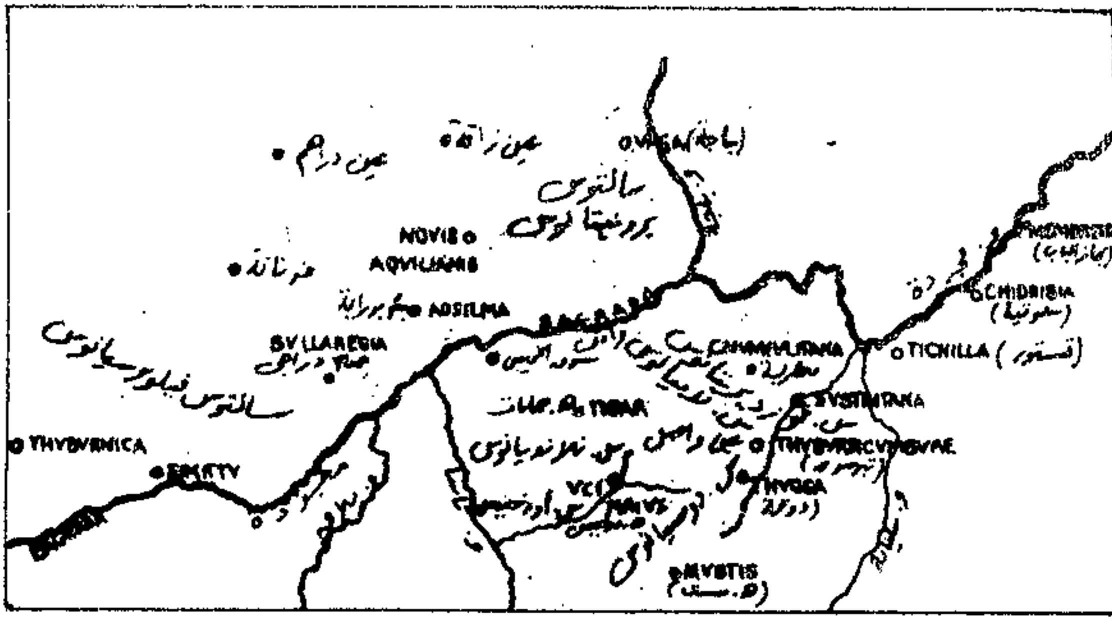
(5) Mispoulet (J.B) , "L'Inscription d'Aïn-Ouassel" , N^elle Revue Historique de droit français et etranger, t 16 , (1892) ,pp. 117-124 .

(6) حول أهم الضيع المذكورة في النقش انظر : الخريطة رقم8 ص131 .

(7) Dion-Cassius , LII , 28, 1.5.

(8) انظر ما سبق ص 20_21 .

(9) Petit (P) , Op. cit , p. 79.



- الضيع الواردة في نقش عين واصل -

الخريطة رقم : 8

نقلاً عن : D. Carton, « Nouveau Document Epigraphique, relatif au colonat en Afrique », Revue Archéologique, t.19 (1892) P.221.

السيفيريون من تحقيق عدة أغراض وراء هذه السياسة ، فمن جهة يكسبون ود هؤلاء الفلاحين الجنود وكذا زيادة المدخول الفلاحي . اضافة الى كون هؤلاء الفلاحين كانوا جنودا مستعدين للدفاع عن أراضيهم . وهي السياسة التي يمكننا ملاحظة تطبيقها في ولاية موريطانيا القيصرية ، حيث أصبحت منطقة سطيف (Sitifis) في عهد الامبراطور سيفيروس بمثابة ضيعة واحدة شاسعة تدخل ضمن ممتلكات الامبراطور (10) ، يزرعها مستأجرون وقع بعضهم تحت تأثير الحضارة الرومانية ، وعندما حرمت هذه المنطقة سنة 202 م من حاميتها من الجنود الرومان ـ ربما حدث ذلك تحت ضغط ضرورات حربية عاجلة ـ بدأت عملية تركيز السكان المزارعين في قلاع (Castella) وهو العمل الذى بدأه وشجعه الاباطرة السيفيريون . واذا كان هذا التركيز يعني تمدين سكان الريف والنهوض بمستوى معيشتهم بشكل محسوس ، فهو ايضا عمل عسكرى محض (11) . فقد منح حقا مستأجرو تلك القرى المحصنة امتيازات كثيرة ، واصبحوا بذلك المورد الذى يعتمد عليه آل سيفيروس ، وهو ما جعلهم من الوجهة الاقتصادية يعاملون معاملة الملاك لا المستأجرين ، وقد تزايد عددهم بمنحهم أراضي من مخصصات الامبراطور . وعلى الرغم من انهم كانوا اسميا من المستأجرين المعمرين (Coloni) فقد كانوا من الناحية العملية من صغار الملاكين العسكريين (12) .

لم تكن تلك السياسة مقتصرة على منطقة سطيف ، بل امتدت الى مناطق أخرى ، مثل حدود الصحراء في الجنوب التونسي (سي عون) واقليم طرابلس (13) ،

---

(10) Fevrier (P.A) , " Inscriptions inédites relatives de la région de Setif " , Mélanges Piganiol , (Paris 1966) , pp. 217-228.

(11) رستوفتزف ، المرجع السابق ، ص 505_506 .

(12) نفسه ، ص 506 .

(13) Petit (P) , Op.cit , p.79.

هذا في عهد الامبراطور سيفيروس ،وامتد الى فترتي حكم كراكلا والاسكندر سيفيروس اللذين طبقا نفس السياسة التي انتهجها والدهما (14) ، فكانت تلك السياسة من السعة والوضوح لدرجة انها لم تفلت من المصادر الأدبية التي ترصدتها ، فسيرة الاسكندر تشيد بجهوده في توزيع أراضي الاهالي على جنوده المقيمين على الحدود ، وكذا تقديمه القروض للتجار ، وأخرى لشراء الاراضي (15) ،كما أشاد نفس المؤرخ بتطوير الاسكندر للمؤسسات الغذائية واقامته للجمعيات الحرفية (16) .

وهي السياسة التي اتبعها السيفيريون ايضا خارج بلاد المغرب ،اذ تشبه أسواق بيزوس في تراقيا قلاع افريقيا وكذا مستوطنات قدماء المحاربين في مصر (17) .

2 ـ التطور الزراعي :

كانت بلاد المغرب العاجزة اليوم عن سد حاجتها الغذائية تنعت بالأمس بمطمورة العالم القديم (18) ، سواء في عهد ملوكها النوميديين مثل ما تشيد بذلك النصوص(19) ، او في المراحل اللاحقة ، اذ اصبحت الاراضي التابعة

(14) رستوفتزف ،المرجع السابق ،ص506 .

(15) Lampridius (A), Alex.Sev,XXI, 1-2.

(16) ID , LVII , 7.

(17) رستوفتزف ،المرجع السابق ،ص507 .

(18) Picard (G.Ch) ,La Civilisation, p.59.

(19) CF. en particulier, Titus Livius, Histoire romaine, (10 vol), trad. Lassere (E), ed. Classique Garnier, (Paris 1942), XXXI , 19 , XXXII , 27 , 2 , XXXVI , 3 , 4 , 8.

للبونيقيين بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م ، ملكا للشعب الروماني [20].

واذا كانت روما قد تعودت الحصول على حاجتها من المواد الغذائية خاصة القمح من حلفائها النوميديين ، فقد بدأت تطالب بكميات أكبر من القموح بعد أن تدخلت في المنطقة ، وكانت هذه الكميات تزداد كلما ازدادت السيطرة الرومانية في المنطقة ، لا سيما بعد أن أدركت روما ميل الفلاح المغربي الى زراعة الحبوب التي لا تتطلب كثيرا من العناية ورؤوس الأموال .

وبذلك أخذت بلاد المغرب الصدارة في انتاج الحبوب والقمح خاصة ، وهذا اعتمادا على شهادة المؤرخين المعاصرين الذين أشادوا بخصوبة الأرض وكثرة الانتاج فضلا عن جودته [21] ، فهذا سالوستيوس [22] يرى فيها : " حقلا خصبا للحبوب ، وأرضا ملائمة لتربية المواشي ، لكنها تفتقر الى الأشجار."

" Ager frugum fertilis pécori bonus , arbore infecundus ."

---

(20) Picard (G.Ch) , Loc.Cit .

(21) CF. Cagnat (R) , "L'Annone d'Afrique ", Ext. des Memoires de l'Académie des Inscriptions et belles Lettres, t 40 , (1915) ,p. 6.

(22) Sallustius (C.C) , Conjuration de Catilina et la guerre de Jugurtha , trad. François Richard , ed.Garnier Frères , (Paris S.D) ,Ch XVII.

اما بلينوس (23) فيرى " ان التراب الافريقي كله وهب للالهة سيراس (Ceres) ".
Cereri totum id natura concessit, oleum ac vinum
non inividit tantum ";

ان تزايد احتياجات روما الى قموح افريقيا خاصة ، والدور الهام الذى لعبته الزراعة الافريقية في الامبراطورية الرومانية ،دفع الدولة للعناية بهذا القطاع منذ السنين الاولى للاحتلال ، على ما يفهم من النصوص ، ففي عهد قيصر كانت افريقيا الجديدة (Africa Nova) وحدها تنتج 840.000 قنطار سنويا من القمح (24) . وفي عهد الامبراطور نيرون ، ارتفعت نسبة القمح الافريقي المصدر الى روما ارتفاعا هائلا لدرجة ان ثلثي (2/3) احتياجات الدولة كانت تأتيها من افريقيا (25) ، وهكذا حتى بلغت كمية القمح الافريقية المصدرة الى روما 160 مليون مد ، وهو ما يساوى 1.260.000 طن (26).

واذا حاولنا أن نحلل هذه الارقام ، ومقارنتها بعدد السكان المقدر آنذاك ما بين 3 ـ 4 ملايين نسمة ، نتوصل الى حقائق أخرى . فاذا افترضنا

---

(23) Pline l'Ancien , Histoire naturelle , (20 vol) , trad. M. Ajasson de Grandsogne , ed.Panckouke , (Paris 1829-1833) , Liv XV , 8

(24) Picard (G.Ch), La Civilisation...,p.69.

(25) Picard (G.Ch) , " Néron et le blé d'Afrique", C.T , t 14 , (1956) , p. 168.

(26) Picard (G.Ch) ,La Civilisation...,pp.69-70.

مثلا ان الانتاج الاجمالي من القمح في عهد الامبراطور نيرون كان يقدر ما بين 9 - 10 ملايين قنطار ، ادركنا ان معظم الكمية كانت مخصصة للتموين ، وبالتالي فان القمح الافريقي لم يعد كافيا للسكان الافارقة ، نتيجة سياسة التموين المتبعة رأن عددا كبيرا من السكان أصبحوا يستخدمون الشعير كمادة غذائية أساسية بدل القمح .

واذا كان بعض المؤرخين يرون ان هذه السياسة لم تستمر طويلا ، وان الامور تحسنت بفضل احتلال أراضي جديدة في كل من نوميديا وموريطانيا ، التي تشير فيها النقوش الى نشاط اللجان المكلفة بتوزيع أراضي المراعي (27) ، فاننا نرى ان ذلك ايضا كان على حساب السكان الاصليين .

بدأت سياسة التوسع تلك في عهد الامبراطور اغسطس في اقليم قيرتا (28) ، لتمتد في عهد الامبراطور سيفيروس الى أبواب الصحراء حيث تلقت فرق حماية الليمس الأوامر بمنع الرحل في الهضاب العليا والاطلس الصحراوى من ارتياد التل في موريطانيا القيصرية (29) .

التوسع في زراعة القموح من جهة ومنع القبائل الرحل من ارتياد المناطق التلية من جهة أخرى جعل افريقيا بدون شك تستجيب لحاجات الدولة ، وضرورة فرض ضرائب جديدة ، وهو ما أدى الى تحول ضريبة التموين

---

(27) Picard (G.Ch) , La Civilisation...,p.66.

(28) Ibid , p. 71 .

(29) Salama (Pl , Nouveaux témoignages ..., I , pp.251-261 , III , pp. 330-366.

العسكري الى ضريبة نقدية منتظمة في عهد سيفيروس (30) .

وقد كان تزايد سكان روما بدون شك سببا في ازدياد كميات التموين الموجهة الى روما ، في وقت عرف فيه انتاج القمح نوعا من الاستقرار ان لم نقل من الانخفاض ، نتيجة التوسع في زراعة الكروم والزياتين ، هذه المادة الأخيرة التي أصبحت توزع مجانا على سكان روما منذ عهد الامبراطور سيفيروس (31) . ولا نستبعد أن يكون تراجع زراعة القمح أمام غراسة الكروم وراء قرار الامبراطور دومتيانوس القاضي بمنع غرس الكروم في الولايات الافريقية ، واعطائه أمرا بقلع 50 % مما غرس منها ، رغم ميل البعض الى القول بأن الهدف هو الحد من منافسة الكروم الافريقية لمثيلاتها في ايطاليا (32) . لكننا لا نستبعد أن يكون هذا القرار يجسد تدخل الدولة للتحكم في الخريطة الزراعية في افريقيا ، وهذا وفقا لما تقتضيه احتياجاتها الاقتصادية المتغيرة مع الايام (33) .

---

(30) Van Berchem (D) , "L'Annone militaire dans l'empire romain au III^{e} siècle " , M.N.A.F , t 10 , (1937) , pp. 117-133.

(31) Petit (P) , Op. cit , p. 318.

(32) Albertini (E) , L'Afrique romaine , ed . Imprimerie officielle , (Alger 1950) , p.26.(par suite Albertini , L'Afrique rom...)

(33) Harmand (L) , Op. cit , p.369.

3 - الخريطة الزراعية :

اذا تتبعنا السياسة الزراعية للاباطرة الرومان ، نجد أن سياسة أباطـرة القرن الاول الميلادى كانت قد اتسمت بتكريس جهودهم لزراعة القمح لتتحول هذه الجهود فيما بعد لا سيما ابتداء من القرن الثاني الى زراعة الاشجار، التي تصدرتها الزياتين والكروم ، حيث اعتبر بعض المؤرخين ، القرن الثاني فترة توسيع وازدهار المساحات المزروعة بالكروم والزيتون في افريقيا ، وهذا راجع الى عناية الاباطرة بهذه المحاصيل (34) .

ومما يؤكد الراى المشار اليه كثرة النقوش العائدة الى هذا القرن ، والتي منها نقش هنشير متيش (35) (Henchir-Mettich) في مقاطعة البروقنصلية الذى يشير الى أن قانون مانكيانا (Lex Manciana) سنة 116م أو 117م قد خصص بندا لزراعة الكروم ، وهو ما نجده في عهد الامبراطور هادريانوس ، حيث نجد نقش عين جمالة (36) (Aïn Djemala) الذى يشير بدوره الى المطالبة بأراضي لغرس الكروم من قبل ممثل الامبراطور .

---

(34) Martin (J.P) , Op. cit, p.254.

(35) C.I.L , VIII , 25902 .

(36) Carcopino (J) , L'Inscription d'Aïn el-Djemala, contribution à l'histoire des Saltus africains et du Colonat "Partiaire " , Mélanges d'Archéologie et d'Histoire, t 26 , (1906) , pp.365-481.

كما يمكننا ان نستنتج من نقش لمبازيس ، ان زراعة الكروم امتدت حتى خارج المناطق الملائمة مناخيا لغرسها (37) ، وهو ما تؤكده تعرفة زرايا التي تبين لنا تيارا تجاريا يعبر الطرق الجنوبية لموريطانيا ونوميديا ، يعد الخمر من المنتوجات المحولة عبر هذا الطريق في القرن الثالث (38) .

ويفهم من اللقى الاثرية والنصوص المعاصرة لتلك الفترة ان زراعة الزيتون والكروم انتشرت بفضل عمل تقني محكم ، وان الولايات الافريقية بقيت تلعب دورا طلائعيا في الانتاج وهذا حتى عهد الوندال ، علما أن مادة الزيت أصبحت واحدة من مواد التموين المجاني لسكان روما منذ عهد الامبراطور سبتميوس سيفيروس (39) . ولا شك ان ذلك كان وراء تشجيع هذا الامبراطور على غراسة الزيتون على ما يستشف من قانون عين واصل الذى صدر في عهد الامبراطور سيفيروس والذى يعفي غارسي الزيتون من الضرائب لمدة عشر سنوات (40) .

كان من نتائج سياسة التوسع في زراعة الزيتون هذه ان امتدت الحدود نحو الجنوب ، حيث وصلت في عهد السيفيريين الى التخوم الشمالية للصحراء الشرقية ، واقليم السهوب جنوبي موريطانيا القيصرية ، حيث يعد معسكر

---

(37) D'Escurac-Doisy (H) ,"Lambèse et les Vétérans de la légion III Augusta , Hommages à Albert Grenier, t 2, (Bruxelles 1962) , pp. 571-583.

(38) انظر ما سيأتي ص 176 .

(39) Petit (P) , Op. cit , p. 118.

(40) Dr.Carton , La Lex Hadriana et son commentaire par le procurateur Patroclus ", Revue . Arch. t 21, (1893) Pp. 25-26.

مسعد الذي شيدته عناصر الفرقة الاغسطية الثالثة سنة 198 م ، أبعد تحصين عسكري روماني في الجنوب ، كما سيطر الرومان على طرق القوافل التجارية التي كان يسلكها البدو (41).

ويمكن ان يستشف من بعض النقوش ان كمية انتاج الزيت قد بلغت أوجها خلال عهد السيفيريين ، الذين يبدو انهم أولوا اهتماما خاصا لهذه المادة التي أصبحت توزع مجانا في روما منذ عهد هؤلاء الاباطرة كما قلنا سالفا (42).

واذا كانت زراعة الزيتون قد انتشرت بشكل واسع في اقليم طرابلس والهضاب الواقعة الى الغرب من الحدود التونسية الحالية بين سوق أهراس، وتبسة ومنطقة القبائل (43) ، وهي مناطق انتاج الزيت في وقتنا الحاضر ، فانه يمكننا أن نضيف بعض المناطق الداخلية التي تدل بها بقايا معاصر الزيت على مدى انتشار غراسة الزيتون (44).

وما يمكن استخلاصه ، ان التوسع في زراعة الكروم والزيتون لم يقلص المساحات المخصصة للقمح ، انما حدث ذلك على حساب أراضي جديدة وما دام التوسع الروماني في افريقيا قد وصل أوجه في عهد السيفيريين يمكننا القول ايضا ان غراسة الكروم والزيتون والاشجار المثمرة الاخرى كالتين والرمان واللوز قد بلغت أوجها في تلك المرحلة (45).

---

(41) شنيتي (محمد البشير) ، المرجع السابق ، ص 97.

(42) انظر ما سبق ص137، 139.

(43) Albertini (E) , L'Afrique rom..., p.28.

(44) انظر الخريطة رقم 9 ص 141.

(45) Leschi (L) , " La Vigne et le vin dans l'Afrique ancienne", B.E.J. de l'O.F.A.L.A.C , n° 93-94, (Mars-Avril 1947), p.80.

ثانيا - النشاط الحرفي :

ان سعة وانتشار زراعة الزيتون وصناعة الزيت في شمال افريقيا ، والمكانة المرموقة التي احتلتها في العالم الروماني ، جعلها تطغى و تحجب باقي الانشطة الصناعية الاخرى والتجارية ، رغم انها تساهم في هذه الاخيرة ، اضافة الى قلة أهمية دور الحرفيين في هذه الولاية اذا ما قورنوا بايطاليا مثلا أو غالة (46).

فقلة النقوش التي تشير الى الانشطة الحرفية ، زيادة على قلة الجمعيات الحرفية في المنطقة الافريقية جعل البعض يرى في ذلك دلالة على قلة النشاط الصناعي ، لكن الى أي مدى يصدق هذا الحكم ؟ فهل حقا انعدم النشاط الحرفي في شمال افريقيا ؟ لا شك اننا نجانب الصواب اذا حاولنا الاجابة بالايجاب على هذا التساؤل ، وان كل ما في الامر هو أن النشاط الزراعي طغى على باقي الانشطة الاخرى لدرجة ان المرء يشعر بغيابها ، اذ أننا نجد في شمال افريقيا مجموعة من الحرف والحرفيين (47).

من هذه الحرف ، نجد صناعة الأنسجة والفخار والخزف ، اضافة الى الصناعات التحويلية .

1 - صناعة الأنسجة :

نالت الأنسجة الافريقية شهرة كبيرة في الامبراطورية الرومانية ، بفضل استخدام الصباغة الارجوانية ، التي كانت تستخرج من رخويات المريق (Murex) ،

(46) Picard (G.Ch) , La civilisation...,p.77.

(47) Petit (P) , Op. cit , p. 119.

التي تعطي للنسيج لونا أرجوانيا ، جعل الشعراء يتغنون بقطع القماش الافريقية الارجوانية ، فهذا الشاعر سولينوس (Solin) يتحدث عن الاقمشة الارجوانية الافريقية التي تنافس مثيلاتها القادمة من الشرق ، وهو ما يدعمه هوراتيوس الذى جعل من الاقمشة الارجوانية المحلية نوعا ممتازا لم يكن في متناول الجميع (48) ، اذا أضفنا الى هؤلاء حديث مارتياليس (Martialis) في عدة مواقع على الجوخ المصنوع من شعر الماعز في لبدة ، واشارة فيرجيليوس (Virgilius) الى القبعات الليبية المصنوعة من نفس الشعر ، أدركنا المكانة التي تحتلها الصناعة النسيجية التي جعلت بعض المؤرخين يقولون أنها بلغت درجة كبيرة من الشهرة ، جعلتها تحتل مكانة مرموقة في التجارة الخارجية (49) .

واذا كانت مكثر من أشهر مراكز صناعة الأنسجة ، فان القل وجربة اشتهرتا بدورهما باستخراج المريق وصناعة الصباغة الارجوانية (50) .

2 ـ صناعة الفخار والخزف :

أ ـ صناعة الفخار : في مجال الفخار كانت افريقيا في أوائل الاحتلال الروماني تعتمد على ما تنتجه المصانع الايطالية ، اعتمادا على ما يستنتج

---

(48) حارش (محمد الهادى) ، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء مسينيسا العرش الى وفاة يوبا الاول (203-46 ق م) ، اطروحة ماجستير (جامعة الجزائر 1985) ، ص123 (فيما بعد التطور السياسي ...)

(49) Lecoq (A) , "Le Commerce de l'Afrique romaine ", [illegible] in de B.S.G.O , t 32 , (1912) , p. 491.

(50) Picard (G.Ch) , La Civilisation..., p.77

من اللقى الاثرية ، غير انه سرعان ما ظهرت مصانع محلية ابتداء من القرن الثاني الميلادى ، والتي لم تكتف بتغطية الاسواق المحلية ، وانما دخلت بعض تلك المصانع مرحلة التصدير وهذا شأن مصانع الموريطانيتين ، اللتين بدأتا تصدران انتاجهما عن طريق ميناء قيصرية ، وكذا سوسة (51) (Hadrumetum) .

ب ـ صناعة الخزف : اشتهر خزافو العزاق بصنع التماثيل الصغيرة التي توضع في المعابد والقبور ، ويلاحظ انه برزت أيضا ابتداء من القرن الثاني في الحوض الغربي للمتوسط صناعة الخزف ذو اللون البرتقالي ، التي أخذت تنافس الفخار الاحمر المنتشر في غالة الشمالية (52) ، ورغم ان هذه الصناعة بدأت تنتشر في اسبانيا ، غير انها وجدت لها مراكز في افريقيا الشمالية وامتدت حتى المناطق الداخلية حيث نجدها في العوجة (El-Aoudja) والحاجب (Hadjeb) والعجون (Al-Ajoun) في منطقة القيروان ، وهي منطقة محاطة ببساتين الزيتون ،بالاضافة الى الجم وسبيطلة وأوسلاتية (Ousseltia) (53) . وهو ما جعل المنطقة الافريقية تستغني في مرحلة أولى عن الاستيراد ، وتتوجه نحو التصدير في مرحلة ثانية .

---

(51) Petit (P) , Op. cit , p.120.

(52) Picard (G.Ch) , La Civilisation..., p.79.

(53) Loc .Cit.

3 - الصناعة التحويلية :

لا شك ان الازدهار الزراعي عامة وانتشار غراسة الزيتون خاصة سينعكس بالايجاب على الصناعة التحويلية التي يمكننا أن نذكر من ضمنها "عصر الزيتون" الذى انتشرت معاصره في المناطق الريفية النائية ، الممتدة من تبسة الى سبيطلة وكذا في السفوح الجبلية النوميدية ، بالاضافة الى موريطانيا ، وكذا مناطق مختلفة من بلاد المغرب القديم ، الذى لا نكاد نجد منطقة فيه تخلو من معاصر الزيت ، وهو ما يدل على الازدهار الواسع الذى عرفته هذه المادة الأساسية التي استخدمت في مختلف المجالات : التغذية ، الاضاءة ، الصحة (صناعة الصابون والتدليك في الحمامات) .

واذا حاولنا أن نلخص أهم مناطق انتشار معاصر الزيت وفقا لمناطق تواجدها فانه يمكننا أن نشير الى الآتي :

أ - مقاطعة البروقنصلية : وتشمل ثلاث مناطق هي المنطقة الشمالية من مجردة التي تعد أغنى منطقة بغراسة الزيتون ، ثم معاصر القسم الشرقي من البروقنصلية الممتد من رأس الطيب الى قابس ساحليا والجم والقيروان في الداخل ، بينما تنحصر معاصر القسم الجنوبي الغربي في سهل فلتة ومناطق سبيطلة والقصرين وفريانة .

ب - نوميديا : تنحصر معاصر نوميديا في قسمين أساسين هما :
- نوميديا الجنوبية في مناطق النمامشة والاوراس الى الجنوب من لمبازيس وتيمقاد وغرب باتنة .
- ونوميديا الوسطى ، أهمها الموجودة في جنوب قيرتا والحضنة

ومعاصر جميلة والجنوب من سطيف في منطقة خربة العقوب ، حيث عثر على احدى وعشرين معصرة ، وهو شأن تبسة والشمال من لمبازيس (54).

ج - الموريطانيتان :

- موريطانيا القيصرية : نجد معاصر هذه المقاطعة في حوض الصومام بالدرجة الاولى الذى يعد الى يومنا هذا أهم مناطق انتاج الزيت وفي سهول الشلف وتلمسان .

- موريطانيا الطنجية : تتمثل في منطقة وليلي و سيدى علي بوجنون . (55)

ومما يمكن ملاحظته هو تقلص كثافة انتشار هذه المعاصر بالاتجاه غربا (56) وهو ما يدل على تناقص غراسة الزيتون بنفس الاتجاه ، وقد يعود ذلك الى السياسة التي انتهجها الرومان في المناطق الشرقية التي كان تواجدهم بها كثيفا خلافا للمناطق الغربية .

وضمن الصناعات التحويلية نشير ايضا الى استغلال المناجم والمحاجر . فكانت احتياجات الدولة الرومانية الى المعادن دافعا جعل الاباطرة يسهرون على استغلال تلك المناجم كما كان اهتمام الاباطرة ببناء النصب و تشييد المراكز المراكز العسكرية و تحصين الحدود . اضافة الى اقامة الطرق وراء فتح العديد من المحاجر (57).

---

(54) انظر كل من :

- Camps Fabrer (H) , L'Olivier et l'huile d'olive dans l'Afrique romaine , ed. Imprimerie officielle ,(Alger 1953), pp.25-30. Harmand (L),

- Op. cit , pp. 372-375.

(55) انظر كل من: Camps Fabrer (H),Op.cit,p.30;Harmand (L),Op.cit,p.376.

(56) انظر الخريطة رقم 9 ص 141.

(57) Martin (J.P), Op. cit,p.255.

وهي الانشطة التي تكاثرت في عهد السيفيريين مما جعلهم يفتحون ويستغلون العديد من المحاجر ، كما دلت على ذلك النقوش .

ثالثا ـ النشاط التجارى :

يجمع المؤرخون والجغرافيون القدماء على الرخاء الاقتصادى الناجم عن خصوبة التربة وملاءمة المناخ الذى تمتعت به المنطقة ، ذلك الرخاء الذى عرفته بلاد المغرب منذ عهد ملوكها الأوائل ، والذى استمر حتى اواخر الفترة الوندالية على ما يفهم من المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس (58) .

واذا كان جل المؤرخين متفقين على الدور الاقتصادى الكبير الذى لعبته بلاد المغرب في الامبراطورية الرومانية ، فانه مما لا شك فيه أيضا ان الحاجات الغذائية الرومانية كانت وراء تكثيف النشاط الزراعي الذى كان بدوره وراء الحركة التجارية النشطة بين بلاد المغرب وروما خاصة . لكن المختلف فيه هو تاريخ بداية تلك العلاقات ، فاذا كان هوت (59) (Huet) يرجعها الى ما بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م ، وهو ما يمكن أن يفهم ايضا من سويتونيوس (60) .

---

(58) Procopius , <u>La Guerre des Vandales</u> , dans Dureau de la Malle, <u>Algérie ou Manuel algérien</u> , ed. Firmin Didot , (Paris 1852) , II, 3, II, 7

(59) Huet (Pierre Daniel) , <u>Histoire du commerce et de la navigation des anciens</u> , ed. F.Fournier , (Paris 1716) ,p.73.

(60) Suetonius , <u>Vie de Terence</u> , 1 .

فخلافا لهؤلاء يورد بوليبيوس (61) بعض المعاهدات التي أبرمت بين قرطاجة وروما تعود أولاها الى سنة 509 ق.م وهي المعاهدة التي تنص على احتكار قرطاجة للتجارة مع بلاد المغرب ، في الوقت الذى حرمت المعاهدة الثانية (348 ق.م) على الرومان ممارسة القرصنة وعمليات النهب .

ومما يدل ايضا على قدم العلاقات ، ما أشار اليه تيتوس ليفيوس (62) في حديثه عن كميات القمح التي كان يصدرها الملوك النوميديون الى روما ، وكذا كميات الشعير وعدد الخيول وباقي الحيوانات التي تستخدم في الألعاب (63) .

واذا كانت هذه العلاقات التجارية قديمة ، فانه مما لا شك فيه ان هذه الحركة التجارية ازدادت أهميتها مع احتلال الرومان للمنطقة وعملهم على تهيئة الظروف والوسائل التي تمكنهم من تحكم واستغلال اكبر للمنطقة .

1 ـ وسائل التسويق :

لا شك وان شبكة طرق المواصلات البرية منها والبحرية ، هي أهم وسائل التسويق ، لما توفره من سهولة الاتصال والتحرك وتموين الجيوش ، وقد أولى الرومان عناية كبيرة لهذا المجال ، يتضح ذلك في توسيع شبكة الطرق البرية العسكرية منها والتجارية وكذا الاهتمام بترميم وتوسيع الموانئ .

---

(61) Polybius , Histoire romaine , trad . D.Roussel, ed. Gallimard, (Paris 1970) , III, 22, 1, III, 24.

(62) Titus Livius , XXXI, 19,4.,XXXII,27,2.,XXXVI,3,1,4,8.,XLIII,6.

(63) حول هذا الموضوع انظر : حارش (محمد الهادى) ، التطور السياسي ... ، ص 138–141 .

أ ـ الموانئ :

بالاضافة الى مينائي قرطاجة وأوتيكا يمكننا الحديث عن بعض الموانئ الاخرى التي حصنها الرومان مثل تلك التي وجدت في اقليم طرابلس، خاصة مينائي لبدة وطرابلس وموانئ سوسة (64) وهنشير طينة (Thenae) ولمطة. ويلاحظ بأن هذين الاخيرين يقومان بتصدير زيوت منطقة الساحل وميناء قابس. هذا اضافة الى موانئ نوميديا كميناء طبرقة الذى ازدادت أهميته خاصة بعد انشاء الطريق التي تربطه بمحجر شمتو، وميناء هيبو ـ ريجيوس، ثم مينائي رسيكاد (سكيكدة) والقل. وقد تخصص الاول في تصدير قموح نوميديا الى روما بينما عرف الثاني باستخراج مادة المريق التي تستخدم في الصباغة، وكذا موانئ الموريطانيتين من صلداى الى طنجة وسالا التي ساهمت كلها في تزايد صادرات افريقيا نحو روما أولا وباقي الولايات الرومانية ثانية، خاصة بعد ربطها بشبكة من الطرق البرية (65).

ب ـ الطرق البرية :

اذا كان الدافع في البداية الى الاهتمام بالطرق البرية هو للاغراض العسكرية، فانه سرعان ما تبلورت الاهمية الاقتصادية لهذه الطرق في أذهان الأباطرة الرومان، وعملوا بالتالي على ربط مناطق الانتاج بالموانئ وهذا تسهيلا لعملية التصدير (66).

---

(64) Petit (P) , Op . cit , p. 120.

(65) Lecoq (A) , Op . cit, pp. 314-318.

(66) Salama (P) , Les Voies romaines de l'Afrique du nord , ed. Imprimerie officielle , (Alger 1951), pp.30-50 (par suite Salama , Les Voies ...)

ويستنتج من النصب التذكارية ان الاهتمام بالطرق البرية بدأ مع عهد الامبراطور اغسطس الذى أنشأ الطريق العسكرى الرابط بين مقر الفرقة الاغسطية الثانية (تبسة) وحيدرة ، وثالة مرورا بقفصة وصولا الى مينساء قابس(67) ، لتتواصل العملية من بعده . ونشير الى الطريق الساحلي الممتد من قابس الى سالا بموريطانيا الطنجسية ، وهي الطريق التي تمر بكل الموانئ الرئيسية لبلاد المغرب . اضافة الى هذا نجد الطرق التي تنطلق من هذه الموانئ نحو المدن الداخلية الكبرى ومراكز الانتاج . وفي هذا الاطار نذكر طريق قرطاجة نحو حوض مجردة وأخرى نحو تبسة ، وهي طرق كانت محل اهتمام الاباطرة الذين رمموها عدة مرات ويبلغ طولها 275 كلم(68) ، كما تم ايصال مينائى سوسة ولمطة بمنطقة الجم المعروفة بحقول الزيتون(69) ، وربط تبسة بميناء هيبو – ريجيوس عبر الاوراس ، وكذا لمبازيس بقابس عبر طريق يمر بتبسة وقفصة(70) . وهناك طريقان آخران ، امتد أحدهما من قابس في اتجاه الشمال ليصل الى تبسة عن طريق جميلاى وتلابت (المدينة القديمة) ، ومن تبسة الى قيرتا ، أما الطريق الثاني فيمتد الى قفصة عبر المراكز العسكرية ، هنشير بسيرياني (Ad Majores) ، وتادارت (Ad Medias) ، وبادس (Ad Boedias) ليصل في آخر المطاف الى أوزيا(71) ، كما امتد طريق آخر من تبسة عبر المراكز الاساسية لمنطقتي لمبازيس وتيمقاد مرورا بمحطة زرايا الجمركية وصولا

---

(67)

(68) Lecoq (A), Op. cit , pp. 318-319.

(69) Ibid , p. 320.

(70) Chevalier (R) , Les Voies romaines , ed. Coll. U. (Paris 1972) , p. 172.

(71) انظر الخريطة رقم 10 ص 151 .

الى سطيف (72).

واذا حاولنا أن نربط هذه الطرق بمراكز الانتاج والتصدير ، نجد أن ميناء هيبو - ريجيوس كان يستقبل بواسطة طريق تبسة زيوت جنوب قيرتا ومداوروش وجنوب منطقة قالمة (73) ، بينما كان ميناء طبرقة يستقبل عبر طريق شمتو ، المرمر المستخرج من محاجر شمتو (74) وقموح اقليم باجة و بولا - ريجيا .

اما ميناء روسيكاد فقد خصص لتصدير قموح قيرتا عبر طريق تربط المدينتين ببعضهما ، كما ربطت طريق اخرى صلداي (بجاية) بسطيف التي تعتبر مركزا زراعيا هاما . ونجد طريقا آخر يربط قيصرية بمنطقة أوزيا الزراعية (75) ، هذا دون أن ننسى موانى اقليم طرابلس (لبدة ،طرابلس ،صبراته) والتي كانت تصدر عن طريقها الزيوت والحيوانات للالعاب (76) ، والتي تربط بالطرق التي تسلكها القوافل ، وقد دعمت في عهد السيفيريين بمراكز عسكرية ، كمركز بونجم ، غارية الغربية ومركز غدامس . ولا يمكن تجاهل دور هذه الطرق في نقل منتوجات وسط افريقيا من عاج وذهب وعبيد (77) ، وكذا ميناء قابس الذي كان يصدر عن طريقه الانتاج الفلاحي لمنطقة الاوراس ، كما كانت تجلب منه الواردات نحو جنوب نوميديا (78).

---

(72) Lecoq (A), Op .cit, pp.320-321.

(73) Salama (P) , Les Voies..., p.43.

(74) Lecoq (A) , Op. cit , p.321.

(75) Ibid , pp. 321-322.

(76) حارش (محمد الهادي) ،التطور السياسي ،ص 136 .

(77) Salama (P) , Les Voies..., p.44.

(78) حارش (محمد الهادي) ،التطور السياسي ،ص137 .

وما يمكن ملاحظته ان هذه الشبكة كانت تتناقص كثافتها بالاتجاه غربا لدرجة اننا لا نجد تقريبا في موريطانيا الطنجية غير الطريق الرابطة بين طنجة وسالا وصولا الى وليلي (79).

اذا اضفنا الى الموانئ وشبكة الطرق التي تربطها بمراكز الانتاج ، المستودعات التي انشئت في كل الموانئ ، ندرك الاهمية التي كان يوليها الرومان للتجارة مع بلاد المغرب.

2 — التجارة الخارجية :

أ — الصادرات :

اما عن الصادرات المغربية نحو روما في فترة السيفيريين فهي متنوعة لدرجة انه يمكننا ان نتحدث عن الصادرات المنجمية بالاضافة الى الحيوانية والنباتية.

أ — أ — المنتجات المنجمية : — (المعادن) :

تعتبر النصوص الادبية منجم سيقوس (Sigus) الواقع على بعد 40 كلم الى الجنوب الشرقي من قيرتا أقدم المناجم الافريقية ، وهو ما تؤكده الرسالة التي بعث بها القديس كبريانوس الى المسيحيين الذين حكم عليهم بالاشغال الشاقة في مناجم سيقوس بمرسوم امبراطوري (80).

وقد استخرج من المنجم المشار اليه النحاس ، شأنه شأن منجم الونزة

---

(79) Lecoq (A), Op.cit , p.323.

(80) Ibid , p. 339.

وسيدي غريس وموزايا و بوخندق ، التي استخرج منها ايضا النحاس . اما معدن الحديد فقد استخرج من منطقة نشاع (Nechaa) ، حيث عثر على بقايا آثار رومانية تعود الى عهدي الامبراطورين ماركوس أورليوس و سبتميوس سيفيروس كما استغلت مناجم الرصاص في منطقتي نبايل (Nbaïl) والناضور (Nadour) والذهب في جبال بوهندمة (Bou Heudma) وجبال عيعبشة (81) .

ـ المحاجر :

انتشرت المحاجر في كل الولايات الافريقية . ومن أهم تلك المحاجر نذكر محاجر الرأس الطيب لاستخراج المرمر ، اضافة الى محاجر حوض مجردة ومحاجر أخرى قرب طبنة (Thubunae) ومختار الحجار (Mokhtar el-Hadjar) وفي هنشير بهية (Henchir Behaïa) ومناجم أخرى شرق تيبازة .

و يلاحظ ايضا بان الرومان كانوا قد استغلوا محاجر الغرانيت في عرور جاود (Arour Djaoud) بالاضافة الى استغلال العقيق (Onyx) في محاجر عين سمارة ، واستغلال الصلصال في صناعة الخزف (82) .

ـ الرخام والاحجار الكريمة :

لعبت تجارة الرخام دورا هاما في اقتصاد بلاد المغرب طيلة فترة الاحتلال الروماني ، حيث امتدت لتشمل كل بلدان حوض المتوسط .

من المناطق التي كان يستخرج منها الرخام ، منطقة عين سمارة المعروفة

Lecoq , Op. cit, pp.339-340. (81)

Ibid , pp. 342-343. (82)

برخامها ذى اللون الاحمر ، وجبل أوروس (Orousse) الذى استخرج منه الرخام الاصفر ، وكذا جبال فلفيلة (Felfela) الى الغرب من هيبو ـ ريجيوس التي استخرج منها الرخام الابيض(83) ، لكن مع كل هذه المناطق يبقى رخام شمستو الذى تجاوزت شهرته أسوار روما لتعم كل ارجاء الامبراطورية الرومانية بشهادة بلينوس(84) أهم هذه المناجم ، ورغم ان هذا المحجر كان معروفا منذ عهد الملوك النوميديين ، غير انه يبدو ان نشاط تجارة هذا الرخام قد تجلت بشكل واضح في القرن الثاني الميلادى لتستمر طيلة القرن الثالث ، حيث عمت أرجاء الامبراطورية الرومانية(85) .

لقد استغل الرومان ، بالاضافة الى الرخام ، ايضا الحجارة الكريمة ومنها العقيق الاحمر (Escar.boucles) المستخرج من ضواحي قرطاجة وهو المعروف عند بلينوس(86) بخلقيدونية (Calcedoines) ، وبعض الحجارة ايضا في السيرت والمعروفة بالسيرتيدية (Syrtidide)(87) ، وكذا في موريطانيا القيصرية بلخنيت (Lychnite)(88) وموريطانيا الطنجية بألكترو (Electrum)(89) .

ـ الملح :

لعبت مادة الملح دورا بارزا في الميدان التجارى ، فقد استغل الرومان

---

(83) Lecoq (A), Op. cit , pp.347-348.

(84) Plinus , Hist. Nat, V, 2.

(85) Lecoq (A) , Op. cit , p. 353.

(86) Plinus , Hist. Nat, XXXVII, 25.

(87) ID , XXXVI , 67.

(88) Strabon , Géographie (4 vol), trad. A.Tardieu , ed. Hachette, (Paris 1867-90), t 3, XVII, III.

(89) Plinus , Hist. Nat, XXXVII, 11.

أملاح افريقيا استغلالا واسعا ، وتعتبر منطقة الشطوط او السباخ من أغنى مناطق استخراجه ، وربما امكننا اعتبار منطقة شط الحضنة المعروفة في ألواح بوتنجر (Peutinger) باسم ملاّحة طبنة (Salines thubunenses) من أكثر المناطق التي استغلها الرومان (90) .

أ - ب - المنتجات النباتية :

لم يقتصر النشاط التصديري على مستخرجات المناجم والمحاجر ، وانما نجد أهم من ذلك كله النشاط الفلاحي الذي لعب الدور الاساسي في الرخاء الاقتصادي الذي عرفته البلاد المغاربية عبر تاريخها الطويل ،فالحبوب كانت دائما اهم الصادرات المغربية ، وهو ما جعل النصوص تركز على هذه المادة خاصة القمح الذي امتازت به افريقيا زيادة عن كثرة الانتاج بالنوعية الجيدة (91) ، ونظرا للدور الاستراتيجي لهذه المادة اهتم الاباطرة بضمان النقل العادي لها وحتى باستخدام القوة عند الضرورة . وهكذا أصبح القمح أهم الصادرات الافريقسية ، تليه الزيوت التي بدأت تحتل مكانتها ضمن الصادرات ابتداء من القرن الثاني لتبلغ أوجها في عهد السيفيريين الذين اعتبروها ضمن مواد التموين الاساسية التي بدأت توزع بالمجان على سكان روما (92) .

اما بالنسبة لانتاج الكروم ، فقد اقتصر في بادئ الامر على تصدير العنب المجفف (الزبيب) الذي نال شهرة كبيرة ، وكان محل تجارة مع روما ، ونوعا من الخمر وهو المعروف بالباسوم (93) ،وهذا قبل ان يحدث توسع في

---

(90) Lecoq (A) , Op. cit , pp.356-357.

(91) ID , pp. 371-376.

(92) Spartianus (A) , Vie de Sevère , 8.

(93) Lecoq (A) , Op. cit , pp.457-458.

صادرات الكروم ليشمل باقي انواع الخمور وكذا عنب المائدة الذى أشاد المؤرخون القدماء بنوعيته الممتازة وهو العنب المعروف بالعنب النوميدى .

ولعل من بين المنتوجات الطبيعية التي يمكننا الحديث عنها الأخشاب التي تعد من ضمن المواد التي عرفت استغلالا واسعا في العهد الروماني و تعرضت الى نشاط تصديرى كبير نظرا لتنوع مجالات استخدامها من البناء الى المعابد الى صناعة الاثاث ، ومن أشهر الانواع ، خشب العفصية الذى كان يستخدم في صناعة الاثاث ، وكذا أخشاب البلوط والارز . وتعد الاخيرة على ما يذكر بلينوس (94) أشهر الاصناف التي تستخدم في البناءات العمومية .

أ ـ ج ـ المنتجات الحيوانية :

احتاج الرومان ايضا لألعابهم ـ لا سيما تلك المتعلقة بالسيرك ـ الى الحيوانات المفترسة التي اشاد المؤرخون القدماء (95) ، بكثرتها في شمال افريقيا ، حتى اعتقد بعضهم انها هي التي حالت دون زرع مساحات واسعة من البلاد (96) ، فاستعمال هذه الحيوانات (الفيلة ، الاسود ، الفهود ، الدببة والنمور ...) في الألعاب كانت وراء انتشار تجارتها ، اضافة الى استغلال العاج مما كان وراء عمليات صيد الفيلة (97) . من بين الحيوانات التي كانت محل نشاط تصديرى ايضا الخيول التي كانت وراء تجارة رائجة ، منذ عهد الملوك النوميديين ، على ما يفهم من تيتوس ليفيوس (98) . وقد استمرت هذه التجارة في اوائل الاحتلال

---

(94) Plinus , Hist.Nat, XVI , 76.

(95) Hérodote , IV , 191.

(96) Strabon , XVII , III , 54.

(97) Lecoq (A) , Op. cit , p.468.

(98) Titus Livius , XXXII , 27 , 2.

الروماني ، و تدعمت مع ازدياد الحاجة الى الخيول في الحروب وخاصة في عهد السيفيريين الذين احتلت طبقة الفرسان في عهدهم مكانة مرموقة .

اضافة الى الخيول يمكننا ذكر ايضا قطعان الاغنام والماعز المنتشرة في نوميديا وموريطانيا والتي كانت محل تصدير لا الى روما فحسب بل حتى مناطق أخرى من الامبراطورية (99) حيث استخدم صوف الاغنام و شعر الماعز في صناعة أنواع كثيرة من المنسوجات نالت شهرة كبيرة ، وكذا الابقار (100) ، كما تحدث بعض المؤرخين عن تصدير الدواجن الافريقية الى روما (101) .

اضافة الى ذلك يمكننا الحديث عن صيد بعض الاسماك التي تستخدم في صناعة الجاروم وكذا استخراج المريق المستخدم في صناعة الصباغة الارجوانية (102). وقد أولى آخر السفيريين الاسكندر سيفيروس اهتماما كبيرا لهذه المواد (103) .

اما تجارة العبيد ، فكانت معروفة ومتداولة يجلبون خاصة من المناطق الداخلية و يستخدمون في مختلف الاغراض الاقتصادية (104)

---

(99) Lecoq (A) , Op. cit ,pp.474-479.

(100) حارش (محمد الهادي) ،التطور السياسي ،ص 141 .

(101) Plinus, Hist. Nat, XXXVII, 11.

(102) Lecoq (A) , Op. cit, p.484.

(103) Lampridius , Vie d'Alex. Sev. , 39.

(104) Lecoq (A) , Op. cit , p.487.

ب - الـــواردات :

لم يول المؤرخون القدماء ادنى اهتمام للصادرات الايطالية الى بلاد المغرب ، وذلك راجع الى عدم اهتمام هؤلاء بالموضوع ، ولكن ما دامت بلاد المغرب مكتفية ذاتيا في المجال الزراعي ، يمكننا القول وبدون تردد ان وارداتها تكون قد اقتصرت على المواد المصنعة (105) ،خاصة الاواني الفخارية منها تلك الأواني التي صنعت من الفخار الاحمر التي عثر عليها في قرطاجة ، اضافة الى العديد من المصابيح ،كما يتحدث البعض عن استيراد نوع من الخمر الرفيع ، تلبية لحاجة الطبقة الارستقراطية الرومانية ، وهو ما تؤكده العديد من الجرار (Amphores) التي عثر عليها في قرطاجة تحمل نقوشا بالمادة والمكان القادمة منه (106) ، كما تم استيراد نوعا من الآجر من ايطاليا عثر عليه في سوسة وصلدائ ودوقة والجسم .

لم تكن واردات بلاد المغرب مقتصرة على ايطاليا فحسب بل استورد المغاربة منتوجات من مختلف مناطق الامبراطورية ، مثل الحديد والنحاس من اسبانيا والقصدير من غالة والحلي من الاسكندرية والعطور من بلاد الشرق (سوريا) والحرير من الصين . وكانت هذه البضائع بدون شك تجلب خصيصا للطبقة الارستقراطية (107) ، بالاضافة الى استيراد منتجات حيوانية كالخنازير والبط من غالة والاسماك من السواحل الاسبانية (108) .

لكن مع ذلك ظلت بلاد المغرب دائما تصدر اكثر مما تستورد وهو ما

---

(105) Lecoq (A) , Op. cit , p.489.

(106) ID , pp. 491-495.

(107) Salama (P) , Les Voies romaines...,p.46.

(108) Lecoq (A) , Op . cit , p.253.

يفسر لنا اشادة المؤرخين القدماء دائما بثراء المـنطقة المغربية ٠

يتضح من الدراسة السابقة ان اقتصاد بلاد المغرب كان اقتصادا زراعـــيا أساسا ، اما الصناعة فلم تلعب الا دورا ثانويا بالمـقارنة مع الزراعة وكذا التجــارة التي اعتمدت اساسا على تصدير المـنتوجات الزراعية ، وبالتالي يمـكننا القول ان النشاط الزراعي كان وراء الرخاء الاقتصادى الذى عرفته بلاد المغرب عبر تاريخها القديم ٠

لكن هذا ليس معناه تجاهل باقي الانشطة التي ساهمت بدون شك في هذا الرخاء مـثل ما رأيناه من نشاط استخراجي سواء في المناجم او المـحاجر التي لعبت هي بدورها دورا معتبرا ، من ذلك الرخام الذى عمـت صناعته كامـل بلدان حوض المتوسط ، وكذا الاخشاب التي نالت شهرة واسعة خاصة في رومـا ٠ لكن هذه الانشطة كلها رغم أهمـيتها كانت مـكملة فقط للنشاط الزراعي ولم تتجاوزه في يوم من الأيام ٠

الفصل الثاني

الاصلاحات المالية

أولا ـ المداخيل :

1 ـ الضرائب المباشرة

2 ـ الضرائب غير المباشرة

ثانيا ـ ادارة الضرائب .

ثالثا ـ مصاريف الدولة الرومانية :

1 ـ العبادة

2 ـ الاشغال العمومية

3 ـ الجيش

4 ـ التموين

أولا ـ المداخيل :

أدى اتساع رقعة الامبراطورية الرومانية ، بمرور الزمن الى تزايد التزاماتها الدفاعية ، وقد بلغت الامبراطورية أقصى اتساع لها أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلاديين ، وهو ما أدى الى تزايد حاجة الدولة الى مصادر مالية جديدة ، ونتيجة لذلك لجأ الاباطرة الى فرض اتاوات جديدة على السكان ، وأعمال جبرية مجانية ، وتقديم مؤونة اضافية للجيش ، كل هذا زيادة على الضرائب التي كانوا يدفعونها . وقد كانت الضرائب مصدرا أساسيا من مصادر الثروة في الامبراطورية الرومانية ، ومصدر رخائها وتطورها المادى والاقتصادى وهي تتمثل في :

1 ـ الضرائب المباشرة : ونعني بهذا النوع من الضرائب تلك الضرائب التي تدفع على الملكيات والاشخاص وهي صنفان :

أ ـ ضريبة الأرض : تدفع على العقارات والاراضي والأماكن العمومية سواء داخل أو خارج المدينة ، وحتى الأراضي الخاصة بالمعابد والأراضي المخصصة للبناء ، اضافة الى المباني العمومية كالحمامات والجسور والموانئ ومواقع عبور الاشخاص والبضائع المصدرة والمستوردة (1) .

واذا كانت الأرض في نظر القانون الروماني ملكا عموميا للشعب

---

(1) Marquardt (J) , " L'Organisation financière " , Manuel des Antiquités Romaines , (16 vol) , trad. Gustave Humbert , ed. Thorin , (Paris 1888) , t 10, pp. 191-192 , (par suite Marquardt , L'Org. financière).

الروماني ، فان هذا الملك أخذ يتسع باتساع النفوذ الروماني ، اذ كلما احتلت روما اقليما جديدا أدمجه في قطاع الاراضي العمومية (Ager publicus Italien) التي كانت تنقسم بدورها الى قطاعين :

- الاراضي المخصصة لانشاء المستعمرات (Agri Colonici) ، والتي ستصبح ملكا للمعمرين ، وهم معفون من أية ضريبة كانت.

- الاراضي الموزعة على الافراد (Ager viritanus) ، التي يدفع أصحابها الضريبة (2).

ب - الضريبة المدنية الرومانية (Tributum Civium Romanorum)
وهي أنواع ، بعضها يدفعها المواطنون في الحالات الاستثنائية كالحروب والكوارث. وكان مجلس الشيوخ هو الذى يحدد قيمة الضريبة التي يدفعها كل مواطن وفقا لثروته ، وضرائب أخرى مثل ضريبة الرأس (Tributum incapita) التي تفرض على النساء والأرامل ، وضريبة اليتامى (Orbi) التي تفرض على المراهقين ، وضريبة الخزينة (Aerarii) الخاصة بدفع رواتب الجيش (3).

أما الضريبة المباشرة الأساسية التي تدفعها الولايات ، فكانت تدفع في صورتين :

- ضريبة عقارية (Tributum soli) ، وهي التي تعرف بالعشر (Dime) تؤخذ من منتوجات الأرض (4).

- ضريبة الحياة ، وهي ضريبة محددة تدفع نقدا أو عينا من طرف

---

(2) Marquardt (J) ,L'Org.financière, pp.194-95.
(3) Ibid , pp. 207-221.
(4) Ibid , p. 233.

الاهالي ، مقابل الابقاء على حياتهم .

اضافة الى ضرائب أخرى كضريبة رأس المال في المدن الحرة [5] وضريبة التاج (Aurum coroniarum) وضريبة التموين (Frumentum honorarium) التي برزت في العهد الامبراطوري .

ورغم ان بعض الروايات تشير الى ان سكان المدن كانوا في عهد السيفيريين يخضعون لبعض الضرائب الاضافية ، ومصادرات مارستها الدولة عليهم ،كضريبة التاج ، التي كانت في الاصل هدية اختيارية يقدمها الاهالي للامبراطور بمناسبة اعتلائه العرش او انتصار حققه ، لكنها تحولت فيما بعد الى ضريبة اجبارية ، سرعان ما أصبحت سنوية [6].

اذا كانت ضريبة التاج تقع على الدخل ، وتتحملها بصفة عامة الطبقات الغنية [7] ، وتتغير حسب الحاجة ، فان ضريبة الرأس كانت تجبى بمعدل ثابت [8] . لكن مع ذلك تبقى ضريبة التموين العسكري (Annona Militaris) الضريبة الاكثر أثرا من كل الضرائب التي أوجدها السيفيريون .

كانت ضريبة التموين العسكري قد فرضت على الاهالي ، لتموين الجيش الذي كان جنوده وقتئذ يتقاضون الجانب الاكبر من رواتبهم عينا ، فكان الأهالي ملزمون بتقديم المؤونة عندما يطالبون بها ، و بالقدر الذي تقتضيه الظروف.

---

(5) Marquardt (J) , L'Org.financ,p.249.

(6) بل (هـ. ادريس) المرجع السابق ،ص 144.

(7) رستوفتزف ،المرجع السابق ، ص 494 .

(8) بل (هـ. ادريس) ، المرجع السابق ،ص 144.

ولذلك كانت هذه الضريبة مرهقة لهم ، وملائمة كل الملاءمة لجباتها الذين كانوا مسؤولين بأشخاصهم وأملاكهم عن تحصيل نصابهم كاملا ·

كانت هذه الضريبة جماعية لا فردية كضريبة الرأس ، فاذا ما تهرب شخص من ادائها ، كانت جبايتها من أقربائه في القرية ، وان كانت الحكومة تفضل ان تدفع هذه الضريبة نقدا بدلا من دفعها عينا عندما تقتضي المصلحة ذلك (9) ·

ترجع ضريبة التموين العسكري هذه الى عهد الامبراطور سيفيروس (10) وقد يتساءل المرء عن الاسباب التي دفعت الامبراطور الى فرض مثل هذه الضريبة ؟

المعروف ان سيفيروس كان مدينا بعرشه لجيشه ، الذي اعتمد عليه في إخضاع الولايات والقضاء على منافسيه ، وفور تعيينه امبراطورا و توليه الحكم ، راح سيفيروس يرد الجميل بتقديم امتيازات هامة لجنده جزاء مآزرتهم له من جهة ، ووفاء بالوعود التي قطعها لهم على ما يذكر صاحب تاريخ اغسطس (11) ، الذي يشير الى أن سيفيروس وعدهم برفع رواتبهم · ولتحقيق ذلك ، أقدم الامبراطور على مصادرة القمح وكل المحاصيل الزراعية التي تزخر بها الولايات ولا سيما الولاية الافريقية التي اعتبرت بحق مطمورة روما (12) .

اذا كان سيفيروس قد تمكن من جمع ثروة طائلة وأجزل بذلك العطاء على جنده و رعاياه الرومان ، فان كراكلا على العكس من ذلك اضطر الى صرف

---

(9) بل (هـ· ادريس) ،المرجع السابق ، ص144—145 ·

(10) Van Berchem (D), Op. cit , p.123.

(11) Spartianus (A) , <u>Vie de Sevère</u>, V, 2.

(12) Van Berchem (D) , Op. cit ,p.133.

الاموال التي جمعها والده ، ولتعويضها لجأ الى استنزاف ثروات الملاكين (13) ، فلم يرفع ضريبة الاراضي ولا ضريبة الرؤوس ، وهما أهم الضرائب التي تدفعها الطبقات الدنيا ، ولكنه لجأ الى رفع ضريبة التاج التي تقع على عاتق الارستقراطية (14). بل اكثر من ذلك لجأ الى اصدار مرسوم تعميم حق المواطنة الذى اعتبره ديون كاسيوس وسيلة لجمع الاموال ، ورفع مداخيل خزينة الدولة (15).

فتعميم حق المواطنة كان اذن تعميما لأعباء اضافية على الأجانب مقابل الحصول على حق المواطنة الرومانية التي أصبحت منذ ذلك الوقت تكليفا من طرف الدولة وليست تشريفا ، اذ أثقلت كاهلهم بعبء جبائي جديد كانوا غير مطالبين به ، مع استمرارهم في دفع ضريبة الرأس التي لم يكن المواطنون الرومان يدفعونها (16).

واذا كان الامبراطور كراكلا قد أعفى السكان من بعض الضرائب التي تراكمت عليهم ، كما يشير الى ذلك نقش سيدى علي بوجنون (17) (Banosa) فانه من جهة أخرى ضاعف من ضرائب اخرى مثل ضريبتي الميراث (Succession) والعتق (Affranchissement) وهما ضريبتان ظلت الصلة بينهما وثيقة على الدوام (18).

(13) Petit (P) , Op. cit , p.75.

(14) Dion-Cassius , LXXVII ,9,2,4.

(15) انظر ما سبق ص 64.

(16) شنيتي (محمد البشير) ، المرجع السابق ، ص 181 .

(17) CF. Thouvenot (R) , " Une Remise d'impot en 216 ap.j.c", C.R.A.I. et belles-lettres, (1946), pp.548-558.

(18) رستوفتزف ، المرجع السابق ، ص 490 .

اما عهد الاسكندر سيفيروس فيبدو انه قد عرف بعض الاضطرابات في الانتاج ، خاصة انتاج اللحوم ، حيث عرفت ايطاليا نقصا فظيعا في المواشي ، وأصبحت أسواق اللحوم خاوية ، فعمل الاسكندر ووزراؤه على انقاذ الوضع فأبطلوا بعض الضرائب جزئيا كضريبة التاج الثقيلة ، ونالت الطبقات العليا والمدن بعض التخفيض وحصلت على بعض الامتيازات وهذا بهدف زيادة الانتاج ، لكن ذلك لم يمنعه من اللجوء مرارا الى نظام السخرة والخدمات بطرق جديدة تمس جمعيات التجار وأرباب الصناعة [19] ، ولكي يجذب التجار الى العاصمة ، أبطل الضريبة التي كانوا يؤدونها واستبدلها بضريبة جديدة هي ضريبة النوعية (Anabolicum) التي فرضها على الصناع والمنتجين ، وجلب في نفس الوقت من افريقيا كميات كبيرة من المنتجات الصناعية الافريقية وهو ما يبين النقص الكبير في انتاج الصناعات المحلية في روما ، وثقل ضرائب السخرة على التجارة البحرية خاصة والتجارة بصفة عامة [20] ، كما تدل من جهة اخرى على نمو وازدهار صناعات المقاطعات ومنها المقاطعات الافريقية التي كانت تلعب دوما دورا اساسيا في احداث روما .

2 ـ الضرائب غير المباشرة :

كانت عناية الرومان بالضرائب غير المباشرة أقل من عنايتهم بالضرائب المباشرة خاصة ضمن التنظيم الجبائي الجديد ، الذى ركز على القطاع

---

(19) انظر كل من :

— Besnier (M) , Op. cit , p.98.

— رستوفتزف ، المرجع السابق ، ص 510 .

(20) Loc.Cit.

الفلاحي ، الذى أولوه عناية كبرى لدرجة انه أصبح المحور الرئيسي الذى تدور حوله مختلف أنشطة الضرائب غير المباشرة عند الرومان ، وكانت الرسوم الجمركية تشكل المصدر الرئيسي لهذا النوع من الضرائب والدخل العمومي .

ويمكننا الحديث هنا على رسوم بحرية وأخرى برية ورسوم الدخول والعبور ، فانتشرت محطات هذه الرسوم عبر الولايات الرومانية (21) .

اما عن قيمة هذه الرسوم الجمركية ، فهي تتراوح ما بين 3ر0 ٪ و 5ر21 ٪ وهذا حسب الولايات والبضائع (22) .

وتعد الاربعية الافريقبة العمومية (Quattuor Publica Africae) أهم الضرائب غير المباشرة في الولايات الافريقية ، وكانت عبارة : " الاربعية الافريقية العمومية " محل جدال كبير بين المؤرخين ، الذين اختلفت وجهات نظرهم في تفسيرها ، ففي الوقت الذى نجد فيه جماعة منهم يرون انها كانت ضريبة واحدة ، هي ضريبة البورتوريوم الافريقية (Portorium) وان كل ما في الامر هو انقسام الولاية الى أربع دوائر جمركية ، مراكزها في المدن الرئيسية : لبدة وسوسة وهيبون وقرطاجة ، وهي المراكز التي تحولت في عهد الامبراطور دقليانوس الى ولايات : طرابلس ، المزاق ، نوميديا ، افريقيا البروقنصلية ، وهو رأى كل من كنايب (Kneīp) ورستوفتزف وهيرشفيلد (O.Hirschfeld) ، وخلافا لهؤلاء ترى جماعة أخرى نذكر منهم كيل (G. Keil) وجونسن (A.Johnson) ان تلك الضرائب عبارة عن

---

(21) Marquardt (J), L'Org.financière, p.346.

(22) انظر ما سيأتي ص 176 .

أربع ضرائب مختلفة ، من بينها ضريبة البورتوريوم [23] . لكن ما هي هذه الضرائب؟
هي الاخرى محل جدال وخلاف بين هذا الفريق . فبينما يرى قيران [24] (Guerin).
انها هي رسم العبور (Portorium) وحق الرعي (Scriptura) ، وضريبة
العشور (Decumae) وضريبة الاراضي العسكرية (Stipendium) ، يرى
هايوود (Haywood) انها حق الجمرك ، والاراضي العمومية (Ager publicus
وضريبة الاراضي العسكرية (Ager stipendiarius) ، وضريبة الرأس [25] ،
ومن وجهة نظر شيبول [26] (Thiboult) هي : رسم العبور (Portorium)
وحق الرعي (Scriptura) وضريبة الملح ، والجزء العشرين من التركة
(Vigesima hereditatium) ، وأخيرا يقول دولايت [27] (Delaet)
انها هي رسم العبور (Portorium) ، والجزء العشرين على رسم البضائع
المستوردة والمصدرة (Vigesima libertatis) ، وضريبة الخمس من
العشرين على العبد المباع (Quinta et visecima venalium mancipionum) والجزء العشرين
من التركة (Vigesima hereditatium) .

---

(23) Delaet (Siegfried), Portorium , Etude sur l'organisation douanière chez les Romains surtout à l'époque du haut-empire , ed. De-Tempel , (Brugge 1949), pp.247-248.

(24) Guerin (E) , Etude sur les Quattuor Publica Africae, (Meaux 1900) , p.6.

(25) Delaet (Siegfried), Op. cit, p.248.

(26) Thiboult (F) , Les Douanes chez les Romains , ed. Ernest Leroux , (Paris 1888) , p.44.

(27) Delaet (Siegfried), Op. cit, p.253.

ومهما كان الاختلاف ، والرأى الذى نأخذ به ، فان ضريبة البورتوريوم تعد أهم هذه الضرائب ، وقد عثر على نقش يعود الى مستهل القرن الثالث(202م) يمكننا اعتباره وثيقة أساسية لمعرفة البورتوريوم في عهد السيفيريين (28) .

البورتوريوم : ضريبة نقل تفرض على البضائع التي تنقل من منطقة الى أخرى ، عبر الولايات الرومانية ، وتدفع في أماكن محددة على حدود الامبراطورية الرومانية ، وعلى حدود الولايات ، وعلى أبواب المدن ، وأخيرا على الطرق أو عند المرور على الجسور ، وأنواع هذه الرسوم ثلاثة : 1 — رسم الجمرك

2 — رسم الدخول

3 — رسم المكوس(29) .

وقد قسم الرومان هذه الرسوم الى قسمين ، هما : أ — الرسوم البحرية (Portorium maritimum) وهي رسوم تفرض عند دخول أو خروج البضائع من الموانئ ، ب — الرسوم البرية (Portorium terrestre) التي تدفع على حدود الامبراطورية أو حدود الولايات الرومانية ، أو على أبواب المدن والطرق وبذلك كانت ضريبة البورتوريوم عبارة عن ضريبة مرور الهدف منها مل ، خزينة الدولة (30) .

لقد عثر الى حد الآن على محطتين للبورتوريوم الافريقي ، فالمحطة الاولى تتمثل في محطة سكيكدة ، والثانية محطة العلمة (Ad. Portum) ،

---

(28) Cagnat (R), Etude historique sur les impots indirects chez les Romains jusqu'aux invasions des barbares, ed. Imprimerie Nationale, (Paris 1882), p. 71. (par suite.Cagnat, Etude historique).

(29) Le coq (A),Op.cit, p. 322.

(30) Cagnat (R),Etude historique,pp.1-4.

وهذه الاخيرة هي التي انـتقلت سنة 202 م الى زرايا (Zaraï) [31]، التي عـثر فيها على نقش يعود الى عـصر الامبراطور سيفيروس · يشير الى الرسوم التي كانت تدفع على مـختلف السلع التي تمر عبر هذه المـحطة وهي في الشكل التالي :

"Imp (eratoribus) Caes(aribus) L.Septimio Severe III et M.Aurelio Antonino Aug(ustis) Piis co(n) s(ulibus) lex portus post discessum coh(ortis) instituto".

*Lex capitularis	
mancipia singula	dénarius et quinarius
eq(u)m equam	dénarius et quinarius
mulum , mulam	dénarius et quinarius
asinum , bovem	quinarius
porcum	sestertius
porcellum	dupondius
ovem , caprum	sestertius
edum agnum	dupondius
pecorara in nundinium immunia	
*Lex vestis peregrinae	
abollam cenatori(a)m	dénarius et quinarius
tunicam ternariam	dénarius et quinarius

(31) Cagnat (R) , Etude historique, p.73.

Lodicem	quinarius
sagum pur purium	dénarius
cetera vestis Afra in singulas lacinias	
*Lex coriaria	
corium perfectu(m)	quinarius
corium pilos(um)	dupondius
pelle(m) ovella(m) caprin(am)	dupondius
scordiscum malac(um)? pondo	
c(entum) rudia p(ondo)	centum quinarius
glutinis p(ondo)	decem dupondius
spongiaru(m) p(ondo)	decem dupondius
*Lex portus maximi(i)	
pequaria jument(a) immunia	
ceteris rebus sicut ad caput	
vini amp(oram), gari amp(oram)	sestertius
palmae p(ondo)	centum quinarius
fici p(ondo)	centum quinarius
vatosse (?)	modius decem
nucis	modius decem
resina(m) , pice(m)	
ŏlumen in p(ondo)	centum
ferr(i) ?... (32)	

(32) Darmon (J.P) , "Note sur le tarif de Zaraï" , C.T. , t 12, (1964) , p.8.

ترجمة النــقش (33)

- ضريــبة الرأس :

البضاعــة	قيمة الضريــبة
عــبد	دينا ريوس ونصف
فرس ، حجر	دينا ريوس ونصف
بغل ، بغلة	دينا ريوس ونصف
حمار ، ثور	نصف دينا ريوس
خنزير	سستريوس
خنزير رضيع	2 آس
كبش ، ماعز	سستريوس
جدي وديع	2 آس
المواشي الموجهة للسوق معفاة من أية ضريــبة	

- ضريــبة على الملابس :

معطف	دينا ريوس ونصف
جلباب	دينا ريوس ونصف
غــطاء	نصف دينا ريوس
عــباءة ارجوانية	دينا ريوس
الاقمشة الافريقية بالقطعة	(؟،)

(33) Bourgarel Musso (A) , "Recherches economiques sur l'Afrique Romaine ", Rev.Afr. t 75,(1934) p. 499.

- ضريبة على الجلود :

جلد محضر	نصف ديناريوس
جلد غير محضر	2 آس
جلد كبش او ماعز	2 آس
جلدى طرى بمائة رطل	(؟)
جلد خام بمائة رطل	نصف ديناريوس
صمغ بعشرة أرطال	2 آس
اسفنج بعشرة أرطال	2 آس

- ضريبة العبور :

الحيوانات الموجهة للمرعى ودواب النقل معفاة من أية ضريبة	
جرة من الخمر	سستريوس
جرة من الجاروم	سستريوس
تمر بمائة رطل	نصف ديناريوس
تين بمائة رطل	نصف ديناريوس
عشرة صاع من الجوز	(؟)
صمغ ،زفت ، حجر الشب بمائة رطل معفاة من أية ضريبة	

نلاحظ في الديباجة ان النقش يعود الى عصر الامبراطور سيفيروس ، وأهميته تكمن في كونه وثيقة نادرة تبين لنا بصورة مفصلة قيمة الرسوم الجمركية

في افريقيا من جهة والسلع التي تطبق عليها الرسوم من جهة أخرى (34) .وقد طرحت العديد من التساؤلات عن دواعي اقامة هذه المحطة في هذه المنطقة ؟ وما هي الفرقة المقصودة في هذا النقش ؟ هل قائمة البضائع الواردة في النقش هي الوحيدة الخاضعة للرسوم الجمركية ؟ لماذا دونت هذه الوثيقة بعد رحيل الفرقة العسكرية المشار اليها ؟ وهو الاختلاف المطروح حول الجباية، ان كانت جباية عسكرية أم مدنية ؟ ففي الوقت الذى يرى فيه البعض ان جباية الرسوم الجمركية فعي زرايا كانت من مهام الفرقة الفلافية الاولى (I Flavia equitata) أو فرقة الجينوروميية السادسة (VI Comma Genorum)، وبعد رحيلها خولت المهمة لمدنيين (35) . يرى البعض الآخر ان دور قادة وضباط هذه الفرقة لا يتجاوز مراقبة السوق والمنتوجات المستوردة لتموين الفرق . اما بعد رحيل الفرقة فان عملية المراقبة أصبحت غير ضرورية (36)، وخلافا لهؤلاء يرى آخرون ان هذه المنطقة كانت منطقة عسكرية وتحصلت بموجب ذلك على امتياز عدم دفع الرسوم الجمركية، وبعد رحيل الفرقة، كان من الضرورى وضع قانون جمركي في المنطقة (37) .

ومهما كانت الاختلافات وتباين وجهات النظر، فان المتفق عليه هو أهمية النقش الذى يعطينا فكرة واضحة على أهم السلع المتبادلة بين افريقيا والدولة الرومانية في أوائل القرن الثالث، وهو النقش الذى صنف السلع

---

(34) Lecoq (A) , Op. cit , p.333.

(35) Lecoq (A) , Loc. Cit.

(36) Delaet (Siegfried) , Op. cit,p.267.

(37) Darmon (J.P) , Op. cit, p.9

الخاضعة للرسوم الى أربعة أصناف ، يخضع كل صنف منها لرسم تشريعي خاص . وهو ما يمكننا من تمييز ضريبة الرأس التي تدفع على العبيد والحيوانات (Lex capitularis) (كالخنازير ، والخيول والماعز والابقار والحمير) ، والرسم على القماش (Lex vectis peregrinae) (كالنسيج ، الملابس المستوردة ، الملابس الافريقية ، الاقمصة الخ ...) ، وكذا الرسم على الجلود (Lex coriaria) (الاسفنج ، الصمغ ، جلود مدبوغة ، جلود خامة ، جلود لينة ، جلود الماعز ، وجلود الاغنام) . بالاضافة الى رسم العبور (Lex portus) الذى ينطبق على التمور ، التين ، الخمر ، الجاروم ، الزفت(38) .

وتصنف هذه المنتوجات الى منتوجات حيوانية وأخرى زراعية ، ومصادرها من مختلف الولايات الافريقية ، فالخيول من نوميديا والمزاق واقليم طرابلس ، والنسيج من جربة والجاروم من لبدة ، والخمر من قابس وقرقنة والمزاق ، والاسفنج من السيرت والتمور من الواحات والفواكه الأخرى من منطقة المزاق (39) .

يستنتج من هذه التعرفة ان المنتوجات الحيوانية المشار اليها مجلوبة كلها ، أو على الاقل الجزء الأكبر منها من نوميديا وموريطانيا " شط الحضنة والهضاب العليا الموريطانيا " الذى أدخلته روما في حدود الليمس .

اما بقية المنتوجات الواردة في هذا النقش فيبدو انها قادمة من

---

(38) Lecoq (A) , Op. cit , p.334.

(39) Loc. Cit.

البروقنصلية والمزاق ومن المحتمل ايضا ان بعض المنتوجات جلبت من بعيد وخاصة حجر الشب(Alun) وبعضها الآخر من مناطق قريبة من زرايا التي لعبت دورا هاما في التموين والتجارة (40) ·

اذ يفهم من رحلة انطونيوس من أن زرايا قد تمتعت بموقع تجارى هام ، فهي تقع في ملتقى طرق القوافل المؤدية الى موريطانيا والقادمة من المزاق واقليم طرابلس والجريد والمناطق الجنوبية للاوراس (41)، وفيها كانت تفرض رسوم المرور عند الدخول الى موريطانيا · لقد أدى موقع زرايا القريب من خط الليمس ببعض المؤرخين الى القول ان تلك الرسوم كانت تدفع عند دخول او خروج السلع من المناطق التابعة لروما ، الى المناطق المستقلة عنها او غير الخاضعة لسلطتها ، وان قائمة البضائع المذكورة في الوثيقة من المرجح انها كانت تمثل البضائع الاكثر تداولا بين الناس (42) .

اما عن قيمة الرسوم التي نجدها في هذه الوثيقة فهي تمثل حوالي 21ر5 ٪ على الخمور والجاروم والتمر والتين ، و 2 ٪ على القماش والجلود والاسفنج ، و 0ر375 ؟ على الماشية و 0ر3 ٪ على العبيد (43)· وهو ما يلاحظ فيه اختلافا واضحا في النسب تتراوح ما بين 21ر5 ٪ الى 0ر3 ٪ ·

---

(40) Darmon (J.P) , Op. cit, pp. 16-18.

(41) حول موقع هذه المحطة انظر الخريطة رقم 11 ص .

(42) Delaet (Siegfried), Op. cit, p.247.

(43) ID , p.269.

ثانيا - ادارة الضرائب :

لقد كانت الولايات في عهد الامبراطور اغسطس تزود الدولة بالثروات الرئيسية وهو ما استوجب انشاء خزينتين رئيسيتين احداهما تابعة لمجلس الشيوخ والاخرى للامبراطور . تتمثل الخزينة الاولى في خزينة ساتورن (Aerarium Saturni) التي كانت تستقبل ضرائب الولايات السناتورية .(44) وقد وضع الامبراطور اغسطس على رأس الخزينة المشار اليها واليين ، واليا خزينة ساتورنوس ، (Praefecti aerarii Saturni) ، بينما كانت تستقبل الخزينة الثانية ضرائب الولايات الامبراطورية ، هذا في عهد اغسطس ، اما في عهد السيفيريين فقد اختفى الفرق بين الولايات الامبراطورية والسناتورية ، ومداخيل كل الولايات تصل الى الخزينة الامبراطورية . ونتيجة لما سبق تحولت الخزينة السناتورية الى خزينة بلدية بسيطة (45) . وعلى هذا الاساس نجد أهم خزائن المالية للدولة في عهد السيفيريين تتمثل اولا في الخزينة الامبراطورية (Fiscus Caesoris) ، التي قسمت البلاد بين مجلس الشيوخ والامبراطور (46) ، وكانت ملكا للامبراطور .

والاعباء الرئيسية التي تتحملها خزينة الدولة هي دفع أجور الجيش وصيانة الاسطول والعتاد الحربي ، ودفع مرتبات الموظفين وتموين مدينة روما

---

(44) Tacite (Caius Cornelius) , Les Annales , trad.H.Bournecque, ed. Garnier Flammarion , (Paris 1965) , Liv II,47.

(45) Marquardt (J) , L'Org. financière.,pp.386-87.

(46) Dion-Cassius , 53 , 16.

بالقمح ، وكذا مصاريف الطرق العسكرية ، والبريد والخدمات العمومية . وتتمثل مداخيلها الاساسية في مجموع منتجات الولايات الامبراطورية التي تدخل الى خزينة الدولة . للاسباب التي سبق ذكرها كانت الادارة المالية للولايات قد انتزعت من المحاسب (Questeurs) ، ومنحت المهمة لموظفين من البيت الامبراطوري . كما كان لخزينة الدولة في كل الولايات الساتورية سابقا ضرائب تقتطع ، وهو ما أدى الى ايجاد في هذه الولايات ، الى جانب المحاسب وكيل امبراطوري (Procurateur imperial) (47).

اضافة الى ذلك أنشأ الامبراطور سيفيروس خزينة عرفت بالخزينة الخاصة (Ratio privata) التي جمع فيها ثروة طائلة لا سيما من العقار (48).

و بذلك فرق الامبراطور بين قطاع التاج و بين الثروة الشخصية للامبراطور ، بحيث كان يدير الاولى مدير الاموال (Procurator patrimonii) والثانية وكيل الخزينة الخاصة (Procuratores rationis privatae) (49).

اضافة الى هذه الخزائن الرئيسية ، هناك خزائن أخرى متعددة ثانوية منظمة للمداخيل أو المصاريف الخاصة (50).

أوكلت الدولة مهمة الاشراف على عمليات الجباية في الولايات الافريقية الى حاكم الولاية في بادئ الامر لكنها ما لبثت أن أطلقت أيدي الشركات التي كان

---

(47) Marquardt (J) , L'Org.financière .,p.389.

(48) رستوفتزف ، المرجع السابق ،ص 488 .

(49) Spartianus (Aelius),Vie de Sevère, 12.

(50) Marquardt (J) , L'Org.financière,,p.398.

يدير أعمالها رأسماليون رومان ليقوموا بتحصيل هذه الضرائب وجمع ايرادات الدولة من مختلف القطاعات الانتاجية (51).

اما بخصوص جباية الرسوم الاربعية الافريقية العمومية "Quattuor Publica Africae" فقد كانت تتم من قبل شخص يدعى مدير الرسوم الاربعية الافريقية العمومية (Conducteur Quattuor Publica Africae) أو شريك الاربعية (Socii Quattuor Publicorum) (52). وقد اوكلت تلك المهمة في عهد الامبراطور سيفيروس الى وكيل الرسوم الاربعية الافريقية العمومية (Procurator IV Publicorium Africae) (53).

وما يمكن ملاحظته في المصادر الكتابية منها والمادية هو تعدد مكاتب هذه الضريبة الاربعية الافريقية العمومية في افريقيا ، حيث نجد خمسة عشر مكتبا تابعا لمصلحة الجباية موزعين على : البروقنصلية ، نوميديا وموريطانيا القيصرية وربما الطنجية ايضا ، ونجد بعض تلك المكاتب في المناطق الساحلية مثل : لبدة ،اوتيكا ، قرطاجة ،روسيكاد (سكيكدة) ، القل . والبعض الآخر في المناطق الداخلية ، وقد اختيرت لها مواقع ملائمة لجمع الرسوم . فنجد مثلا في البروقنصلية : باجة ،وهنشير محمص وهنشير القصبات ثم هنشير مكثر ، وفي نوميديا : نجد جميلة ،ومحطة العلمة وزرايا ثم لمبازيس ، في موريطانيا : نجد سطيف ، وهنشير سيدى خالف (54).

---

(51) Marquardt (J), L'Org.financière., pp.380-83.

(52) Cagnat (R) , Etude historique , p.93. ؛

(53) Lecoq (A) , Op.cit,p.333.
Delaet (Siegfried) , Op.cit, p.409.

(54) Ibid , pp.255-262.

ثالثا ـ مصاريف الدولة الرومانية :

لم يكن عصر السيفيريين عصر سلام على مستوى علاقات الدولة الخارجية لا سيما فترة حكم الامبراطور سيفيروس ، حيث لم يزد عدد سنين حكمه التي خلت من الحروب عن ست سنوات من ثمانية عشرة سنة ، وكذا خلفاؤه الذين خاضوا معارك صعبة ، لا سيما في بلاد الشرق (55) . لكن هذه الحروب لم تمنع الاباطرة السيفيريين من الاهتمام باصلاح أوضاع الدولة الرومانية وكذا الولايات التابعة لها ، وتوسيع رقعتها الجغرافية ، حيث شهد عصر السيفيريين نشاطا كبيرا في مجال البناء ، وهو ما يؤدي حتما الى تزايد مصاريف الدولة زد على ذلك اتساع رقعة الامبراطورية وما يتطلبه ذلك من امكانيات الدفاع والتموين بالاضافة الى تدخل الدولة في شؤون العبادة والادارة وهو ما ينوع مصادر الصرف التي تشمل بالتالي اضافة الى الادارة والجيش والاشغال العمومية التموين وشؤون العبادة (56) .

1ـ المعابد :

كانت المعابد عبارة عن مؤسسات خاضعة للدولة ، وكان الكهنة بمثابة موظفين ولم تحتفظ الادارة لنفسها بمراقبة المعابد فحسب ، بل أخذت على عاتقها أيضا مسؤولية النفقات (57) ، فكل نفقات العبادة التي كان الكهنة في حاجة اليها تستمد من خزينة الدولة ، وكذا كان الكهنة يتلقون أجورهم من هذه الخزينة (58) .

(55) رستوفتزف ، المرجع السابق ، ص 488 .

(56) Besnier (M), Op.cit , p.36.

(57) Marquardt (J), L'Org.financière., p.91.

(58) IBID , p.91, 101.

وتدخل ايضا ضمن مصاريف العبادة بناء وترميم المعابد ، وتقديم القربان والأضاحي وكل مصاريف الاعياد المقدسة (59)

شهد عصر السيفيريين الافارقة انتشار العبادات وبناء المعابد في روما وبقية الولايات الرومانية الاخرى ، التي من بينها ولايات افريقيا التي انتشرت فيها عبادة الامبراطور في العديد من مدنها (60) ، وشيدت لهم معابد وأضرحة ، نذكر منها تلك التي أقيمت على شرفهم في مدن لبدة ، أوزيا ، تيمقاد ، جميلة ، دوقة ولمبازيس ، كما انتشرت في عهد السيفيريين المعابد التي أقيمت لساتورنوس وكايلستيس في كل الولايات الافريقية ، سواء في البروقنصلية أو نوميديا أو موريطانيا (61) ، كما انتشرت ظاهرة تقديم القرابين لهذين المعبودين (62).

فهذه الحركة الدينية والعمرانية بدون شك أدت الى تزايد مصاريف الدولة في مجال العبادة .

2 - __الاشغال العمومية :__

تعتبر نفقات الاشغال العمومية اكثر المصاريف اهمية بالنسبة للدولة . وقد وضعت تحت ادارة المراقبين لمدة خمس سنوات ، وكان يقدم لهؤلاء المراقبين في بداية مهامهم نصف أو كامل الاعتماد تبعا لظروف الخزينة ، هذا في الحالات العادية ، اما في الحالات الخاصة فكانت تنجز من طرف موظفين آخرين لحساب الدولة (63).

---

(59) Marquardt (J) , __L'Org.financière.__, p.105.

(60) Dion-Cassius , LXXVI , 16, 3.

(61) Spartianus , __Vie de Sevère__ ,3 ,9.

(62) انظر ما سبق ، ص، 107 .

(63) Marquardt (J) , __L'Org.financière__ .,p.108.

ويلاحظ بأن تلك المصاريف كانت تستعمل أولا في روما ، بحيث تغطي كل الاشغال الخاصة كالعناية بأسوار المدينة ، وتبليط الطرق والقنوات(64) وثانيا تستثمر خارج مدينة روما كالمستعمرات والبلديات وكل المقاطعات ، سواء كان ذلك في ايطاليا أو في الولايات الاخرى ، كما كان من اختصاص المراقبين صيانة الاسوار والبنايات العامة للمستعمرات الرومانية والبلديات .

ويبدو أن الدولة قد انشغلت في الواقع بطرق المواصلات ذات المنفعة العامة ، وكذا الطرق المعبدة والقنوات والجسور والموانئ ، بينما الأشغال البلدية وخاصة الطرق القروية والجسور فقد ترك للبلديات أمر انجازها (65) .

وقد نشطت حركة بناء الطرق وترميمها منذ عهد الامبراطور اغسطس ، وتواصلت تلك العملية في عهد خلفائه ثم تطورت أكثر في القرنين الثاني وبداية القرن الثالث الميلاديين ، حيث انصب اهتمام الاباطرة على الاشغال العمومية ولا سيما الطرق لا في ايطاليا فحسب ، وانما حتى في الولايات الرومانية . ويظهر جليا في عهد الانطونيين ، وخاصة في عهد السيفيريين الذين دفعوا بالامبراطورية الرومانية الى أقصى امتداد لها (66) .

وقاموا في مجال الاشغال العمومية بانجازات ضخمة نذكر منها : اصلاح قصر الامبراطور اغسطس الذى أضافوا اليه جناحا جديدا (67) ، وشيد سيفيروس قصر سبتزونيوم (Septizonium) سنة 203 م ، وهو عبارة عن مبنى بداخله

---

(64) Marquardt (J), L'Org.financière, p.109

(65) Ibid , pp. 110-111.

(66) Marquardt (J) , Loc.Cit.

(67) Homo (L) , La Rome Antique , ed. Hachette , (Paris 1921), pp. 52-54.

ثلاثة طوابق مزينة بالاعمدة ، اضافة الى مصاطب و تماثيل (6,8) ، كما بنى قوسا للنصر سنة 203 م في ساحة روما يخلد انتصارات الامبراطور سيفيروس ، وكذا اقامة قوس لسيفيروس في ساحة بيع المواشي (Forum boarium) من طرف محترفي أعمال الصرف و تجار المواشي ، و تشييد ثكنة البريتوريين وحمامات في ترانسفير (Transtevère) وقنوات جديدة ، وقد رمم مسرح الامبراطور بومبي ، وباب أوكتافيا (Octavia) والبانثيون وحمامات أغريبا (Agrippa) ، (70) وملعب البالاتين (Palatin) (69) ، كما أنجز كراكلا حمامات أخرى في روما ، وكذا تشييد العديد من البناءات ، اضافة الى اصلاح الجسور والتماثيل (71).

ومن أهم الطرق الكبرى التي أنجزها الامبراطور سيفيروس وخلفاؤه ، طريقين انجزا في عهد سيفيروس وابنه كراكلا في ايطاليا ، وفي اسبانيا ، وطريق آخر أنجزه هليوجابالوس في اسبانيا وأخرى في ألمانيا (72).

أما في افريقيا ، فنجد نشاطا كبيرا تمثل في اقامة العديد من التحصينات على خط الليمس ، الذى أقيمت على طوله مراكز وأسوار وأبراج تمتد من اقليم طرابلس حتى الموريطانيتين (73).

الى جانب هذا الخط الدفاعي ، أقام السيفيريون طرقا من أهمها الطريق الذى يربط سطيف بأوزيا سنة 198 م ، وطريق نوفا بريتنتورا (Nova praetentura) الذى يربط القلاع العسكرية التي انشأها الامبراطور ، كما اهتم كراكلا بدوره بترميم شبكة الطرق في اقليم طرابلس ، وكذا في نوميديا وموريطانيا ، والهدف من وراء

(68) Spartianus, Sev, 19, 5. (69) Besnier (M), Op.cit, p.36.

(70) Spartianus, Caracalla, 9, 4, 9.

(71) Lampridius, Alex-Sev, 25,3-8, 26, 4.

(72) Bergier (Nicolas), Histoire des grands chemins de l'empire romain, (2 vol), ed.J.Leonard Libraire Imprimeur, (Bruxelles 1736), t 1, pp.63-65.

==/==

ذلك هو تسهيل حركة الجنود والاتصال وضمان التموينات (74) .

اضافة الى ذلك أنشأ السيفيريون مجموعة من المستعمرات والبلديات في البروقنصلية ، ولا سيما حول حوض مجردة (75) ، وحمامات معدنية منها حمامات هيبون – ريجيوس ، سيدي علي بوجنون ووليلي ، كما أقيمت على شرفهم أقواس النصر في تبسة (76) وقيرتا وجميلة ووليلي على شرف كراكلا ، ولمبازيس وتيمقاد وعين البرج (Tigisis) ودوقة على شرف سيفيروس وأخرى على شرف الاسكندر سيفيروس في دوقة وهنشير دميس (Uchi Maius) (77) .

اضافة الى العديد من المعابد في لبدة ، دوقة ، لمبازيس ، تبسة وجميلة وغيرها ، وساحات عمومية في لبدة وجميلة ومسارح ومدرجات في قيرتا ولمبازيس والجم (78) . وكنائس في لبدة (79) وخميسة ومداوروش ووليلي (80) . مما أدى الى تزايد العمران والمصاريف في هذا المجال ، واذا اكتفينا بذكر آثار جميلة وحدها نجد أن المدينة تضاعفت مساحتها ومرافقها لدرجة ان الجزء الشمالي من المدينة كله تم انشاؤه في عهد السيفيريين (81) .

3 ـ الجيش :

لقد أولى الاباطرة الرومان اهتماما كبيرا لعنصر الجيش ، وذلك بتقديم امتيازات معتبرة له كما زادوا في عدد القوات المسلحة ، ورفعوا رواتب أفرادها

==/==

(73) انظر ما سبق ، ص22 . وما بعدها . (74) انظر ما سبق ص ص34ـ35 .

(75) انظر ما سبق ، ص59 .

(76) انظر مخطط قوس كراكلا بتبسة ص 187 وكذا قوسي كراكلا بجميلة وسيفيروس بتيمقاد ص 190 .

(77) Jouffroy (H) ,La Construction publique en Italie et dans l'Afrique romaine ,Thèse 3ème cycle, Université de (Strasbourg , 1973), p.119-124.

(78) انظر كنموذج مخطط مسرح تيبازة ، ص 188 .

==/==

واستجابوا لطلبتهم من حيث التموين والتجهيز (82) ،ويبدو ان الاهتمام بالجيش كان قد ظهر جليا في عهد السيفيريين ولا سيما الامبراطور سيفيروس الذى أقام حكمه على تأييد الجيش كما ذكرنا سابقا (83) ، وهي السياسة التي انتهجها خلفاؤه من بعده ، وبذلك حصل الجند على امتيازات لم يسبق له وأن حصل عليها (84) .

ويكفينا ذكر وصية سيفيروس لابنيه كراكلا وجيتا وهو على فراش الموت : " وفرا المال لجندكما ، ولا يهمكما غير هذا ." (85) للاستدلال على المكانة التي حصل عليها الجيش في عهد سيفيروس .

اضافة الى هذا أقدم السيفيريون على اعمال أخرى في الولايات الافريقية تخص الجيش ، وذلك بتأسيس مراكز وقلاع عسكرية أشرنا سابقا لبعضها على خط الليمس (86) ، ونشير هنا الى مركز الكتيبة الاغسطية الثالثة في تبسة أولا ثم في لمبازيس وكذا سياسة الاستيطان التي اتبعها آخر السيفيريين على ما يفهم من سبرتيانوس (87) .

امام هذه الامتيازات التي منحت للجيش و تزايد حاجات الامبراطورية الى مصادر الدخل لدفع المصاريف العسكرية المتزايدة أقدم الامبراطور على فرض ضريبة التموين العسكرى (Annonae Militaris) (88) .

==/== (79) انظر مخطط كنيسة لبدة ، ص190 .

(80) Jouffroy (H) , Op. cit, p.114-125.

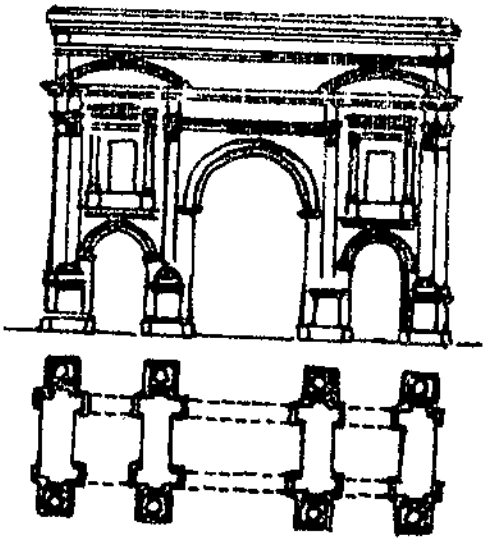
(81) انظر مخطط مدينة جميلة ،ص191 . (82) Petit (P), Op.cit,p.73.

(83) انظر ما سبق ،ص 18 . (84) انظر ماسبق ،ص 18-22 .

(85) Gagé (J),Op. cit , p.251. (86) انظر ما سبق ،ص23 .

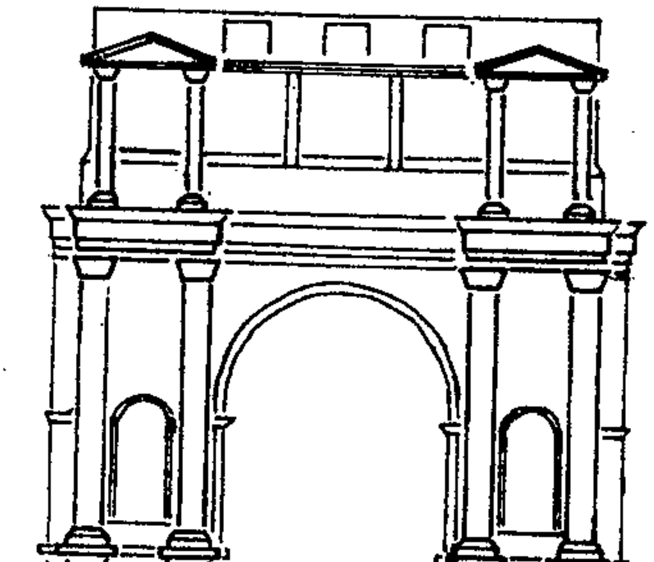
(87) انظر ما سبق ،ص37 .

(88) انظر ما سبق ،ص 164-165 .



تيمقاد: مخطط قوس سيفيروس المعروف بقوس تراجان. المقتبس عن

PICARD (G.), l'Empire Romain, Office du livre (Fribourg 1965) PP. 17-18.



كويكول: مخطط قوس كراكلا المقتبس عن:

...ARD (G.), OP.CIT, P 176.

185)



لبدة: منظر داخلي للكنيسة السيفيرية.

المقتبس عن:

PICARD (G.), OP.CIT, P 15

مـفتاح المـخطط

1- بيت الاسقف والاكليروس
2- كنيسة مسيحية
3- المعمدانية والحمامات الملحقة
4- الكنيسة الشمالية
5- كنيسة كريسكونيوس
6- مدخل الحي المسيحي
7- معبد باخوس
8- القاعة الصغيرة ذات المحراب
9- الحمامات الكبرى
10- باب الفترة المتأخرة
11- العين المخروطية
12- المسرح
13- معبد صغير
14- قوس كراكلا
15- مراحيض عمومية
16- سوق الاقمشة
17- خزان الماء
18- ساحة السيفيريين "القرن 3"
19- الباب الجنوبي القديم "القرن 2"
20- معبد العائلة السيفيرية
20- مكرر - الكنيسة المدينة "القرن 4"
21- مخازن عمومية
22- بيت كاستوريوس
23- معبد
24- دار الحمار
25- قوس على الكارد و مكسيموس
26- معبد
27- كنيسة معدنية "القرن 2"
28- ساحة الشمال "القرن 1- 2"
29- مجلس بلدى
30- الكابتول
31- منزل امفيتريت
32- حمام ترنتيوس

4 - التمـوين :

ان من بين النـفقات التي كانت تكلف خزينة الدولة مـبالغ كـبيرة نشـير الى التموين المـجاني لسكان روما ببعض المواد الاساسية خاصة القمـح والزيت ، ويفهم من ديون كاسيوس ان عدد المـستفيدين من التموين المـجانـي بلغ مائتي الف (200.000) مـستفيد [89] ،واستمر ذلك التموين حتى العـهد الامبراطوري الثاني (284 - 395 م) وبذلك ارتفعت كميات القمـح المـستوردة من مـصر وافريقيا الى سبعة وعشرين مليون (27.000.000) صاع ، وهي كمـية تفوق بكـثير الاحتياجات المـقدرة باثني عشر مليون (12.000.000) صاع [90] . وهو ما يـمـدعم بدون شك قول صاحب تاريخ اغسطس [91] ، ان الامبراطـور سيفيروس قد ترك عند وفاته مـخازن العاصمة مـليئة بكمـيات من القمـح تكـفـي لمدة سبع سنوات .

يفهم من هذا ان تموين روما كان يقع على كاهل مـصر وافريقيا . واذا كنـا نعلم ان مـصر كانت تقدم لروما عشرين مـليون (20.000.000) مديم ، وهو ما يلبي حاجة روما لمدة أربعة أشهر ، وكان على رومـا أن تلجأ الى افريقيا لتغطيـة احتياجاتها خلال الثمانية الاشهر المـتبقية ، أدركنا مدى الثقل الذي تحمـلته بلاد المغرب امام تزايد احتياجات روما الى المواد الغذائية .

اضافة الى القمـح ،أقدم سيفيروس على توزيع مواد أخرى على الشعب مجانا كالزيت ، حيث خصص دخله الشخصي من زيوت اقليم طرابلس للعامة ، كما وزع

---

(89) Dion Cassius , 76, 1.

(90) Petit (P) , Op.c it , p.74.

(91) Spartianus , Vie de Sevère,8,5,23,2.

النقود بمناسبة اعتلائه العرش وكذا الاحتفال بأعياد ميلاده وانتصاراته على الاعداء . وقدرت كمية المال الموزعة على كل فرد بمائة وأربعين (140) دراخما ، ووصلت الى مائتين وخمسين (250) دراخما (92) بمناسبة الالعاب العشرية (93) (Decennalia) والالعاب القرينة (Seculaire) سنة 204 م (94).

لم يتخل خلفاء سيفيروس على هذا النهج ، أذ نجد كراكلا يوزع ستين مليون دراخما سنويا على الجيش (95) ، كما قدم هدايا معتبرة للملوك البرابرة ليكسب صداقتهم وتحالفهم ، وهي تساوي نفس قيمة الهبة التي منحت للجيش (96) أما حول سياسة الاسكندر سيفيروس فيشير تاريخ اغسطس (97) الى عطايا معتبرة منحها للشعب ، وتوزيع اللحوم واعادة توزيع الزيت الذي ظهر في عهد سيفيروس ومنع في عهد هليوجابالوس ، كما سمح بالعلاج المجاني للعلماء لجذبهم الى روما ،اضافة الى انشائه مؤسسات غذائية ، كما منح قروضا للمزارعين الفقراء بأرباح بسيطة حتى يتمكنوا من شراء الاراضي التي كانوا يستغلونها (98).

---

(92) Van Berchem (D), Les Distributions de blé et d'argent à la plèbe romaines sous l'empire , ed. George et Cie (Genève 1939) , p.98.
Petit (P) , Op. cit , p.74.

(93) Dion Cassius , LXXVI , 1.

(94) Gagé (J) , "Les Jeux séculaires de 204 ap.j.c et la dynastie des Sevères", M.E.F.R.,(1934),p.34.

(95) Dion Cassius , LXXVIII, 36, 3.

(96) I.D, LXXVII ,14 ,3 .

(97) Lampridius , Alex-Sev , 34 ,1;

(98) Ibid , 44, 3, 22.,57, 7, 21 .

ان ما يمكن ان يستشف مما سبق هو ان الرومان كانوا قد أخضعوا بلاد المغرب لنظام جبائي متعدد الوجوه ، امتد منذ سقوط قرطاجة حتى زوال وجودهم من بلاد المغرب . وكان كلما اتسع المجال الجغرافي للاستيطان الروماني في بلاد المغرب كلما ازدادت احتياجات الدولة الرومانية الى مصادر تموينية جديدة . ولتحقيق ذلك لجأ المستعمرون الرومان الى أسلوب القوة لارغام المغاربة القدماء على دفع اتاوات جديدة او القيام بأعمال السخرة .

وقد أدى التوسع الذى عرفته الامبراطورية الرومانية في عهد السيفيريين الى تزايد التزاماتها الدفاعية ، وهو ما دفع بهؤلاء لا الى الرفع من قيمة الضرائب فحسب ، بل أوجدوا ضرائب جديدة كان لها أثرا بعيدا مثل ضريبة التموين العسكرى (   )التي تستهدف تموين الجيش ، وهو ما أدى الى خلق ظروف صعبة أضرت بتوازن الامبراطورية سياسيا واقتصاديا .

اذا أضفنا الى ذلك المرسوم الخاص بتعميم حق المواطنة على جميع أحرار الامبراطورية الذى أصدره كراكلا والذى لا يعتبره ديون كاسيوس أكثر من وسيلة لجمع المال ورفع مداخيل خزينة الدولة ، أدركنا كيف جاء هذا المرسوم ليضيف الى أعباء المواطنين أعباء كانوا في غنى عنها .

وهكذا رغم تعدد مصادر الدخل في بلاد المغرب أثناء الفترة السيفيرية فقد ظلت تلك المداخيل قليلة اذا ما قيست بمصادر الصرف ، بالاضافة الى اتساع الامبراطورية الرومانية وما يقتضيه ذلك من تجنيد امكانيات الدفاع ، نلاحظ كثرة المنشآت والانجازات في أغلب المدن الافريقية . اذ قلما نجد مدينة تخلو من بصمات السيفيريين ، كل ذلك ادى بدون شك الى تزايد مصادر الصرف ، التي أصبحت لا تستجيب لها مصادر الدخل .

الخاتمة

الخاتمـــــة

في ختام تتبعنا لاعمال العائلة السيفيرية ، منذ وصولها الى العرش سنة 193م بزعامة موسسها " لوكيوس سبتمـيوس سيفيروس " بعد صراع مرير ضد منافسيه في السباق للسيطرة على عرش روما ، وهو الصراع الذى لا شك انه حنك سيفيروس ، واعطاه فكرة واضحة عن مـجريات الأحداث في روما ، وهي الأحداث التي ستوثر بما لا يدع مـجـــالا للشك في أعمال سيفيروس وخلفائه من بعده . هولاء الخلفاء الذين ساروا على نفس النهج تقريبا الذى سار عليه سلفهم سواء أكان ذلك في المـجال العسكرى والادارى ام الاجتماعي والاقتصادى ، وهو ما يتضح من تتبعنا لأعمال تلك العائلة . وقد تمكننا من تسجيل النـتائج التالية :

1ـ ادراك سيفيروس بعد وفاة آخر الانطونيين ان الغلبة ستكون للاقوى فـي الصراع العسكرى المرير ، جعله يركز على الجانب العسكرى في اصلاحاته و يتمـثل ذلك في تغييره لنظم وطرق التجنيد ، كما أجزل العطاء للعساكر الذين اعتمد عليهم اعتمـادا كليا في تمرير اصلاحاته .

2ـ اعتماد سيفيروس على الجيش و تخلى مجلس الشيوخ عنه في صراعه ضد القائد البينوس جعله يعمل على تصفية أعضاء هذا المجلس ، والحد من صلاحياتـــه و تعويضه بالمـجلس الابرا طورى الذى زوده بمشرعين كبار كان لهم دور كبير في سن القوانين التي اتسمت بالعطف والتسامح تجاه الطبقات الدنيا .

3ـ لقد ساعد تركيز سيفيروس على الجيش في توسيع المجال الحيوى للامبراطورية وهي العمـلية التي تطلبت جهودا كبيرة ، لا للحفاظ على المناطق التي وصلوا اليها فحسب بل وايضا على استغلالها ، وهذا ما دفع بالسيفيريين في بلاد المغرب الى تمديد خـط

الليمس جنوبا وتدعيمه بانشاء قلاع ومراكز عسكرية ، بهدف الحد من ظاهرة تحرك القبائل الرحل تجاه أراضي المعمرين الرومان .

4– لاستغلال المناطق التي وصل اليها السيفيريون لجأ هؤلاء الى تكوين مستوطنات ، كما حولوا الكثير من المدن الى بلديات وفي آخر عهدهم لجأ الاسكندر سيفيروس الى سياسة استيطانية عسكرية بتوزيع الاراضي على جنوده في المناطق الحدودية ، وبذلك يكون الاسكندر سيفيروس قد ضرب عصفرين بحجر واحد ، كما يقول المثل ،ذلك انه جعل هؤلاء العساكر يستغلون هذه الاراضي ويدافعون عنها في ذات الوقت .

5– اذا كان سيفيروس قد أقدم على منح حقوق المواطنة الايطالية لبعض المدن المغاربية مثل قرطاجة وأوتيكا ولبدة ، وهي الحقوق التي تعفى هذه المدن من دفع الضرائب على غير العادة والعرف ، فان كراكلا كان قد أقدم هو الآخر على خطوة أكثر جرأة تتمثل في اصداره لمرسوم يعطي فيه حقوق المواطنة الرومانية لكل أحرار الامبراطورية .

ومهما قيل عن مرسوم كراكلا وأهداف اصداره ومدى فاعليته وسكوت معاصريه عن ذلك فهو كما عبر عنه القديس اغسطينوس " هبة انسانية " .

6– ان اعتماد السيفيريين على الولايات ،جعل البعض يرى في ذلك محاولة لتقليص النفوذ السياسي لايطاليا خاصة بعد محاولة هـ خلق توازن في مجلس الشيوخ ، لكن هل كانت تلك هي وجهة سيفيروس ؟ أم كان ينظر للامبراطورية الرومانية على انها امبراطورية عالمية يجب أن تكون مفتوحة للجميع للمشاركة في ادارتها ؟ فرضية قد تكون بعيدة ومتقدمة عن أوانها ولكنها مطروحة .

7- اذا كانت دراسة المعتقدات الوثنية في بلاد المغرب قد مكنتنا من التعرف على وجود معتقدات محلية عريقة سابقة لقدوم الملاحين الفينيقيين ، فاننا وجدنا فرشة اخرى من معتقدات شرقية ،قدمت الى بلاد المغرب بقدوم هؤلاء الفينيقيين ، والأهم من كل ذلك ، ان المعتقدات الوثنية الرومانية لم تجد لها أرضية في البلاد المغاربية ، باستثناء الالهة التي احتفظت بروحها المحلية وان تغيرت اسماؤها ، مثل ساتورنوس وكايلستيس .

8- سهل سيفيروس بموقفه المتسامح مع المسيحيين انتشار تلك الديانة رغم انقلابه عليهم فيما بعد . غير ان عودة التسامح في عهد ابنائه كان قد مكن المسيحية من الانتشار في صفوف الطبقات الشعبية التي وجدت فيها بغيتها الروحية وطموحها الاجتماعي ، وهما أمران لم تتوفر عليهما الديانة الرومانية الرسمية التي عجزت عن تحقيق الوئام الاجتماعي .

9- لقد ترتب على اختيار سيفيروس لجنوده من سكان الولايات فتح أبواب المناصب الادارية امام عدد كبير من أبناء الولايات ، وان كان سيفيروس ، يرمي من وراء ذلك الى تدعيم سلطانه وليس الرفع من مستوى هؤلاء

10- قد يكون مرسوم كراكلا أهم ضربة وجهها هذا الامبراطور لكبرياء الطبقة الارستقراطية التي سواها بطبقة العامة في الحقوق السياسية وهو الامر الذى اعتبره المعاصرون بمثابة الحط من هذه الطبقة ، بافراغ حق المواطنة من محتواه .

11- اذا كان مرسوم كراكلا المشار اليه آنفا قد حط من الطبقة الارستقراطية فان طبقة العامة أيضا كانت فائدتها ضئيلة ، حيث انها أصبحت بموجب هذا المرسوم خاضعة لضريبة الارث دون الاعفاء من ضريبة الرأس التي كانت تدفعها من قبل .

12ـ بروز دور الفرسان الذين كونوا طبقة بدأت تحل محل الطبقة الارستقراطية بالتدريج ، نظرا للدور الذى لعبوه بتزايد حاجة الاباطرة الى خدماتهم .

13 ـ ان احياء المجلس الامبراطوري وتزويده بكبار المشرعين أدى بدوره الى بروز قوانين جديدة مست مختلف جوانب الحياة وكل الفئات الاجتماعية .

14 ـ يتضح من دراستنا الاجتماعية للاسرة في المغرب خلال العهد السيفيرى ، ان نسبة الزواج كانت متفاوتة من منطقة الى أخرى ، فكانت مرتفعة في المناطق الجبلية والريفية الآهلة بالسكان الاهالي ومنخفضة في المناطق الحضرية التي يقطنها الوافدون وكذا نسبة الانجاب التي كانت في المتوسط ما بين 2 ـ 3 اطفال في المدن الداخلية وأقل من ذلك في الحواضر . وقد تكون الظروف الصعبة وراء شيوع ظاهرة الامتناع عن الانجاب والاجهاض ، وربما كان ذلك وراء سن سيفيروس لقوانين تحرم الاجهاض .

15ـ تؤكد البحوث الميدانية ان افريقيا شهدت نموا ديموغرافيا كبيرا في بعض الحواضر ابتداء من القرن الثاني وخاصة في عهد السيفيريين ، اذ توسعت هذه الحواضر بفضل ما اقيم فيها من مسارح ومراكز لهو .

16ـ اذا كانت الضرائب هي المدخول الاساسي في الامبراطورية الرومانية والتي رغم تنوعها وكثرتها ، فان سيفيروس استحدث انواعا جديدة ، بعضها كان لها أثرا بعيدا كضريبة التموين العسكرى ، التي فرضت على الاهالي ، اما ضريبة التاج ، التي كان أثرياء المدن والارياف يدفعونها ، فقد زاد كراكلا في قيمتها ، وهو ما زاد في موارد الدخل ، خلافا لفترة الاسكندر سيفيروس التي عرفت اضطرابات في بعض المنتوجات وهو ما دفع به الى التخفيف من بعض الآخر.

17- لم يهتم السيفيريون بالضرائب غير المباشرة ، اهتمامهم بالضرائب المباشرة ، وربما أمكننا اعتبار الرسوم الجمركية المصدر الاساسي للضرائب غير المباشرة وهي رسوم بحرية و برية ورسوم العبور والدخول .

18- تعد الضريبة " الاربعية الافريقية العمومية " التي يعتبرها البعض ضريبة واحدة هي " البورتوريوم " و ينظر اليها آخرون على انها أربع ضرائب مختلفة . أهم الضرائب غير المباشرة المفروضة على المنطقة وكذا كثرة مكاتب هذه الضرائب سواء في المدن الساحلية أو الداخلية .

19- وفي مجال الجباية أوكلت الدولة مهمة الاشراف على جباية الضرائب في المرحلة الاولى لحاكم الولاية ، لكن سرعان ما أطلقت أيدي الشركات التي يديرها رأسماليون رومان للقيام لتحصيل الضرائب وجمع ايرادات الدولة من مختلف القطاعات الانتاجية . ولا يخفى علينا ما يقوم بسه هؤلاء الرأسماليون من ابتزاز للاهالي .

اما الضرائب غير المباشرة ، فكانت تجبى من قبل مدير الرسوم الاربعية الافريقية العمومية ، لكن سرعان ما أوكلت هذه المهمة في عهد سيفيروس الى وكيل الرسوم الاربعية الافريقية العمومية .

20- رغم ان عصر السيفيريين كان عصر قلاقل وحروب في معظمه ، غير ان هذا لم يحل دون اهتمام هؤلاء باصلاح أوضاع الدولة الرومانية والولايات التابعة لها ، حيث شهد عصر السيفيريين نشاطا كبيرا في مجال البناء والتعمير ، ونظرا لتعدد مجالات تدخل الدولة من مجال العبادات والاشغال العمومية والتموينات الى الادارة والجيش ، أدى بدون شك الى تزايد المصاريف .

21- أخضع الرومان بلاد المغرب القديم لنظام جبائي متعدد الوجوه منذ سقوط قرطاجة 146 ق.م ، وكلما اتسع المجال الجغرافي للاستيطان في بلاد

المغرب كلما ازدادت حاجة الدولة الرومانية الى مصادر مالية جديدة ، نتيجة تزايد حاجتها الدفاعية ، وطبيعي أن تزداد تلك الحاجات في عهد السيفيريين الذين مدوا الحدود الى أقصاها و بالتالي لم يقوموا برفع الضرائب فحسب بل أوجدوا ضرائب جديدة ذات الاثر البعيد ، كضريبة التموين العسكرى ، اضف الى ذلك مرسوم كراكلا الذى اعتبره ديون كاسيوس وسيلة لرفع مداخيل خزينة الدولة .

22- رغم تعدد مصادر الدخل في بلاد المغرب في عهد السيفيريين مع ذلك ظلت هذه المداخيل قليلة بالمقارنة مع النفقات ، فمن جهة نلاحظ اتساع الامبراطورية ، وما يقتضيه ذلك من تجنيد الامكانيات للدفاع ، وكذا كثرة المنشآت والانجازات في غالبية المدن الافريقية في فترة هؤلاء الاباطرة ، اذ قلما نجد مدينة لا نجد فيها ما يشهد على مرور السيفيريين .

23- يجمع المؤرخون على ان الحياة الاقتصادية في عهد السيفيريين قد حظيت بعناية كبيرة ، لدرجة ان الكثير منهم اعتبر تلك الفترة أزهى فترات تاريخ الامبراطورية الرومانية ، الى درجة ان الرخاء في نظرهم قد عم المنطقة ، والواقع ان المتتبع للسياسة السيفيرية في المنطقة في المجال الفلاحي يدرك فعلا توسعا في الخريطة الزراعية ، لدرجة انها شملت حتى الاراضي الرعوية ، غير ان ذلك كان على حساب الاهالي ، و بالتالي يمكننا القول ان الرخاء كان ظاهريا ورخاء رومانيا . وان عمليات تشجيع أحياء الاراضي البور وأراضي المستنقعات التي طبقها سيفيروس باعفاء مستصليحها من الضرائب لمدة عشر سنوات كان الهدف منها الاستجابة لحاجات التموين المتزايدة . وهو أيضا شأن عمليات توزيع الاراضي على الجنود التي قام بها الاسكندر سيفيروس في مناطق الليمس والتي كان لها مرامي ، نذكر منها ارضاء الجنود وكذا رفع الانتاج فضلا عن الدفاع على تلك الاراضي وبذلك احتلت بلاد المغرب الصدارة في انتاج الحبوب ، خاصة القمح ، مادة

التموين الاساسية في روما · واذا حاولنا ان نحلل الارقام نخرج بنتيجة حتمية هي ان كثيرا من المغاربة اعتمدوا على الشعير بدل القمح كمادة غذائية اساسية نتيجة سياسة التموين المتبعة والتي تضاعفت في عهد الامبراطور سيفيروس ·

24- الشروع في التوزيع المجاني للزيت منذ عهد سيفيروس يدل على التوسع الكبير في الزراعة الشجرية خاصة الزيتون والكروم ،التي وجدت في ملائمة الظروف الطبيعية واهتمام الاباطرة مجالا مكنها من أخذ مكانتها الى جانب زراعة القمح الذى بدأ انتاجه يعرف الاستقرار·

25- التوسع في زراعة الزيتون والكروم التي بلغت أوجها في عهد السيفيريين لم يقلص المساحات المخصصة للقمح ، وانما حدث ذلك على حساب اراضي جديدة ، شأنها في ذلك شأن باقي الزراعة الشجرية كالتين والرمان واللوز ·

26- طغيان النشاط الفلاحي في افريقيا حجب عنها باقي الانشطة لا سيما النشاط الصناعي الذى نجانب الصواب اذا حكمنا بغيابه نتيجة سكوت المصادر المعاصرة عن ذلك ، لكن بعض التلميحات من هؤلاء لا تسمح لنا باستنتاج وجود ذلك النشاط فحسب ، بل تدفعنا للقول بأن بعض الصناعات المحلية وجدت اقبالا كبيرا في روما ومدن المتوسط مثال ذلك الصناعات النسيجية والأثاث المصنوع من شجر العفصية خاصة ·

27- اذا كان من المتفق عليه ان العلاقات التجارية بين المنطقة المغاربية وروما هي علاقات قديمة جدا ، فانه يمكن القول ان الرومان بعد دخولهم الى المنطقة قد عملوا على تهيئة الشروط الضرورية لا للحفاظ على استمرار ذلك التبادل فقط ، وانما لتحسينه ومضاعفاته وفقا لاحتياجات روما الى منتجات المنطقة ولذلك رممت بعض الموانئ القديمة ووسعت الاخرى وربطت مناطق الانتاج والتصدير

بشبكة من الطرق ، وهو ما أدى الى تضاعف صادرات بلاد المغرب نحو روما .

28- لم تقتصر صادرات بلاد المغرب على الحبوب وانما تجاوزت ذلك الى الزيوت والكروم وكذا الاخشاب والمواشي بالاضافة الى مستخرجات المناجم والمحاجر.

29- يفهم من المصادر المعاصرة والدلائل المادية ، ان صادرات بلاد المغرب كانت دائما تفوق وارداتها .

وخلاصة الحديث في المجال الاقتصادي يمكننا القول وبدون تردد ان اقتصاد بلاد المغرب كان اقتصادا زراعيا بالدرجة الاولى ، اما الصناعة فانها لم تلعب الا دورا ثانويا بالمقارنة مع النشاط الزراعي ، وكذا التجارة التي اعتمدت أساسا على تصدير المنتجات الزراعية ، وهو ما يسمح لنا بالقول ان النشاط الزراعي كان وراء الرخاء الاقتصادي لبلاد المغرب عبر تاريخه القديم ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد بلغت الامبراطورية الرومانية أوج اتساع لها في عهد السيفيريين الذي اعتبره كثير من المؤرخين " العصر الذهبي " لافريقيا الرومانية التي بلغت فيها الممتلكات الرومانية أوج امتداد لها ،وهو الاتساع الذي كان له أثره على التطور التجاري واتساع وتنوع الخريطة الزراعية ،خاصة بعد اجراءات تشجيع عمليات استغلال أراضي البور والمستنقعات الي لجأ اليها الامبراطور سيفيروس ، الذي يرى بعض المؤرخين انه فعل الكثير للولاية الافريقية موطنه الاصلي ، وافتخرت هذه الولاية بانجابها للعالم مثل هذا الرجل ، الذي اعتبرت افريقيا في عهده البلاد الأكثر انتعاشا في الإمبراطورية الرومانية ، كما اعتبرت قرطاجة العاصمة الثانية بعد روما على ما يفهم من سير الأحداث .

لكن كما رأينا سابقا هذا التوسع والانتعاش كان على حساب الاهالي الذين عزلوا في المناطق الجبلية والصحراوية الفقيرة .

ثبت المصادر والمراجع

أولا ـ المصادر

ثانيا ـ المراجع :

1ـ المراجع العربية :

أـ الدوريات (المقالات)
ب ـ المؤلفات (الكتب)

2ـ المراجع الأجنبية :

أ ـ الدوريات (المقالات)
ب ـ المؤلفات (الكتب)

ثالثا ـ الموسوعات والقواميس

أولا ـ المصادر :

Augustin (Saint); La Cité de Dieu (De civitate Dei), trad. P. Labriolle , J. Perret, ed. Classique Garnier,(Paris, 1946)

Cyprien (Saint) ; Epistula , trad. De chanoine Bayard, ed. Les belles-lettres,(Paris, 1925.)

Dion Cassius ; Histoire romaine , (10 vol), trad. E.Gros, V.Boissée, ed. Firmin-Didot,(Paris, 1845-1870.)

Eusebe de Cesarée ; Histoire ecclésiastique , trad. E.Grapin, ed. Picard, (Paris, 1905.)

Eutrope (Fl) ; Abrégé de l'histoire romaine , trad. N.A.Dubois, ed. Panckoucke ,(Paris, 1843)

Herodien ; Histoire de la République romaine , trad, .J.A.C. Buchan, ed. C.Delagrave, (Paris, S.D.)

Herodote ; Histoires , trad. Ph.E.Legrand, ed. Les belles-lettres, (Paris, 1949.)

Justinien ; Code , trad. P.A.Tissot, ed. Behmer, Metz, 1806.

---------- ; Les Novelles, (2 vol), trad. Berenger fils, ed. Lamort, (Metz , 1811.)

Lampride (Aelius) ; Héliogabale et Severe Alexandre, dans l'histoire Auguste , trad. M.Nisard, ed. Firmin-Didot, (Paris, 1855)

Pline l'Ancien ; Histoire naturelle, (20 vol), trad. M.Ajasson de Grand-Sagne, ed. Panckoucke, (Paris, 1829-1833)

Polybe ; Histoire romaine , trad. Denis Roussel, ed. Gallimard bibliothèque de la Pleiade ,(Paris , 1970.)

Procope ; Histoire de la guerre des Vandales , trad. Dureau de la Malle, ed. Firmin-Didot ,(Paris 1852)

Salluste (C.C) ; Conjuration de Catilina et la guerre de Jugurtha, trad. F.Richard , ed. Garnier-Frères ,(Paris , S.D.)

Spartien (Aelius); Septime Sevère et Caracalla, dans l'Histoire Auguste , trad. M.Nisard, ed. Firmin-Didot ,(Paris, 1855.)

Strabon ; Géographie, (4 vol) , trad. A.Tardieu, ed. Hachette, (Paris , 1867-90.)

Suetone (C.T). ; Vies des douze Césars, (2 vol) , trad. M.Rat, ed. Garnier-Frères,(Paris, 1931)

Tacite (C.Cornelius); Les Annales, trad. Bournecque, ed. Garnier Flammarion,(Paris, 1965.)

Tertullianus ; Adversus Judacos , trad. M.De Guenoude,(Paris, 1852.)

————— ; Ad Nationes , " " " " " " " " " " "

————— ; Ad Scapulam , " " " " " " " " " " "

————— ; Ad Apologetique ; " " " " " " " " " " "

————— ; De Amina ; " " " " " " " " " "

————— ; De Corona Militis , " " " " " " " " " "

Tite Live ; Histoire romaine , (18 vol), trad. E.Lassere, ed. Classique Garnier ,(Paris 1947.)

Ulpien ; Digest , dans les cinquante livres du Digest de l'empereur Justinien, trad. Hulot et Berthelot , ed. Behmer et Lamort, Metz ,(Paris 1805.)

Victor (A) ; <u>Les Césars depuis Octavien Auguste jusqu'au concile de Nicée</u> , trad. N.A.Dubois, ed. Panckoucke,(Paris 1846.)

Zosime ; <u>Histoire de la République romaine</u> , trad. J.A.C.Buchan, ed. C.Delagrave ,(Paris , S.D.)

ثانيا - المراجع :

1- المراجع العربية :

أ- الدوريات (المقالات) :

- حارش (محمد الهادى) ، " حول اصول عبادة بعل - حمون في قرطاجة " ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 3 ، (سنة 1987) .

- " (" ") ، " اصول عبادة أمون في المغرب القديم " ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 4 ، (سنة 1987) ، (تحت الطبع) .

ب ـ المؤلفات (الكتب) :

ـ المبادى (مصطفى) ،الامبراطورية الرومانية : النظام الامبراطوري ومصر الرومانية ، دار النهضة العربية ، (بيروت 1981) .

ـ بل (هـ . ادريس) ،مصر من الاسكندر الاكبر حتي الفتح العربي ،ترجمة (عبد اللطيف) احمد علي ، دار النهضة العربية ، (القاهرة 1973) .

ـ جوليان (شارل ـ اندرى) ،تاريخ افريقيا الشمالية ،ترجمة محمد مزالي والبشير سلامة ، الدار التونسية للنشر ، (تونس 1969) .

حارش (محمد الهادى) ،التطور السياسي والاقتصادى في نوميديا منذ اعتلاء مسينيسا العرش الى وفاة يوبا الاول (203 ـ46 ق.م) ، اطروحة ماجستير ، (جامعة الجزائر 1985) .

ـ ديورانت (ول) ، قصة الحضارة ، (11 مجلدا) ، ترجمة محمد بدران ، منشورات جامعة الدول العربية ، (القاهرة 1950) .

ـ روستوفتزف ، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادى ، (جزءان) ، ترجمة زكي علي ومحمد سليم سالم ،مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة 1957) .

ـ شنيتي (محمد البشير) ،التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب اثناء الاحتلال الروماني ودورها في احداث القرن الرابع الميلادى ، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر 1984) .

ـ ميادان (مادلين هورس) ، تاريخ قرطاج ، ترجمة ابراهيم بالش ، منشورات عويدات ، (بيروت ـ باريس 1981) .

2 ـ المراجع الاجنبيه :

:

أ ـ الدوريات (المقالات) :

Albertini (E) ; Massiera (P) ; "Le Poste romain de Messad" , Revue des Etudes anciennes , t 40-41, (1938-1939.)

Berger (Ph) ;"Les Inscription de Maktar" , Comptes rendus de l'académie des Inscriptions et belles lettres , t 28 , (1890.)

Birly (M.E.) ; " The Governors of Numidia , AD 193-268 ", Journal of Roman Studies , t 40 , (1950.)

Bourgarel-Musso (A) ; " Les Recherches économiques sur l'Afrique romaine " , Revue africaine , t 75 ,(1934.)

Cagnat (R) ; L'Annone d'Afrique , Extrait des Mémoires de l'Académie des Inscriptions et belles lettres , t 40 , (1915.)

Carcopino (J) ; " Du droit de cité accordé par les Romains aux peuples conquis , de ses effets" , Extrait des Annales universitaires de l'Algérie , Alger , (1915.)

————— ; " L'Inscription d'Aïn el-Djemala , contribution à l'histoire des Saltus africains et du colonat partiaire" , Mélanges de l'Ecole française de Rome , t 26 , (1906.)

————— ; " Les Castella de la plaine de Setif ", Revue africaine , t 59 , (1918.)

————— ; " Le Culte de Cerères et les Numides " , Revue historique , t 58 , (1928.)

————— ; " Les Numeri syriens de la Numidie romaine ", Syria, t 14 , (1933.)

Carton (D) ; " Nouveau document épigraphique relatif au colonel en Afrique " , Revue archéologique , t 19 , (1892)

———— ; " La Lex Hadriana et son commentaire par le procurateur Patroclus " , Revue archéologique , t 21 , (1893.)

Chaligne (C) ; Occupation romaine de l'Afrique " , Recueil de Constantine , t 53 , (1921-1922.)

Darmon (J.P.) ; " Note sur le tarif de Zaraï " , Cahiers de Tunisie t 12 , (1964.)

Demaeght (L) ; " Inscriptions inédites de la Mauretanie césarienne ", B.S.G.D. , t 16, (1896.)

Devisscher (F) ; " La Constitution antonine et la dynastie africaine des Severès " , Revue internationale des droits de l'Antiquité, t 8, (1961.)

Dussaud (R) ; " Inscription néo-punique de Bir-Tlelsa , relatant la construction et la consécration d'un autel " , Bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques, t 34 , (1914.)

Escurac Doisy (H) ; " Un Soulevement en Maurétanie césarienne sous Sevère Alexandre " , Mélanges d'Archéologie et d'Histoire offert à Piganiol , (1966.)

Euzennat (M) ; " Quatre années de recherches sur la frontière romaine en Tunisie méridionale " , Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et belles lettres , Janv-Mars , (1972.)

———— ; " Les Troubles de Maurétanie " , Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et belles lettres , Avril-Juin, (1984.)

Fevrier (P.A.) ; " Inscriptions inédites relatives de la région de Sétif " , Mel. offert à Piganiol ,(1966.)

Frezouls (E) ; Le Théatre romain de Tipasa " , Mélanges de l'Ecole française de Rome , t 64 , (1952.)

———— ; " La Resistance armée en Maurétanie césarienne de l'annexion à l'époque severienne - un essai d'appréciation, Cahiers de Tunisie ,t 29 , (1981.)

Gage (J) ; Les Jeux séculaires de 2.4 ap-j.c et la dynastie des Sevères " , Mélanges de l'Ecole française de Rome, (1934.)

Guey (J) ; " Lepcitana Septimiana VI , Le retour de Septime Sevère à Lepcis , d'aprés une dédicace du Dolichenum ", Revue africaine , t 94, (1950.)

———— ; " Retractio , un retour de Septime Sevère aprés la pacification des confins sahariens " , Revue africaine , t 96, (1952.)

Lecoq (A) ; Le Commerce de l'Afrique romaine " , Bulletin de la Société géographique et d'archéologique de la province d'Oran, t 12 ,(1932.)

Leschi (L) ; " La Vigne et le vin dans l'Afrique ancienne " , Extrait du Bulletin économique et juridique de l'O.F.A.L.A.C. , n°93-94 ,(Mars-Avril , 1947.)

———— ; " Une Assignation des terres en Afrique sous Septime Sevère " , Recueil de Constantine , t 76 ,(1948.)

Merlin (A) ; " Le Fortin de Bezereos sur le limes tripolitain ", Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et belles lettres, (1921.)

Mesnage (P.J) ; " Le Christianisme en Afrique , Origines , développements , extensio " , Extrait de la Revue africaine , n° 290-291 ,(1914)

Mispoulet (J.B) ; " L'Inscription d'Aïn-Ouassel' " , Nouvelle Revue historique du droit français et etranger , t 16 ,(1892.)

Meunier (J) ; " L'Arc de Caracalla à Theveste (Tebessa) , Relevé et restitution " , Revue africaine ,t 82 ,(1938.)

Pflaum (H.G) ; " Apropos de la date de création de la province de Numidie " , Libyca , Arch. Epig. , t 5 ,(1957.)

Picard (G.Ch) ; " Les Sacerdotes de Saturne et les sacrificos humains de l'Afrique romaine " , Recueil de Constantine , t 66, (1948.)

__________ ; " Nouveaux documents sur le culté de Cererès dans dans l'Afrique du Nord " , Acte du 79ème congrés des sociétés des savants , Alger ,(1954.)

__________ ; " Néron et le blé d'Afrique " , Cahiers de Tunisie, t 14 ,(1956.)

Piganiol (A) ; " La Religion et les mouvements sociaux dans le Maghreb antique " , Cahier d'Histoire mondiale ,t 3,(1956-57.)

Rebuffat (R) ; " Deux ans de recherches dans le sud de la Tripolitaine", Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et belles lettres , Avril-Juin ,(1969.)

__________; " Nouvelles recherches dans le sud de la Tripolitaine ", Comptes rendus de l'Acad. des Inscrip. et Belles lettres (Avril Juin , 1972.)

Rouland (Maréchal) ; " Le Limes de Tingitano au sud de Sala-colonia", Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et belles lettres, t 14 ,(1924.)

Salama (P) ; " Nouveaux témoignages de l'oeuvre de Septime-Sevère dans la Maurétanie césarienne " , I , Libyca .Arch.Epig. t I,(1953)

—————— ; " Nouveaux témoignages de l'ouevre de Septime-Sevère dans la Maurétanie césarienne " II , Libyca .Arch.Epig . t 3,(1955.)

Seston (W) ; " Le Secteur de Rapidum sur le limes de Maurétanie césarienne " , Mélanges de l'Ecole française de Rome , t 45(1928)

—————— ; " Marius Maximus el la date de constitutio-Antoniniana", Mélanges Piganiol offert à Carcopino ,(1966.)

Thouvenot (R) ; " Une Remise d'impôts en 216 ap.j.c" , Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et belles lettre ,(1946.)

Van Berchem (D) ; " L'Annone militaire dans l'empire romain au IIIème siècle " , Mémoire national des Antiquaires de France , t 10 , (1937)

ب – المؤلفات (الكتب) :

Albortini (E) ; L'Empire romain , 3ème ed. Presses universitaires de France , (Paris 1938)

———— ; L'Afrique romaine , ed. Imprimerie officielle ,(Alger, 1950.)

———— ; Tablettes Albertini , Actes privés de l'époque Vandale, ed. Arts et Metiers graphiques ,(Paris , 1952.)

Albertini (E) , Marçais (G) ; L'Afrique du Nord française dans l'histoire, ed . Archat ,(Paris 1955)

Allard (P) ; Le Christianisme et l'empire romain de Néron à Théodose , 4ème ed .(Paris , 1898).

———— ,; Histoire des persécutions pendant la 1ere moitie du IIIème siècle (Septime Severe , Maximin-Decé) , ed. Lecoffre , (Paris , 1905).

Aube (B) ; Les Chretiens dans l'empire romain de la fin des Antonins au milieu du IIIème siècle , ed. Didier ,(Paris , 1881).

Benabou (M) ; La Résistance africaine à la Romanisation , ed. Maspéro, (Paris , 1976).

Bergasse (H) ; Le Toscin de la décadence , ed . Les belles lettres; (Paris , 1925).

Bergier (N) ; Histoire des grands chemins de l'empire romain , 2 vol, ed . J.Leonard libraire Imprimeur , (Bruxelles , 1736).

Berthier (A) ; Tiddis antique , castellum Tidditanorum , ed.(Alger 1972).

Besnier (M) ; L'Empire romain dés l'avenement des Sevères au concile de Nicée , IV, ed. Presses universitaires de France ,(Paris , 1937.)

Birley (A) ; Septimius Severus , The african emperor , (London, 1971.)

Boissière (G) ; Esquisse d'une histoire de la conquête et de l'administration romaine dans le nord de l'Afrique et particulierement dans la province de Numidie , ed . Hachette, (Paris, 1878).

Boulvert (G) ; Esclaves et affranchis imperiaux sous le haut empire romain , ed . Jovenne ,(Naples 1970).

Brisson (J.P) ; Gloire et misère de l'Afrique chretienne , ed. R. Laffont ,(Paris , 1948).

Cagnat (R) ; Etude historique sur les impots indirects chez les Romains jusqu'aux invasions des barbares , Imprimerie nationale ,(Paris , 1882).

---------- ; Le Commerce et la propagation des religions dans le monde romain , ed . E.Leroux ,(Paris, 1909).

---------- ; L'Armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs , 2ème ed. Imprimerie nationale, (Paris , 1912).

Camps Fabrer (H) ; L'Olivier et l'huile d'olive dans l'Afrique romaine , ed .Imprimerie officielle ,(Alger , 1953).

Chevalier (R) ; Les Voies romaines , Collection u ,(Paris , 1972.)

Courtois (Ch) ; Les Vandales et l'Afrique , ed . Arts et Metiers graphiques ,(Paris,1955).

De Ceuleneer (A) ; Essai sur la vie et le regne de Septime Sevère , Thèses es-lettres , (Liège , 1874).

De Chateaubriand (R) ; Etudes ou discours historiques sur la chute de l'empire romain , 4 vol , nelle , ed .(Paris , 1893.)

Decret (F) ; Fantar (M) ; L'Afrique du nord dans l'antiquité , des origines au Vème siècle , ed. Payot , (Paris , 1981).

Delaet (Siegfried) ; Portorium , Etude sur l'organisation douanière chez les Romains surtout à l'époque du haut empire , ed . De Tempel ,(Brugge , 1949).

D'Escurac , Doisy (H) ; Lambèse et les vétérans de la legio Augusta, Hommage à Albert Grenier , (Bruxelles , 1962.)

Despois (J) ; L'Afrique blanche française , 2 vol , ed. Presses universitaires de France ,(Paris , 1969).

Duruy (M) ; Les Cohortes pretoriennes , ed . De Boccard ,(Paris, 1938.)

Flammand (G.B.M) ; Les Pierres écrites , gravures et inscriptions rupestres du Nord africain , ed . Masson , (Paris , 1921.)

Fevrier (P.A) ; Djemila , ed . Direction des affaires culturelles, sous direction des Arts , Musées , Monuments historiques antiques , (Alger , 1968).

Forquet De Dorme (C) ; Les Cesars africains et syriens et l'anarchie militaire , ed . Si-Roudeau ,(Angers 1905).

Gagé (J) ; Les Classes sociales dans l'empire romain , ed . Payot, (Paris , 1964.)

Gascou (J) ; La Politique municipalo de l'empire romain en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime-Sevère , ed. Ecole française de Rome ,(1972.)

Gsell (St) ; Les Monuments antiques de l'Algérie ,2 vol , ed . Fontemoing ,(Paris , 1901).

——————— ; Histoire ancienne de l'Afrique du Nord , 8 vol , ed. Hachette , (Paris , 1913-1928.)

——————— ; Atlas archéologique d'Algérie , 2 vol , ed. Jourdan Fontemoing ,(Paris , 1911.)

Guerin (E) ; Etude sur les Quattuor , Publica Africae,Meaux, 1900.

Gugliemo (F) ; Grandeur et décadence de Rome , 6 vol , ed.Plon Nourrit ,(Paris , 1904-1908.)

Harmand (L) ; L'Occident romain Gaule Espagne , Bretagne , Afrique du Nord , 31 av.j.c , ed. Payot ,(Paris , 1960).

Homo (L) ; La Rome antique , ed. Hachette ,(Paris , 1921.)

——————— ; Les Empereurs romains et le christianisme , ed .Payot, (Paris , 1931).

——————— ; L'Empire romain , ed . Payot ,(Paris , 1925) .

——————— ; Nouvelle histoire romaine ,ed . Fayard ,(Paris , 1941)

——————— ; De la Rome païenne à la Rome chrétienne , ed; R.Laffont, (Paris , 1950).

Huet (P.D) ; Histoire du commerce et de la navigation des anciens, ed . F.Fournier ,(Paris , 1716).

Jardé (A) ; Etudes critiques sur la vie et le regne de Sevère - Alexandre , ed . De Boccard , (Paris , 1925) .

Jouffroy (H) ; La Construction publique en Italie et de l'Afrique romaine , Thèse 3ème cycle , Université de(Strasbourg , 1973).

Katula (T) ; Septime Sevère a-t-il visité l'Afrique en tant qu'empereur , (Wroclaw , 1985).

Lafon (M) ; Rome depuis sa fondation jusqu'à la chute de l'empire , (Paris , 1893).

Lambrecht (P) ; La Composition du Senat romain de Septime Sevère à Diocletien (193-284) , ed. Anostatica ,(Rome , 1968).

Lassère (J.M) ; Ubique populus , peuplements et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sevères (146av.j.c-235 ap.j.c) , ed. C.N.R.S (Paris , 1977).

Leclerc (Dom) ; L'Afrique chretienne , 2 vol , ed. Lecoffre ,(Paris, 1904).

Leglay (M) ; Saturne africain , 2 vol , ed. De Boccard ,(Paris , 1966.)

Martin (J.P) ; La Rome ancienne (753 av.j.c-395 ap.j.c) , ed. Presses universitaires de France ,(Paris , 1973).

Marquardt (J) ; L'Organisation financière des Romains , dans Manuel des Antiquités romaines , 16 vol , trad. G.Humbert, ed. Thorin ,(Paris ,1888).

———— ; L'Organisation de l'empire romain , dans Manuel des Antiquités romains , 16 vol , trad . G.Humbert ,ed. Thorin, (Paris , 1889-1892).

Mercier (E) ; Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française , ed. E.Leroux, (Paris , 1888).

Mesnage (P.J) ; Romanisation de l'Afrique , Tunisie , Algérie, Maroc; ed; G.Beauchesne ,(Paris , 1913).

Monceaux (P) ; Histoire litteraire de l'Afrique chretienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe , 7 vol , ed. E.Leroux , (Paris , 1901-1923).

Moret (A) ; Le Nil et la civilisation egyptienne ,ed. La Renaissance du livre ,(Paris , 1926).

Petit (P) ; Histoire générale de l'empire romain , 3 vol , ed . du Seuil ,(Paris , 1978).

Picard (G.Ch) ; Castellum Dimmidi , ed. De Boccard ,(Paris , 1947).

———— ; Les Religions de l'Afrique antique , ed.Plon ; (Paris , 1954).

———— ; La Civilisation de l'Afrique romaine , ed.Plon , (Paris , 1959).

Picard (G) ; L'Empire romain , ed.Office du livre ,(Berne , 1965).

Piganiol (A) ; L'Empire chretien (325-395 ap.jac) , ed. Presses universitaires de France ,(Paris, 1972).

Platnauer (M) ; The life and the reign of the emperor Lucius-Septimius Severus ,(Oxford , 1918).

Rachet (M) ; Rome et les Berbères , un problème militaire d'Auguste à Diocletien , ed. C.N.R.S ,(Bruxelles , 1970)

Remondon (R) ; La Crise de l'empire romain de Marc-Aurèle à Anastase , ed . Presses universitaires de France , n^{elle} olio , (Paris, 1964)

Rosoir (Ch) ; Précis de l'histoire romaine , 2ème ed ,(Paris 1830).

Salama (P) ; Les Voies romaines de l'Afrique du Nord , Imprimerie officielle ,(Alger , 1951).

Sauvy (A) ; La Population , ses lois , ses équilibres , Que-sais-je , ed. Presses universitaires de France ,(Paris ,1944.)

Thibault (F) ; Les Douanes chez les Romains , ed. E.Leroux (Paris,1888)

Toutain (J) ; Les Cultes païens dans l'empire romain , ed. E.Leroux, (Paris , 1920).

Trousset (Pol) ; Recherche sur le limes Tripolitanus du Chott el-Djerid à la frontière Tuniso--Libyenne , ed. du C.N.R.S (Paris 1974).

Van Berchem (D) ; Les Distributions de blé et d'argent à la Plèbe romaine sous l'empire , ed. George et Cie , (Genève , 1939).

Zeiller (J) ; L'Empire romain et l'Eglise , ed . De Boccard , (Paris, 1925.)

ثالثا ـ الموسوعات والقواميس :

ـ سهيل ادريس وجبور عبد النور ، المنهل (قاموس فرنسي ـ عربي) ، دار الاداب ودار العلم للملايين (بيروت 1970) .

Berthelot (A) et autres ; La Grande Encyclopédie ,(31 vol), ed . Imprimerie E .Arreul et Cie ,(Paris , 1961).

Corpus Inscriptionum Latinarum , ed . Académie Litterarum regiae borussicae berolini ,(1881), (abrégé C.I.L) .

Gaffiot (Felix) ; Dictionnaire Latin-Français , ed. Hachette , (Paris , 1934).

Larrousse (P) ; Grand Dictionnaire universel du XXème siècle , 6 vol , ed . Librairie Larousse ,(Paris , 1928-1933.)

Mourre (Michel) ; Dictionnaire encyclopédique d'Histoire ,(8 vol), ed . Bordas ,(Paris , 1878)

فهرس الاعلام

فهرس الأماكن والمواقع

— فهرس الشعوب والقبائل —

- فهرس الخرائط والأشكال -

أ - الخرائط :

ب - الأشكال :

فهـرس المحـتوى